# شريعة الهدم

## في كتاب

## الكتاب والقرآن

إيضاح

أ. إبراهيم عبد الله صالح المديفر

دار الإيمان

دار الإيمان

# شريعة الهدهد

# في كتاب

# ( الكتاب والقرآن )

الطبعة الأولى 1423 هـ - 2003م

جميع الحقوق محفوظة

الناشر :

**دار الإيـــمان**

**للطباعة والنشر والتوزيع**

بيروت ☎ 798485

دمشق ✉ 10065

# شريعة الهدهد

# في كتاب

# ( الكتاب والقرآن )

إيضاح

أ . إبراهيم عبد الله صالح المديفر

بسم الله الرحمن الرحيم

{ بَلْ نَقذِفُ بالحَقِ عَلى الباطِلِ فَيَدمَغُهُ فَإذا هو زَاهِقٌ وَلكُمُ الويلُ مِمَّا تَصِفونَ }.

[سورة الأنبياء الآية 18] صدق الله العظيم

# الإهـــداء

إلى أولادي وأولادهـــم ومعاصريهم ومن يأتي بعدهم أقدِّمُ هذا الكتاب راجياً أن ينفع اللهُ به.

# بسم الله الرحمن الرحيم

## مُقَدِّمَة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه. وبعد :

فلقد فرحت فرحاً شديداً لما قرأت عنوان كتاب (الكتاب و القرآن قراءة معاصرة. للدكتور المهندس محمد شحرور ) لأنني كلما قرأت آية تجمع بين الكتاب والقرآن ذهبت أبحث في التفاسير لألم بالمعنى إلماماً كاملاً وعندما تصفحت ما كتب على غلافه الأخير ارتبت منه، ففضلت أن أقرأه بأناة وروية فعمدت إلى مقدمة المؤلف فوجدته:

**أولاً** – يدعو إلى نسف المفاهيم السائدة لدى المسلمين وخاصة علماءهم ويشبهها بالحالة التي كان الناس يحسبون فيها أن الأرض ثابتة والشمس هي التي تجري حتى جاء شخص واحد بَشَرٌ منهم و مثلهم وقال إن العكس هو الصحيح وأن الأرض هي التي تدور حول الشمس ويقول ( **إن هذه الحقيقة التاريخية التي حصلت فعلاً تبين لي بعد ربع قرن من البحث الدؤوب والتفكر الطويل والتأمل الواعي أننا نحن المسلمين مأسورون لمسلمات قد يكون بعضها معكوساً تماماً** )[1].

**ثانياً** – يتهم علماء الإسلام بالتقصير في البحث العلمي ويقول: ( **لقد انطلق المسلمون من أطروحات عدوها من مسلمات العقيدة الإسلامية و هي لا تدري أن هذه المسلمات بحاجة إلى إعادة نظر فدارت هذه الأدبيات في حلقة مفرغة و لم تصل إلى حل المعضلات الأساسية للفكر الإسلامي التقليدي** )[2].

---

[1]. – الكتاب والقرءان قراءة معاصرة للدكتور المهندس محمد شحرور دار الأهالي دمشق . ص 29 .

[2] – انظر المصدر السابق ص30 .

ويقـــول ( إن الفكـــر العـــربي المعاصر ومنه الفكر الإسلامي يعاني من المشاكل الأساسية مثل ) أ – عدم التقيد بمنهج البحث العلمي الموضوعي في كثير من الأحيان.

ب – إصدار حكم مسبق على مشكلة ما قبل البحث في هذه المشكلة ) وخير مثال على ذلك المرأة في الإسلام [3].

ت – عـــــدم الاســـتفادة من الفلسفة الإنسانية وعدم الـــتفاعل الأصيل المبدع معها. **( حيـــث لا يمكـــن أن نضع كل ما أنتجه الفكر الإنساني من اليونان إلى زماننا هذا في هامش الخطأ أو الباطل )**[4].

**ثالـــثاً** – ومع أنه يدعو إلى الاستفادة من الفلسفات الإنسانية ملحدة أو غير ملحدة فإنه يدعـــو إلى نـــبذ التراث الإسلامي فيقول: **( لقد توصلت في كتابي هذا إلى نتائج لم تكن موجودة في كتب السلف ).**

ويقـــول ( إن العبـــث كل العبث في طبع آلاف الكتب التي تدرس في الجامعات والمعاهد والمدارس ) [5].

**رابعـــاً** – إقـــرار المؤلـــف بأنـــه ألـــف كتابه هذا للمسلمين وغير المسلمين فهو يقول: **( مـــن خـــلال القراءة الحديثة للذكر تبين لنا أن الفكر الإسلامي يحمل الطابع العالمي الإنســـاني ومـــن هنا كان هذا الكتاب موجهاً إلى كل إنسان عربي أو غير عربي مؤمن وملحد وإلى كافة الاتجاهات العقائدية حيث نعتقد أن كل إنسان سيجد شيئاً ما في هذا الكتاب يدخل ضمن قناعاته الخاصة وقد يجد فيه شيئاً ما كان يبحث عنه )** [6].

**خامســـاً** – لا يـــرى اتباع الصحابة اتباعاً مطلقاً فهو وإن أثنى عليهم فيما وصلوا إليه في عصـــرهم مـــن حلـــول لمشاكلهم كما يقول إلا أنه لا يسعه اتباعهم **(لأن ما صلح في**

---

[3] - سيأتي حديثه عن المرأة في بحث مطول .

[4] - انظر القراءة المعاصرة ص31 .

[5] - انظر المصدر نفسه ص32 .

[6] - نظر المصدر نفسه ص45 .

**عصرهم لا يكفي لعصرنا الذي نواجه فيه ما لم يواجهوه** ) فيقول: (**نحن على يقين بأننا في أواخر** القرن العشرين في مشاكلنا المعاصرة والتي لا يعرف الصحابة عنها شيئاً وبوجود الكتاب الذي لا ريب فيه بين أيدينا قادرون على نقله من عالم المطلق إلى عالم النسبية الذي نعيشه نحن وقادرون على أن نتحرك ضمن الحدود بشكل يتناسب مع عصرنا.

وبهذا نحن أقدر منهم وليس من الضرورة الاعتماد على أقوالهم وتحريها فوضعنا منهم إن كانت أقوالهم تناسبنا أخذناها وإن كانت لا تناسبنا تركناها )[7].

ويقول ( **وأما المذاهب الخمسة- حيث أدخل المذهب الجعفري ضمنها – فإن أهلها رجال ونحن رجال** ).

**سادساً** – يزعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم شرع لما يناسب عصره والعصور القليلة التي بعده حيث حول المطلق إلى نسبي وهو بهذا فتح باب الاجتهاد لنا لكي نجتهد بتشريع ما يناسب القرن العشرين فنكون بهذا قد اقتدينا به صلى الله عليه وسلم.

فيقول ( وهكذا نفهم أن السنة النبوية هي اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم في تطبيق أحكام الكتاب من حدود وعبادات وأخلاق آخذاً بعين الاعتبار العالم الموضوعي الذي يعيش فيه متحركا بين الحدود وواقفا عليها أحيانا ووضع حدود مرحلية للأمور التي لم ترد في الكتاب وفي هذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة لنا إلى يوم الدين بالحنف ضمن حدود الله وفي وضع حدود حنيفية لبقية الأمور )[8].

**سابعاً** - يجعل العقل هو الحكم وحده في النصوص: فهو يقول أحاديث النبوة تنقسم إلى نوعين:

أ- ( أحاديث تتعلق بالغيبيات أي بشرح القرآن وتتعلق بالفهم العام للقرآن حيث أن المفهوم العام يتطابق مع الحقيقة والعقل وإذا لم تتطابق فتهمل ) ويقول ( إن كل ما جاء

---

[7] المصدر نفسه ص566.

[8] المصدر نفس ص553..

في الكـــتاب قـــابل للفهم بالضرورة ويفهم على نحو يقتضيه العقل وقد جاء بصيغة قابلة للفهم وهذه الصيغة هي باللسان العربي الفصيح ).

ب- ( أحاديـــث تـــتعلق بشرح تفصيل الكتاب كقوله [ **أوتيت القرآن ومثله معه** ]هنا يشرح أن السبع المثاني هي كالقرآن وقوله (**في ليلة القدر أنزل القرآن إلى السماء الدنيا**) (هذه الأحاديث يجب أن تتطابق مع آيات تفصيل الكتاب لا محكم ولا متشابه)[9].

**ثامـــناً** - يدعو إلى تحرير المرأة ولا يقف عند ما وقف عليه أسلافه بل يؤول (آية الحجاب 31 النور) وآية ( 59 الأحزاب) بغير ما هو معهود ويحملها ما لا تتحمل ويفسر مفرداتها بما يراه ملائما لآرائه في الزينة وفي العورة وفي اللباس[10].

**تاســعاً** -يـــأخذ بنظرية التطور في الخلق وبنظريات الجدل الكوني والجدل الإنساني وهي نظريات ماركسية.

**عاشـــراً** - يدعو إلى وضع منهج جديد في أصول التشريع الإسلامي القائم على البينات الماديـــة وإجمـــاع أكـــثر الناس فيقول (إذا أردنا اختراق الفقه الإسلامي الموروث ومنهم الفقهـــاء الخمســـة وجب علينا إعطاء البديل وهذا ما فعلناه في كتابنا هذا حيث طرحنا منهجاً جديداً في الفقه الإسلامي)[11].

وحيـــث أن المؤلـــف طلب من قُرَّاء كتابه هذا (أن لا يتعجلوا في الحكم عليه قبل إتمامهم قـــراءة كتابه هذا فيقول (بيد أني أستبيح القارئ الكريم عذرا لأني سأطلب إليه التريث في الحكم عليَّ قبل أن يمضي معي في رحلة هذا الكتاب ولا يتسرع- فيحكم ببعض مسلماته الموروثة التي سأثبت له بالبرهان أنها معكوسة- إلى نبذ كتابي قبل الصبر على صحبته لأنه

[9] المصدر نفسه ص554 فالمؤلف يقسم الكتاب إلى 3 أقسام محكم ومتاشبه .ولا محكم ولا متشابه.

[10] وستأتي أقواله مفصلة إن شاء الله.

[11] المصدر نفسه ص 32 وانظر إليه يدخل المذهب الجعفري ضمن المذاهب.

سيجد فيه احتراماً كبيراً وإكباراً عظيماً لفكره وعقله وإن فقد في كتابنا الاحترام والإكبار نفسيهما لعواطفه )[12].

ولقد سرت معه في قراءة كتابه (الكتاب-والقرآن-قراءة معاصرة) في شوق عظيم وجدية مـــا كنت أعهدها في نفسي ولكن ماذا وجدت؟ وجدت أن الرجل من أولئك العقلانيين الذين اتبعوا الفلسفات الإنسانية دون تمييز ومن الذين اقتفوا آثار المستشرقين الحاقدين ومن الذيـــن صـــدقوا بآراء الطبيعيين والماركسيين منهم فكان كتابه مذا تجسيداً لآراء أولئك الحـــاقدين على الإسلام و لم يأت بجديد عما ألفه المتقدمون والمتأخر ون من أولئك ولكن ولله الحمـــد قد تصدى لهم علماء الإسلام قديما وحديثا فكشفوا زيفهم ودحروا باطلهم. إلا أن هـــذا المؤلـــف زاد على من سبقه بالافتراء والجحود حيث عمد إلى القرآن الكريم ليخضـــعه إلى نظرياتهم فيؤوله تأويلا لا يمت إليه بصلة فنجده على الرغم من دعواه بأنه مؤمن مسلم عربي وأنه يفهم اللسان العربي.

1)- يقســـم المصحف إلى تقسيمات ويضع له مصطلحات من عنده وبهذا يجزء المصحف ويقطع القرآن إلى قطع غير متواصلة.

2)- لا يـــأخذ مـــن القرآن إلا ما يظن أنه مناسب لتأويله وهواه فيؤوله حسب ما يراه ولا يتـــبع بذلـــك حتى الرسول صلى الله عليه وسلم ولذا فهو يهمل الآيات التي يرى أنها تعـــارض رأيه بل إنه أحيانا يأخذ صدر الآية أو يجزئها ليستدل به ويترك الجزء الآخر منها إن كـــان فـــيه معارضـــة لقوله وتأويله وكثيرا ما ينتزع الآية من السياق ليعطيها تأويلا لم تتضمنه ولا يستدل بها عليه.

3)- عمـــد إلى رأي لابـــن جنى ولنظرية لعبد القاهر الجرجاني فادعى (بأنهما يزعمان ألا تـــرادف في اللغـــة العربية ) ليفرق في ذلك بين الكتاب والقرآن- وبين القرآن والذكر- وبـــين القرآن والفرقان (لأن الواو العاطفة لا تعطف إلا المتغايرين أو الخاص على العام )

---

[12] المصدر نفسه29.

وهـــو لم يأخذ بآراء ابن جنى كلها حيث أن لـــه آراءاً تخالف ما ذكره المؤلف و لم يأخذ بآراء علماء اللغة العربية غير ابن جنى.

وحيـــث أن الأســـتاذ يوســـف الصـــيداوي قد كفانا بالرد على المؤلف لغوياً في كتابه ( بيضة الديك )[13]. فإنني لن أتناول هذا الموضوع – أي اللغة إلا قليلاً وسأورد كثيراّ من أقوال الأستاذ يوسف الصيداوي ولكنني سأتحمل الرد على مؤلف (القراءة المعاصرة) فيما يخـــتص بالقـــرآن الكريم الذي هو كتاب رب العالمين وسيكون ردي مستنبطاً من القرآن نفسه فقط ولن أعرِّج على أقوال المفسرين مع أنني أجلهم وأحبهم وأسأل الله أن يحشرني معهـــم ومع الصحابة والصالحين و السبب في ذلك أن المؤلف كما سبق وقلنا أنه يرفض أقوال الصحابة والفقهاء والمفسرين لا لشيء إلا لأن ذلك يتعارض مع تأويله وعقله وآرائه وحسبنا الله ونعم الوكيل.

---

[13] بحثت عن يوسف الصيداوي فلم أعثر عليه .

الباب الأول

# التراث الإسلامي وموقف المؤلف منه

## تمهيد : هـل الـقرآن من الـتراث ؟

مما لا شك فيه أن القرآن الكريم ليس من التراث الإسلامي وإنما هو من الموروثات الإسلامية، ذلك لأن التراث ما أنتجه الفكر الإنساني وأن لكل أمة تراثها. وتراث الأمة الإسلامية ما تركه سلفها لخلفها. وكل سابق فهو سلف. وكل حاضر معاصر خلف وأما القرآن فهو كلام الله أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم. بلغّه إياه جبريل عليه السلام فهو إذا موروث لهذه الأمة ولا يدخل في تراثها بل منزلته أرفع من منزلة التراث.

### موقف مؤلف القراءة المعاصرة من التراث الإسلامي :

يقول : عن رحلته الأولى في تأليف كتابه ( الكتاب والقرآن-قراءة معاصرة ) وهي ما بين عام 1970-1980 م (كانت رحلة مراجعات ووضع أسس أولية لفهم الذكر وفهم الرسالة والنبوة والمصطلحات الأساسية للذكر. وكانت مرحلة غير مثمرة حيث تم فيها بحث منطلقات غير مترابطة وعاجزة عن فهم الذكر. وقد كان السبب الأساسي في ذلك هو التأثر بالمدارس التقليدية الموروثة الموجودة في الأدبيات الإسلامية القديمة والمعاصرة والتأثر بالمنطلقات الموروثة اجتماعياً والتي اعتبرتها من المسلمات وقد تبين لي بعد عشر سنوات أن هناك شيئاً ما في المسلمات التي نعتبرها من أساسيات الإسلام ليست كذلك.حيث أننا لم نستطع تقديم نظرة إسلامية أصيلة إلى القرن العشرين ومشاكله

انطلاقاً من هذه المسلمات إلا عن طريق المكابرة واللف والدوران والوقوع في الوهم. وقد تبين لي بعد تلك السنوات من البحث أنني أسير في وهم وفي طريق مسدود [14].

## حكم المؤلف من خلال دراسته في مدرسة أشعريه ومعتزلية

هـا هـو يقول : ( إني نظرت إلى الإسلام كعقيدة من خلال مدرسة موروثة معتزلية أو أشعريه وإلى الفقه من خلال مدرسة مذهبية موروثة (الفقهاء الخمسة ) وانتهيت إلى هذه النقطة الخطيرة والقاتلة للباحث العلمي الجاد. وهي أنه لا يمكن لإنسان أن يقفز قفزة أساسية نوعية في المعرفة والبحث إلا إذا اخترق المدارس الموروثة وخرج عنها)[15].

يتضح من أقواله التي ذكرناها أنه حكم على أقوال علماء الأمة الإسلامية من أولهم حتى أخرهم بالرفض من خلال نظرته إلى مدرسة أشعريه أو معتزلية .وهو لا يقف عند هذا الحد بل نجده يقول بالنص الصريح : ( لقد دخل العقد الثاني من القرن الخامس عشر الهجري والعقد الأخير من القرن العشرين الميلادي . والأدبيات الإسلامية مطلع القرن العشرين تطرح الإسلام عقيدة وسلوكاً دون أن تدخل في العمل الفلسفي للعقيدة الإسلامية وقد انطلقت من اطروحات عدها من مسلمات العقيدة الإسلامية. وهي لا تدري بأن هذه المسلمات بحاجة إلى إعادة نظر ، فدارت هذه الأدبيات في حلقة مفرغة ولم تصل إلى حل المعضلات الأساسية للفكر الإسلامي ( التقليدي ) مثل أطروحة القضاء والقدر والحرية ومشكلة المعرفة ونظرية الدولة والمجتمع والاقتصاد والديمقراطية وتفسير التاريخ. بحيث ينتج من ذلك فكر إسلامي معاصر يحمل كل مقومات المعاصرة شكلاً

---

[14] المصدر نفسه ص46.

[15] القراءة المعاصرة46.

ومضموناً دون خروج على المقومات الأساسية للعقيدة الإسلامية في أبسط أشكالها وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر )[16].

ونحن نقول أن الواقع الآن كما يلي :

أ- أن علماء المسلمين في كل قطر يعقدون الندوات و يلقون المحاضرات في بيان العقـيدة و الأحكام الشرعية وفق ما وصل إليهم من خلال نقل صحيح مستند إلى القرآن وأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم من عهد الصحابة وما أضيف إليه من تبيان وإيضاح خلال القرون المفضلة وليست الفلسفات من الأصول التي يرجع إليها.

ب- عـلى مستوى الأقطار الإسلامية تعقد المؤتمرات لمناقشة كل جديد يطرأ في القرن العشرين و إلحاقه بأصله أو بالقياس فهذا الاجتهاد. من علماء الإسلام الذين تنتدبهم دولهـم يبحثون كل جديد و لا يتركونه حتى يؤطروه ويوضحوه لأن الإسلام في شريعته يسـتوعب كل جديد ليقر ما صلح وما له أصل فيه ويلغي ما ليس صالحا لمفاسده الناتجة من تطبيقه.

ت- أما طريقة الوصول إلى الحكم فهي الآن بعيدة كل البعد عما كانت عليه في عهـد الخلفـاء الراشدين حيث أصبح إما قبلياً وراثياً وإما حزبياً تكتلياً حتى ما يجرى له انـتخاب أصبح في القرن الحادي و العشرين ميلادياً شكلياً وأما أسلوب الحكم فان بلاد المسـلمين وشـعوبهم تحكم حكماً بوليسياً في معظمها والقلة هي التي تنفذ بعض أحكام الشريعة الإسلامية وتحاول تطبيقها.

---

[16] المصدر نفسه وهو يدخل المذهب الجعفري ضمن المذاهب الفقهية.

ث- **دعوته لإيجاد نظرية إسلامية معاصرة :**

والمؤلف يدعو إلى إيجاد نظرية إسلامية حديثة ومعاصرة. ويصف المسلمين اليوم بأوصاف سيئة فيقول : ( عن عدم وجود نظرية إسلامية في المعرفة الإنسانية مصاغة صياغة حديثة معاصرة ومستنبطة حصراً من القرآن الكريم. لتعطينا ما يسمى إسلامية المعرفة بحيث تعطي هذه النظرية منهجاً في التفكير العلمي لكل مسلم وتمنحه ثقة بالنفس وجرأة على التعامل والتفاعل مع أي نتاج فكري أنتجه الإنسان بغض النظر عن عقيدته . إن غياب هذه النظرية المصاغة صياغة معاصرة أدى بالمسلمين إلى التفكك الفكري والتعصب المذهبي واللجوء إلى مواقف فكرية أو سياسية تراثية مضى عليها مئات السنين تقدم على كيل الاتهامات بالكفر والإلحاد والزندقة والهرطقة والمعتزلية والقدرية لهؤلاء وهؤلاء . كل هذا بهدف الخروج من مأزق فكري يقع فيه المسلم في مواجهة الفكر المعاصر. علماً بأنه ليس كل فكر أنتجه الإنسان هو عدو للإسلام بالضرورة. ولكن غياب المنهج المعرفي الذي يمكن أن يواجهه كل غث ويحتوي على كل ثمين هو الذي يؤدي إلى مواقف التشنج والسذاجة وضيق الأفق )[17]

ونقول نحن مع المؤلف في حقيقة عدم تلاحم المسلمين الآن ولكن لسنا معه في التفاعل مع أي فكر منحرف ولا بالأخذ بالقرآن وحده وترك السنة التي جاءت مصدقة للقرآن ومفسرة له بل ومكملة لأحكامه.

ج - أما النظرية الإسلامية المعاصرة التي يدعو المؤلف ( إلى إيجادها ومستمدة من القرآن حصراً ) مستبعدة السنة النبوية و أقوال المفسرين و الفقهاء المسلمين ( و لا بأس أن نأخذ من الفلسفات القديمة والجديدة حتى ولو كان أصحاب النظريات فيها ملحدين )

[17]. لمصدر نفسه ص31 ويعني بقوله حصراً من القرآن الكريم وسيأتي بيان موقفه من السنة .

فـــإن الأمـــر هنا بمنتهى الصعوبة حيث أن المؤلف في واد و الأمة في واد آخر ، وإذا قيل بحتمية ذلك فمن يقوم بذلك من الفئات التالية:

أ- أهـــم عـــلماء أهل السنة و الجماعة الذين ينعتهم المؤلف بالتحجر و الجمود ويأخذ عليهم إقتداءهم بالسلف الصالح وتمسكهم بما وصل إلينا عن طريق الثقات ويقترح إبعادهم عن التأويل [18].

ب- أم يؤخـــذ بنظريات الفلاسفة القدامى (التي يتبناها المؤلف وأمثاله) رغم أنهم يدعون المعاصرة [19].

ت- أم نســـتمد مـــن النظريات الماركسية التي يزعم المؤلف ( أن أهلها هم أهل الصدارة ) [20]. وما هي إلا مجرد أفكار يأتي بها الفيلسوف طبقا لأفكاره و تخضع لأفكاره و رغباته و كلها لم تصمد أمام الحقيقة ثبت بطلانها و نقض بعضها بعضا.

ث- أم نســـتمد من آراء الطوائف الباطنية التي ابتلي الإسلام بها منذ القرن الثالث الهجري إلى يومنا هذا ( و التي مجدها المؤلف و أثنى عليها) [21].

ج- أم يقـــوم بذلـــك من يسميهم المؤلف بالراسخين في العلم وهم حسب قوله (مجموعـــة كـــبار الفلاسفة وعلماء الطبيعة وأصل الإنسان وأصل الكون وعلماء الفضاء وكبار علماء التاريخ مجتمعين ) [22].

[18] المصدر نفسه 31 192.
[19] المصدر نفسه 31.
[20] المصدر نفسه 193.
[21] المصدر نفسه 580.
[22] المصدر نفسه 192.

## دعوته لنبذ المؤلفات الإسلامية :

و مؤلـــف القـــراءة المعاصرة : يضيق ذرعا بالمؤلفات الإسلامية و يتساءل ماذا يفعل بها. فـــيقول : (قد يسأل سائل ماذا نفعل بكتب التراث من فقه و تفاسير و الذي يطبع منها كـــل عـــام مئات الألوف من النسخ و تدرس على أنها الإسلام ؟!)[24] و يجيب فيقول ( الجـــواب على هذا السؤال الصعب جداً هو أنني لم أستطع أن أقدم هذا الكتاب و أصل إلى النـــتائج المطـــروحة فيه للقارئ إلا بعد أن تم حل هذه المعضلة مع التأكد بأنني عربي مؤمن مسلم ).

ولكن صاحب القراءة المعاصرة لم يضع أيدينا على الحل مباشرة بل انتقل إلى الحديث عن التراث ـ و الأصالة ـ و المعاصرة . فقال : ( علينا أن نميز بين المصطلحات الثلاثة الواردة أعلاه ) :

أ- **الـــتراث** : هو النتاج المادي و الفكري الذي تركه السلف للخلف و الذي يـــؤدي دورا أساسيا في تكوين شخصية الخلف في عقله الباطن ( نمط التفكير ) و سلوكه الظاهر . وهكذا نفهم التراث على أنه النشاط الإنساني الواعي في مراحل تاريخية متعاقبة .....الخ (21).[25]

[24] المصدر نفسه 32.

[25] المصدر نفسه 32.

ب- **المعاصرة** : وهي (تفاعل الإنسان مع النتاج المادي والفكري المعاصر والذي هـو أيضـا من نتاج الإنسان ففي هذا المعنى يكون التراث والمعاصرة مفهومين متداخلين يفصل بينهما لحظة الآن المتحركة باستمرار .....الخ ) (22)[26] .

ت - **الأصـالة** : (للأصـالة عنصـران متـتامان يفهم كل واحد منهما حسب الموضوع المطروح تحت عنوان الأصالة....الخ )(23). (فإذا قلنا أن اللسان العربي الفصيح لسان أصيل فهذا يعني أنه لسان له جذور غارقة في القدم وهذا هو العنصر الأول. وأنه ما زال حياً مستمراً إلى يومنا هذا وهو العنصر الثاني وهذا المعنى أخذناه من قوله تعالى:

**{أَلَـمْ تَـرَ كَـيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّـمَاءِ (24) تُؤْتِـي أُكُلَهَـا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25)}** (سورة إبراهيم 24،25) ....الخ )(24)[27]

و نقول : لعل الجواب على السؤال الصعب يؤخذ كما يلي :

أ- فمـن حديـثه عن المعاصرة قوله (وليس للناس خيار في الانتماء إلى تراثهم، ولكـن لهـم الاختيار في انتقاء معاصرتهم من التراث ومن منجزات عصرهم لآن الحدث الإنسـاني يدخل في عالم الممكنات. قبل وقوعه بحيث يمكن حدوثه أو عدم حدوثه وبعد وقوعـه يصبح حقيقة لا رجعة فيها ونحن العرب المسلمين لا خيار لنا في تراثنا أي أننا لا نسـتطيع أن نصـنع تراثاً غير التراث الذي حصل فعلا وورثناه ولكننا نستطيع أن نختار بأنفسنا منه ما يلزم حاضرنا ومستقبلنا ونحن أيضاً بهذا الاختيار نصنع تراثاً لأجيالنا المقبلة. إن القـرآن الكـريم قـد نهانـا أن نقف من التراث موقف الانصياع الأعمى والتقديس

---

[26] المصدر نفسه 32.

[27] المصدر نفسه 32.

قـــال تعـــالى : {مَـــا سَـــمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الأَوَّلِينَ} (المؤمنون 24). وقال تعالى : {بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ} (الزخرف 22). هذا الموقف يدعونا إلى أن نحترم تراثنا لا أن نقدسه (25).[28]

ب- و يقول ( إن الذين صنعوا التراث العربي الإسلامي هم من الناس و نحن من الناس أيضا ومعروف قول أبي حنيفة النعمان. هم رجال ونحن رجال وقد آن لنا أن نصنع تراثا لأجيالنا القادمة بملء إرادتنا وبدون حرج وهذه هي عين المعاصرة (26)[29].

ت- ويقـــول (إذا نظرنا إلى الحضارة العربية الإسلامية في الوقت الحالي نرى فيها عنصـــر الجـــذور متوفراً ولكن لا يوجد ثمار لأنها جفت ونضبت فنحن الآن مستهلكون للســـلع والأفكـــار حتى إن أفكار التراث استهلكت ونضبت ووصلنا في طرحنا لأفكار التراث إلى حد السذاجة في بعض الأحيان) (27)[30] .

ث- ويقول : (في هذا المقام يجب علينا أن نميز بين مصطلحين يقع بينهما الالتباس وهمـــا الأصالة والسلفية فالأصالة لها مفهوم إيجابي حي أما السلفية فهي عكس ذلك تماماً. الســـلفية كمـــا نفهمها هي دعوة إلى اتباع خطى السلف بغض النظر عن مفهوم الزمان والمكان أي أن هناك فترة تاريخية مزدهرة مرت على العرب استطاعوا فيها حل مشاكلهم الاجتماعـــية والاقتصادية والسياسية واستطاعوا أن يبنوا دولة قوية منيعة استطاعوا تحقيق العدالـــة بمفهومها النسبي التاريخي (28)[31] . وبالتالي فإن هؤلاء السلف هم نموذج يجب عليـــنا أن نتبع خطاهم ونقلدهم ولا نخرج عن نظامهم . فالسلفي هو إنسان مقلد إضافة

[28] [29] المصدر نفسه 33

[30] المصدر نفسه 32.

[31] يريد أنه لا يصلح إلا لعصرهم .

إلى أنـــه أهمـــل الـــزمان والمكان واغتال التاريخ وأسقط العقل. ويعيش السلفي في القرن العشـــرين مقلـــداً للقـــرن السابع والتقليد مستحيل لأن ظروف القرن السابع تختلف عن ظـــروف القرن العشرين فمهما حاولنا الرجوع إلى القرن السابع لا يمكن أن نفهمه كما فهمـــه أهله الذين عاشوه فعلاً . ولهذا السبب وقع السلفي في فراغ فكري وصل إلى حد السذاجة ) (29) .[32]

ج- ويقول : ( إن السلفية هروب مقنع من تحديات القرن العشرين وهزيمة نكراء أمـــام هذه التحديات وهي البحث عن الذات في فراغ وليس في أرض الواقع . هذا فيما يتعلق بالسلفية الإسلامية ولكن هناك نوع آخر من السلفية نراه عند تيارات أخرى تطرح حلولاً نظرية وتعمل في فراغ وفق نموذج متحجر طرح في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشـــرين واعتبرته مقدساً فلا خروج عنه. إنها تيارات سلفية أخرى لا تعيش زمانها ولا تـــتفاعل معـــه. وقد أثبتت الأحداث فشل هذا النموذج وبالتالي لم يكتب لها النجاح و لم تستطع تقديم حلول لمشاكل مجتمعاتها المعاصرة والملحة) (30)[33].

فمن كلام المؤلف في الفقرات السابقة يتبين أنه يرى عدم الاستفادة من كتب التراث التي تطبع وتدرس إلا أن نختار بأنفسنا ما يلزم حاضرنا ومستقبلنا (فالذين صنعوا ذلك التراث رجال ونحن رجال) وقد توجد فيه عناصر الجذور ولكنها جفت ونضبت.

---

[32] القراءة المعاصرة 34 .

[33] المصدر نفسه 35.

## دعوته للتزود من العلوم الأخرى والفلسفة :

ومؤلف القراءة المعاصرة الذي ضاق ذرعاً بالتراث ودعا فيما تقدم إلى نبذ السلفية وطرح المـــوروث الإســـلامي من فقه وتفاسير وغيرها نجده يدعو إلى التزود من العلوم الأخرى والفلسفة.

فـــيقول : ( فـــإذا أردنا أن نكون أصيلين في المعرفة فعلينا أن نستفيد من كل تراكمات المعـــرفة الـــتي أنتجها الإنسان ومن ضمنها التراث في كل العلوم (الجذور) وهي العنصر الأول للأصالة بحيث نحقق قفزة نوعية (الثمار) وهي العنصر الثاني للأصالة وهذا ما نسميه بالحضـــارة الحـــية فالحضارة الحية كالشجرة الحية لها جذور وتعطي ثماراً ينتفع بها الناس وليس في موسم واحد بل في مواسم متتابعة ) (31)[34] .

ويقول : (لذا فإنه ليس من العبث تسمية الفلسفة بأم العلوم) (32)[35] .

ويقول : (فإذا قلنا إن كل ما طرحه الفكر الإنساني شيء والإسلام شيء آخر أي كل ما خطر في بالك فالإسلام غير ذلك ينتج لدينا سؤال ما هو الإسلام وبضمن هذا المنطق لم يتم تعريف الإسلام إلى اليوم. أما إذا قلنا إنما طرح الفكر الإنساني فيه غث وفيه ثمين وفيه حق وفيه باطل وفيه خطأ وفيه صواب فهذا يعني أننا نحن المسلمين قادرون على أن نتفاعل إيجابـــياً مع الفكر الإنساني كله دون خوف أو وجل ولكن حتى يتم هذا التفاعل الإيجابي يجـــب علينا نحن العرب المسلمين أن نمتلك ميزاناً مرناً نستطيع أن نتفاعل به مع الآخرين دون خوف وهذا الميزان غير موجود عندنا في الوقت الحاضر ) (33)[36] .

---

[34] القراءة المعاصرة ص 34 .

[35] المصدر نفسه ص 32

[36] المصدر نفسه 31 .

ونحـــن نقول أن الأصالة تكمن في تراثنا الإسلامي فالحضارة العربية الإسلامية كما يقول المؤلـــف فـــيها عناصـــر الجذور متوفرة وكذلك توجد فيها ثمار بعكس ما يراه المؤلف. وعـــلماء الإســـلام الـــيوم لم ينظروا إلى التراث على أنه مقدس لا يأتيه النقص و لكنهم يناقشونه و يستفيدون منه لأنه ثمار باقية يانعة و لم تنضب أو تستهلك رغم مضي الزمان و تغـــير المكـــان ولـــيس السلفي في هذا الزمان مقلداً أعمى – و لا مذهبيا ملتزما بأحد المذاهب الأربعة لا المذاهب الخمسة كما يقول المؤلف بل السلفي الحق مفكر متبصر يزن الأمـــور و يفحص النصوص و يمحصها و لكنه لا يكتفي بنصوص القرآن حصراً بل يجمع إلى القـــرآن الكـــريم نصوص السنة التي لا تخالف القرآن بل تؤيده و تشرحه و توضحه وتفصله تفصيلاً مدعماً بالدليل. و قد وصل إلينا ومن خلال دراسة موضوعية و تاريخية و بطـــرق علمـــية صحيحة التزمت بالإثبات عن طريق للرواية أو السماع أو المشاهة وهي ممحصة في أغلب حالاتها من قبل الرواة العدل و من الفقهاء و الراسخين في العلم.

## موقف المؤلف من القرآن وإثباته أن التفسيرات من التراث

**تمهيد :**

يتســـاءل المؤلـــف عـــن القرآن هل هو من التراث أم لا و كعادته يفترض افتراضات ويرتب عليها احتمالات بقوله :

(هـــل الكتاب الذي أوحي إلى محمد صلى الله عليه وسلم و الذي يحتوي على نبوته ورســـالته هو من التراث أم لا يدخل في التراث. للإجابة على هذا السؤال لا بد أن نفترض أحد الفرضين التاليين :

1- إنمـــا يسمى بالكتاب و الموجود بين دفتي المصحف هو من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم.

2- إنمـــا يســـمى بالكتاب و الموجود بين دفتي المصحف موحى من عند الله سبحانه بالـــنص و المحـــتوى وأن الفصول فيه تسمى سوراً و أن السور مؤلفة من مقاطع كل واحـــد مـــنها يسمى أية. فإذا أخذنا الاحتمال الأول فهذا يعني أن الكتاب هو من الـــتراث لأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو من الناس والناس يصنعون التراث. ففي هـــذه الحالـــة يمكن أن يصنف محمد صلى الله عليه وسلم مع العظماء العباقرة لا مع الأنبـــياء والرسل وهذا ما فعله بالضبط أحد الكتاب الأميركيين (مايكل هارت ) إذ صـــنف محمداً صلى الله عليه وسلم أول عظيم في التاريخ وانطلت هذه الخدعة على كثير من المسلمين أنفسهم (34)[37] فإذا كان الكتاب هو من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم فيجب أن يحتوي على الخاصية التالية :

(أن أي إنســـان عظـــيم هو من نتاج عصره لا يخرج عن ذلك أبداً فإذا كان الكتاب من صـــنع محمد صلى الله عليه وسلم فهو بالتالي لا يصلح لكل زمان ومكان و إنما هو وليد الظـــروف الموضوعية حقق قفزة نوعية تصلح للقرن السابع في شبه جزيرة العرب ولعدة قرون تلته و لكنه غير صالح للقرن العشرين لأن الإنسان مهما بلغ من العبقرية فإنه يحمل طـــابع النسبية الزماني و المكاني، وهذا ما يقوله أعداء الإسلام عن الكتاب وقد ساعدهم على هذا القول لسان حال المسلمين السلفيين أنفسهم إذ حجروا الإسلام وفق نمط واحد (25)[38]. في قولهـــم إن الإســـلام هو وفق نمط القرن الأول الهجري صدر الإسلام وهم يقولون في الوقت نفسه إن الإسلام صالح لكل زمان و مكان ومن ها هنا وقعوا في معضلة غير قابلة للحل (36)[39] .

---

37 المصدر نفسه 35 و هذا خطأ فالمسلمون لم تنطل عليهم هذه الخديعة .

38 المصدر نفسه ص35.

39 المصدر نفسه 35

وهكـــذا نجد أن المؤلف افترض هذا الاحتمال على الرغم من أنه مقتنع بعدم صحته ولربما ساقه ليسوق فيه اتهاماته للمسلمين وخاصة السلفيين منهم بالغباء و التحجر ).

ثم يقـــول : ( و إن كان هذا الكتاب موحى من الله تعالى إلى محمد صلى الله عليه وسلم وهو نفسه خاتم الكتب ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل والنبيين فيجب أن يحتوي هذا الكتاب على الخواص التالية :

أ- أولاً أن الله سبحانه و تعالى مطلق و كامل المعرفة و لا يتصف بطابع النسبية وبالتالي فإن كتابه يحمل الطابع المطلق في المحتوى .

ب- بمـــا أن الله ســـبحانه و تعالى ليس بحاجة إلى أن يعلم نفسه أو يهدي نفسه وإنما جاء هذا الكتاب هداية للناس و آخر الكتب فوجب أيضاً أن يحمل طابع النسبية في الفهم الإنساني له .

ت- بمـــا أن نمط التفكير الإنساني لا يتم بدون لغة فيجب أن يصاغ بلغـــة إنسانية أولاً وثانياً أن تكون الصياغة لها طابع خاص وهو أنها تحتوي المطلق الإلهي في المحتوى والنسبية الإنسانية في فهم هذا المحتوى وهذا ما نعبر عـــنه بثبات الصيغة اللغوية "النص" و حركة المحتوى . ففي هذه الحالة يمكن أن نقـــول أن هذا من الله سبحانه وتعالى لأن الإنسان عاجز عن تحقيق هذه الشـــروط فإذا كان هذا الكتاب يحتوي على هذه الخاصية فعند ذلك تعطي آياتـــه طـــابع القدسية. أو النص المقدس الذي لا يمس ولا يحرف وإنما يجري تأويله على مر العصور و الدهور (37)[40] . وفي هذه الحالة لا يعتبر الكتاب تراثاً وإنما التراث هو الفهم النســـبي للناس له في عصر من العصور حتى ولو

---

[40] المصدر نفسه و لاحظ أنه يعني أن كل أهل عصر يؤولونه بما يناسب أرضيتهم المعرفية .

جـــاء هذا الفهم من عهد صدر الإسلام أي إن ما حدث في القرن السابع في جزيـــرة العـــرب هو تفاعل الناس في ذلك الزمان والمكان مع الكتاب وهذا الـــتفاعل الاحـــتمال الأول للإســـلام (الثمرة الأولى ) وليس الوحيد وليس الأخـــير. وقد كان هذا التفاعل إنسانيا في محتواه (إسلاميا) قومياً في مظهره وفي هذه الحالة يدخل هذا التفاعل ضمن التراث ما عدا العبادات و الأخلاق و الحدود ( الصراط المستقيم ) حيث أنها ليست تفاعلا مع العصر و قد عبر عن الأخلاق و الحدود بمظاهر العصر أما اللباس و الطعام الشراب وأساليب الحكـــم ونمـــط الحياة فهي تفاعل مع الشروط. وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم بهذا التفاعل الأول وكان الأسوة الحسنة )(38)[41] .

ونحـــن نقـــول : إنه لا يريد متابعة النبي صلى الله عليه وسلم بالأخذ بما عليه في عصره واتبعته فيه العصور المفضلة وإنما يعني أن الرسول صلى الله عليه وسلم فتح لنا باب الاجتهاد في المحتوى وهذا المحتوى نسبي . فلنا أن نجتهد —حسب رأيه — بمـــا يناسب لعصرنا وفق أرضيتنا المعرفية في زماننا هذا ومكاننا هذا فلا نلتزم بما التزم به النبي صلى الله عليه وسلم و صحبه و صحابته وهذا خطأ فليس لأحد أن يجـــتهد مع وجود النص عن النبي صلى الله عليه وسلم ومع وجود التفسير الذي نقله عنه صحابته وعلى رأسهم ابن عباس رضي الله عنهم أجمعين وليس لأحد أن يخرج عن ذلك.

وها هو يقول : ( إذا كان الإسلام صالحاً لكل زمان ومكان فيجب الانطلاق من فرضية أن الكتاب نزل علينا وأنه جاء لجيلنا في النصف الثاني من القرن العشرين وكـــأن النبي صلى الله عليه وسلم توفي حديثاً وبلغنا هذا الكتاب لذا فإن القارئ

---

[41] المصدر نفسه 36 أي لنا أن نقوم بالتفاعل الذي يناسبنا أسوة بالرسول حسب رأي المؤلف .

يلاحـــظ وبشـــكل واضـــح أننا في فهمنا هذا الكتاب نقف على أرضية القرن العشـــرين دون إغفـــال الـــتطور التأريخي لتفاعل الأجيال المتعاقبة مع الكتاب والتفاســـير و المذاهـــب الفقهية حيث كانت نظرتنا إلى هذه الأدبيات على أنها تفاعل تأريخي مع الكتاب ولذا فإنها تدخل ضمن التراث العربي الإسلامي فالفقه الإســـلامي المـــوروث يعكس المشاكل الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية في مـــرحلة تاريخـــية معينة و التفاسير تعكس الأرضية المعرفية للمرحلة التاريخية التي كتـــب فيها التفسير. اعتبرنا أنها لا تحمل طابع القدسية وإذا كان هناك تناقض في كتـــب التفسير فإننا لم نحاول تأويل أقوال المفسرين لكي نخرج المفسر بأنه على صـــواب دائماً وهذا ما نفهمه من مصطلح القدسية حيث أن القدسية هي لنص الكتاب فقط (39)[42].

## انتقاص المؤلف لعلماء المسلمين :

و المؤلـــف لا يكـــتفي بشـــجب التراث الإسلامي بل ينتقص من مكانة علماء المسلمين المعاصـــرين باقتصارهم على النقل عن المفسرين الأوائل وعن الصحابة رضوان الله عليهم ويصـــفهم بعدم الاجتهاد وأنهم بهذا الفعل لا يحققون صلاحية القرآن لكل زمان ومكان فيقول : ( فماذا قدم السادة العلماء للناس لقد تصدر العلماء المجالس و الإذاعة والتلفزيون عـــلى أنهم علماء المسلمين وجلهم ناقل وليس بمجتهد أي أنهم قدموا لنا فهم السلف من القرآن على أنه تفسير للقرآن والواقع أنهم بذلك لم يقدموا ما يؤكد أن القرآن صالح لكل زمـــان ومكـــان بل قدموا تفاعل هؤلاء الناس مع القرآن وبالتالي قدموا الأرضية المعرفية التاريخـــية لهـــؤلاء الناس إلينا نحن في القرن العشرين أي قدموا لنا تراثاً إسلامياً ميتاً وكل الشـــواهد التي نراها في القرن العشرين هي أن الإسلام دين خارج الحياة جاء للناس جميعاً

---

[42] المصدر نفسه ص 44.

وهـــو عبء عليهم والمشكلة أنهم نقلوه عن أموات وأهملوا أن صاحبه حي باق، وبعض رجـــال الدين شاءوا أم أبو بموت النبي صلى الله عليه وسلم و الصحابة حولوا القرآن تراثاً و لم يعـــلموا أن ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم و الصحابة هو الاحتمال الأول لتفاعل القـــرآن مع العرب في القرن السابع الميلادي ( الثمرة الأولى ) وبذلك أصبح الإسلام دين نقـــل ومات العقل والنظرة النقدية إلى النصوص. وعند مشايخنا فهم القرآن هو عن.عن. وقـــال مجاهد وعكرمة وابن عباس وابن كثير والزمخشري. علماً بأن أقوال هؤلاء ليس لها قيمة علمية كبيرة بالنسبة لنا ولكن لها قيمة تراثية أكاديمية بحتة. والقيمة الحقيقية هي للنص القـــرآني الحي المتشابه وهكذا يمكن لنا أن نقدم التبرير العلمي لإصرار النبي صلى الله عليه وسلم على تدوين الوحي وبنفس الوقت إصراره على عدم تدوين أقواله الشخصية لأن الله هـــو الحي المطلق ومحمد صلى الله عليه وسلم نبي ولكنه إنسان هكذا فقط يمكن أن نقول بكل جرأة علمية إن الإسلام صالح لكل زمان و مكان )(40)[43] .

أجـــل إننا نقول وبكل جرأة علمية إن الإسلام صالح لكل زمان ومكان وصلاحيته لذلك لا يعني إخضاعه للظروف كما يراه المؤلف ولكن بالارتقاء بالظروف إلى مرتبة الاستفادة مـــنه فالقرآن إنما هو كلام الله الذي خلق الخلق وهو الذي يخلق ظروفهم وهو الذي يغير أزمـــانهم وأمكنـــتهم عـــلى وجه هذه الأرض وهو الذي يأمرهم بأن يسيروا في الأرض ويـــتعرفوا على هذا الكون – و في أنفسكم أفلا تبصرون – قل سيروا في الأرض فانظروا – و لم يأمـــرهم بـــأن يركنوا إلى الراحة و الدعة وعلى حصول الأشياء بلا أسباب ولا أعمـــال وأفعال. فصلاحية الإسلام لكل زمان ومكان تكمن في الدق على ناقوس الحياة وإخضـــاعها والسيطرة عليها والتبصر والتفكر في معطياتها والبحث عن كل ما من شأنه كشـــف غوامضها وهذا ينجلي بالمنهج الذي يزعم المؤلف أنه غير كاف لحياة هذا العصر

---

[43] المصدر نفسه 209.

وعيـــبه أنه كان قد تم تحقيقه في صدر الإسلام وفي شبه جزيرة العرب ولكنه المنهج الحي الذي يشير إلى أن الإسلام الحي لم تصنعه أفكار الخلق قديماً ولا حديثاً حتى يتبدل حسب تغير الأزمنة والأمكنة وقد نقله إلينا الرسول صلى الله عليه وسلم. والذي أوضحه في سنته والـــذي نقل إلينا ومن وفق نهج لا يزال يتسم بالجدة والقوة والشمولية فإن الطريقة التي نقـــل إليـــنا بها هذا المنهج هي أوفى وأكمل المناهج العلمية والتي حتى الآن لم يصل إليها الكلـــل أو النقصـــان بخلاف الأقوال والأفعال التي يوردها المؤلف ويزعم أنه يتبع منهجا حديثا وهو لم يفصح عن هذا المنهج مرة واحدة رغم تكراره التحدث عنه فإن النقل عن – عـــن – لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وإيماءاته إلى الآيات القرآنية بالتفسير والتأويل وسكوته عما لم تدركه عقول أهل عصره أو بما يسمى – أسلوب الحكيم – أي إظهـــار فائدتـــه دون التعمق فيه كل هذا هو المنهج الصحيح وهو الذي تم نقله ولا يزال محافظ عليه حتى اليوم لأنه قد خدم من قبل العلماء من عهد الصحابة إلى يومنا هذا وليس لنا في القرن العشرين أن نبتكر و نضع أسساً جديدة للإسلام لكي يصلح لزماننا ومكاننا وأرضـــيتنا المعرفية بل علينا أن نأخذه وفق الطريقة والغاية التي وصل بها إلينا أي علينا أن نـــرتقي بعقولـــنا وأفكارنا إليه ليصلح حالنا في زماننا ومكاننا ولو كان لكل أهل عصر ومصر أن يخضعوا القرآن بل الإسلام لما يتطلبه عصرهم لحدثت تغيرات لعدد العصور التي مرت على الإسلام وحينئذ يصلنا الإسلام اسماً فقط ولا ينطبق عليه وصف المؤلف المتجني عـــلى الإسلام وأهل الإسلام ولكنه وفق المنهج الذي سار عليه أسلافنا ووصل إلينا أصبح محفوظاً كما أنزل علينا.

ويعجبني أن أسوق ما كتبته الدكتورة (نشأت ظبيان) في كتابها ذاك رد : ص 17-18 قالـــت : ( إن النصوص الدينية التي يدرسها الراسخون في العلم في علوم القرآن والحديث وعلـــوم الفقـــه والتفســـير كلها لا تقبل إلا إذا درست على طريقة علمية صحيحة وهي الدراســـة التاريخية الموضوعية المقترنة بالإثبات المروية والمسموعة والمكتوبة والتي ترجع في

كـــثير من الحالات إلى عدد كبير من الفقهاء والشارحين العدول الذين وصل بهم المتن إلى رســـول الله صـــلى الله علـــيه وسلم وهل من دراسة عندنا في القرن العشرين تفوق هذه الدراسة أو تماثلها و عهدي بالكُتَّاب الحديثين لا حاشية لهم في كتبهم يذكرون فيها عمن أخـــذوا تفسيراً معيناً ابتدعوه أو تملقوا أعداء الإسلام به و الحقيقة تقال إننا في عهد قلبت فيه المفاهيم جميعاً فرؤي العالم الجليل مضللاً و الجاهل عالماً. لقد ألغت الطرائق التي اتبعها المســـلمون القدامى كل علم نشأ عند اليونان أو الفرس أو الرومان على التوهم والإيهام فصحح الجاحظ كتاب الحيوان لأرسطو وأوضح كثيراً من المثالب والتوهم فيه وسار على نهـــج مـــا أتى به القرآن الكريم من حيث المبدأ على تحكيم العقل وتجربة التصور وإحكام التبصـــر وإعمـــال الحواس جميعاً لفهم حقائق الوجود. إلى أن قالت فلنقرأ هذه الطريقة العلمـــية في البحث والتعليم يضعها لنا العليم الخبير منهجاً علمياً حكيماً يستند إلى كل ما في النفس من طاقات مبدعة من سورة الإسراء {**وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً**} (الآية 36).

ونحـــن نقول إن رأي المؤلف هذا لا داعي له لو أنه أراد الاتباع ولكنه أراد بهذا الكلام أن يبرر خروجه وأهل عصره عن المفهوم الذي شرحه النبي صلى الله عليه وسلم عن القرآن.

الباب الثاني

# آراؤه في السنة وزعمه أن النبي صلى الله عليه وسلم قام بتحويل المطلق إلى نسبي (1)

**تمهيد:** مـــن عادة مؤلف القراءة المعاصرة. أنه إذا أراد إقناع القارئ بشيء جديد أو برأي يخشى فيه من معارضة القارئ أن يكرره عدة مرات أو يمهد له طويلاً ثم يتسرب إليه وهذا ما فعله في تقريره ( بأن ما صلح للقرن السابع لا يصلح للقرن العشرين وأننا إذا اجتهدنا وأخذنـــا مـــا يصلح لزماننا ومكاننا وظروف حياتنا فإننا متبعون للرسول صلى الله عليه وسلم ).

## رفضه للتعريف السائد للسنة :

يقـــول : ( لقد بحثنا في السنة فوجدنا أن تعريف السنة بأنها كل قول أو فعل أو إقرار أو نهي قام به النبي صلى الله عليه وسلم إنما جاء من قبل الفقهاء وليس من قبل النبي صلى الله عليه وسلم نفسه حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يصر على تدوين الكتاب وكان في الوقـــت نفسه يأمر الناس بعدم تدوين أقواله الشخصية فمن هذا خلصنا إلى مفهوم معاصر للسنة النبوية حيث كان دور النبي صلى الله عليه وسلم تحويل المطلق (41)[44] إلى نسبي. و الحركة ضمن حدود الله في القرن السابع في شبه جزيرة العرب وقد نجح في هذا نجاحاً باهـــراً وفي هذا يكون أول عظيم في التاريخ وهذه هي سنته على مر العصور والتي وجب

---

[44] المطلق : ما لم يقيد بقيد أو شرط .

عليـــنا التقـــيد بها وهي تحويل المطلق إلى نسبي أي أن باب الاجتهاد في الأحكام لا يغفل وبـــاب التأويل في القرآن لا يغفل وكل اجتهاد من قبل الناس في الأحكام (الحركة ضمن الحدود والوقوف عليها أحياناً) أو تأويل في القرآن يدخل في التراث على مر الزمن (42) [45] . لذا فقد خصصنا فصلاً خاصاً في الكتاب للسنة وأوجدنا تعريفاً معاصراً أصيلاً لها)[46] .

وهكـــذا نجـــد أن المؤلف نفسه ممن صدقوا ( مايكل الأمريكي ) بقوله ( بأن محمداً أول عظيم في التاريخ ).

ولذا نقول لا يجوز تحويل النص المطلق إلى محتوى نسبي بل يجب الالتزام بالنص، والاجتهاد إنمـــا يكون فيما ليس فيه نص (43) . وليس لكل شخص أن يجتهد أو أن يطبق ما يلائم ظـــروفه المعرفية – الزمانية و المكانية والاجتهاد لا يقوم به إلا الراسخون في العلم الملمون بجميع الجوانب ويخشون ربهم ويحترمون كلما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم والأولون منهم أدرى من غيرهم لقول النبي صلى الله عليه وسلم ((أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم )) وكذلك التابعون لاتصالهم بالصحابة.

## ويتساءل المؤلف هل السنة وحي أم اجتهاد ؟

فـــيقول : (هـــل كلام النبي صلى الله عليه وسلم وتدابيره وتصرفاته في هذه الأمور التي لا تـــتعلق بالأصول ( الحدود والعبادات والغيبيات إن صحت) (44)[47] وحي أم اجتهاد (45)[48] . (قال بعضهم إن ما كان يقوم به النبي صلى الله عليه وسلم هو وحي كله بقوله تعـــالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى(3)إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى(4)}(النجم 3،4) و الاستناد

---

[45] أي نختار منه ما تشاء كما قرر ذلك في كتابه ص 33 .

[46] القراءة المعاصرة 39.

[47] أي إن صحت نسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو كثيرا ما إذا ذكر الحديث أعقبه بقوله إن صح .

[48] القراءة المعاصرة 545.

إلى هذه الآية الكريمة لا مسوغ له البتة هنا. فالضمير (هو) لا يعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإنما يعود بوضوح وحصراً إلى الكتاب المنـــزل ولا علاقة للضمير هنا بالضمير قبله المســـتتر في الفعل "ينطق" العائد إلى النبي صلى الله عليه وسلم الذي يجعله في مرتبة حقا. هـــي مرتـــبة النبوة. لكن دون أن يجعل أقوال وأفعال النبي صلى الله عليه وسلم كلها من صنف الوحي على كل حال (46)[49] .

و يقـــول :(و هكـــذا فإنه يمكننا القول بأن ما اصطلح على تسميته بالسنة النبوية إنما هو حـــياة النبي صلى الله عليه وسلم كنبي وكائن إنساني عاش حياته في الواقع بل في الصميم مـــنه وليس في عالم الوهم فهو عليه الصلاة و السلام إلى جانب عنصر الوحي الذي كرمه الله بـــه عاش كامل حياته في القرن السابع( 47)[50] الميلادي في شبه جزيرة العرب بكل ما كان يحيط بها من ظروف جغرافية وتاريخية وثقافية وسياسية)(48)[51] .

وقال : ( لنلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم لم يعتبروا في وقـــت مـــن الأوقات أن الأحاديث النبوية هي وحي. فهو عليه السلام من جهته لم يأمر بجمعها كما فعل بالوحي – الكتاب – وكذلك الأمر مع الخلفاء الراشدين فقد فهموا أنها كانـــت نتـــيجة تعامل مع واقع معين في ظروف معينة عاشها النبي صلى الله عليه وسلم وجابـــه فيها عالم الحقيقة المكاني والزماني فهي بهذا الشكل منبعاً ثرياً يستفيد منه المؤمنون عامة والعلماء والمشرعون خاصة )(49)[52] .

[49] المصدر نفسه ص545.

[50] انظر كيف عاد إلى ما قرره ص39 و ذكرناه في أول هذا الفصل .

[51] المصدر نفسه ص 546.

[52] عاد إلى ما قرره ص39.

ونحـــن نقول أن تصرفات النبي صلى الله عليه وسلم كانت نتيجة تعامله مع واقع معين في ظروف معينة ليس بصحيح لحديث النبي صلى الله عليه وسلم اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما يشاء و لقوله تعالى : {**إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا**} (الآية 105 النساء ).

وقال : يبـــرز من هذا الأمر ســـؤالان :

1- (لمـــاذا لم يأمـــر النبي صلى الله عليه وسلم بجمع كلامه مع أنه أمرهم بتدوين الوحي بكـــل دقـــة وقال لهم في الوقت نفسه (( لقد تركت فيكم ما إن اتبعتموه فلن تضلوا أبداً كتاب الله و سنتي )) (50)

فذهـــب فـــئة من العلماء إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر بجمع كلامه وتدوينه لتجنب الاختلاط بين الوحي والحديث وهذه حجة واهية فالنبي صلى الله عليه وسلم أول من يعلم بقوله تعالى : {**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**}(الحجر 9). ثم إن ذلك كـــان سيســـتبعد بخطوة إجرائية بسيطة وهي تخصيص بعض الكتبة للوحي وبعض آخر للحديث (51)[53].

2- بعـــد أن فرغ الصحابة من جمع الوحي – الكتاب – وقد بدأ الجمع في أيام أبي بكر الصـــديق رضـــي الله عـــنه وانتهى تماماً في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه وثم نسخ المصـــحف الموجود بين أيدينا وتم إتلاف كل الصحف التي نسخ عليها الوحي وقد كان معظم الصحابة أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه على قيد الحياة فلماذا لم يجمع الصحابة الحديث كما جمعوا الكتاب بعد أن فرغوا من جمع الكتاب وتدوينه ؟ علماً بأن الأحاديث النـــبوية حول الحدود والعبادات والأخلاق – (الصراط المستقيم) قد انتقلت إلينا بالتواتر.

[53] القراءة المعاصرة ص546 و ليس هذا صحيح السنة كلام النبي صلى الله عليه وسلم

فـــإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك بنفسه و لم يفعله الصحابة رضوان الله علـــيهم مـــن بعده لسبب واحد وذلك لعلمهم بأن جمعه ليس ضرورياً. وأن الحديث هو مـــرحلة تاريخـــية وأن السنة ليست عين كلام النبي صلى الله عليه وسلم إذا لم يكن الأمر كذلـــك فهـــناك نتيجة واحدة وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله علـــيهم مـــن بعده كانوا يريدون إرباك المسلمين بعدم تدوين الحديث وهذا يعني أن الآية {**الـــيوم أكملـــت لكم دينكم**} لا معنى لها إذ كيف أكمل الدين والحديث لم يدون ؟ وكيف دون الصحابة الكتاب و لم يدونوا الحديث ؟ هذه التهمة هم برءاء منها للسبب التالي : إن عدم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بجمع كلامه وتدوينه وأمره بكتابة الوحي وحرصه المطلـــق عـــلى ذلك هو والصحابة يقود إلى فهم عميق لفرق أساسي بين النبوة والعبقرية فالعبقري هو إنسان أنتجه عصره في ظروف معينة مادية ومعنوية يسجل الناس عنه كلامه أو هو يسجله بنفسه أثناء حياته ولكن سيكون كلامه وتصرفاته نتاجاً يحمل طابع المرحلية وبالتالي فإن الواقع سيتجاوزه مع تطور الحياة في سباق الزمن وبما أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم هو نبي وليس عبقرياً وحسب فإنه قد علم أن جانب الوحي فيه النبوة والرسالة يتصل بعالم المطلق لينفذ به إلى عالم الحقيقة الموضوعي النسبي.

ففـــي الإســـلام جانـــبان : أ – المطلق وهو الله سبحانه وتعالى وقد عبر عن هذا الجانب بالكتاب الموحى بصياغة الله سبحانه وتعالى المتشابه في النبوة. والحدود في الرسالة.

ب – أمـــا الجانـــب النسبي في الإسلام فهو النبي صلى الله عليه وسلم في سنته (52)[54]. حيـــث أخذ المطلق ( الحدود في الرسالة وحوله إلى عالم الحقيقة النسبي الذي واجهه هو نفسه) (53)[55].

---

[54] المصدر نفسه 548.

[55] المصدر نفسه 548.

لقد نقلنا لك أيها القارئ الكريم معظم أقوال المؤلف في كتابه القراءة المعاصرة لتتبين كيف يأخذ القارئ ويدور معه كي يثبت الرأي الذي يراه ويعيده كرات ومرات فلعلك تنبهت إلى أقوالـــه الـــتي مرت عليك أنفاً وإذا كنت لم تتبين ما يهدف إليه فاقرأ ما يلي : قال : (و بهذا كان الإسلام صالحاً لكل زمان ومكان من حيث ذلك الاتصال بالمطلق "الكتاب" (54)[56] . ليـــتفاعل مع الظروف والمراحل التاريخية المتعاقبة فينتج مجتمعاً معيناً وحضارة معيـــنة في كـــل مـــرحلة فهـــو والحالة هذه يمكن أن يأخذ صِيَغاً حضارية حسب العالم الموضوعي الذي يتفاعل معه هذا هو السبب المحوري للنبي صلى الله عليه وسلم وصحابته في حرصـــهم على الوحي الذي هو المبدأ أو المطلق وأما الباقي فمتروك للإنسان في سباق الـــزمن فلا قوالب جاهزة مسبقاً و لا توقيف لحركة التاريخ في الإسلام هذا الشيء الذي تفـــاداه النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم ووقعنا فيه نحن، فجمدنا الـــتاريخ وحنطناه بأنفسنا و اتهمنا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك و نزعنا عن الإسلام أهم صفة من صفاته وهي الحنيفية في إخلاص الناس للدين )(55)[57] .

ونقـــول قولـــه ( أما الباقي فهو يعني " الســـنة " متروك الأخـــذ منها للإنسان في كل عصـــر وزمـــن) وبقول هذا الشيء تفاداه النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته فأين قول الرســـول صـــلى الله عليه وسلم ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضّوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور )).

[56] أحيانا يجعل المطلق هو الله ص547 و أحيانا يجعل المطلق هو الكتاب ص548.

[57] المصدر نفسه 548 .

## زعم المؤلف بأن الحديث ليس من أسس التشريع

ويزعم المؤلف أنّ الحديث ليس من أسس التشريع فيقول : (من هنا يأتي التعريف الخاطئ برأينا للسنة النبوية بأنها كل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو أمر أو نهي أو إقرار علماً أن هذا التعريف للسنة النبوية ليس تعريف النبي صلى الله عليه وسلم نفسه وبالتالي فهو قابل للنقاش والأخذ والرد هذا التعريف كان سبباً في تحنيط الإسلام علما بأن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم لم يعرفوا السنة بهذا الشكل وتصرفات عمر بن الخطاب تؤكد ذلك مع العلم بأن أسس التشريع الإسلامي هي الكتاب والسنة وهذا صحيح ولكن ليس الكتاب و الحديث) ويقول (إذا كان الأمر كذلك فما هو تعريف السنة ؟).

### تعريفه للسنة :

ثم يضع للسنة تعريفاً فيقول : (لنضع الآن تعريفاً للسنة وهو : السنة هي منهج في تطبيق أحكام أم الكتاب (56)[58] بسهولة ويسر دون الخروج عن حدود الله في أمور الحدود أو وضع حدود عرفية مرحلية في بقية الأمور مع الأخذ بعين الاعتبار عالم الحقيقة والزمان والمكان والشروط الموضوعية التي تطبق فيها هذه الأحكام (57)[59] معتمدين على قوله تعالى : {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}( البقرة 185) وقوله تعالى {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} (الحج 87) حيث أن السنة جاءت من سن وتعني في اللسان العربي اليسر والسهولة كقولنا : ماء سنون. أي يجري بسهولة وهذا ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم تماماً إذ أنه مارس تطبيق أحكام أم الكتاب متحركاً ضمن

[58] أم الكتاب عنده ( هي رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وهي كتاب الله و قد جاء القرآن تصديقاً لها )المصدر نفسه 211.

[59] انظر كيف عاد إلى رأيه المتكرر . المصدر نفسه 549.

حدود الله وواقفاً عليها أحياناً. من خلال عالم الحقيقة النسبي الذي عاشه هو لا نحن. ولم يكن في يوم من الأيام أو في موقف من المواقف حالماً أو متوهماً و لا مطلقاً (58)[60]

(لـــذا فإن الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم في القرن السابع في شبه جزيرة العرب هو الاحتمال الأول لتفاعل الإسلام مع مرحلة تاريخية معينة وليس الوحيد وليس الأخير حيث كـــان خـــاتم الأنبياء و المرسلين ولا يمكنه أن يفعل إلا هذا للحفاظ على حيوية الرسالة والنبوة إلى أن تقوم الساعة. و بما أن رسالته تقوم على الحدود فهو الرسول الوحيد الذي سمـــح له بالاجـــتهاد لأنه الخاتم ولكي يعلم الناس أن يجتهدوا لوحدهم من بعده حيث أن الإسلام هو تشريع إنساني ضمن حدود الله).

فنقول : بل يلزم اتباع النبي صلى الله عليه وسلم فيما فعله فهو الوحيد وليس لنا أن نخرج عـــن فعلـــه أو تقريـــره أو أن نجتهد ونترك ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم بحجة اختلاف الزمان والمكان فالإسلام تشريع إلهي وليس تشريعاً إنسانياً.

## ويقسم السنة إلى قسمين ســـنة الرسالة وســـنة النبوة :

فيقول : (الآن بعد أن عرفنا السنة علينا تقسيمها إلى فرعين رئيسيين وهما :

أ - ســـنة الرسالة.

ب - ســـنة النبوة.

فيقول (الآن بعد أن عرفنا السنة علينا تقسيمها إلى فرعين رئيسيين وهما سنة الرسالة وسنة النـــبوة وكمـــا قلت. فالنبوة علوم، والرسالة أحكام وتعليمات حيث أن الطاعة جاءت

[60] انظر كيف ذكر عالم الحقيقة النسبي ثم اقرأ ما بعده .

للرسالة و لم تأت للنبوة وليس في الكتاب أي آية تقول وأطيعوا النبي بل أن هناك آيات تقول وأطيعوا الرسول علماً بأن المدح العظيم لمقام النبوة في قوله تعالى:

**{إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}** (الأحزاب56)

ثم قال:

(سنة الرسالة يجب علينا أن نميز في سنة الرسالة بين الحدود والعبادات والأخلاق والتعليمات فهناك بعض الأوامر والتنبيهات جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم تخاطبه بعبارة (يا أيها النبي) فهذه الآيات تحتوي على تعليمات وإرشادات أو حالات خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم حصراً (59)[61]. وليس لها علاقة بالحلال والحرام إطلاقاً حيث أن الطاعة جاءت في مقام الرسالة بقوله **{وأطيعوا الله والرسول}** و بقوله **{لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة}** إذ قال رسول الله و لم يقل نبي الله.

**ونحن نقول :**

إن مخاطبة الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بقوله يا أيها النبي لا تنحصر في التعليمات أو الأحوال الخاصة ولكنها تحتوي أيضاً على التشريع وعلى أوامر تتعلق بالحلال والحرام والآيات في ذلك كثيرة منها قوله تعالى : **{يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم}** (الآية 1 الطلاق) فإن الضمير في هذه الآية ضمير الجمع وليس ضمير التعظيم وقوله تعالى **{يا أيها النبي جاهد الكفار**

[61] المصدر نفسه 549.

**والمنافقين واغلظ عليهم}** ( الآية 73 التوبة والآية 9 التحريم) فهل يجاهدهم النبي صلى الله عليه وسلم بمفرده أم معه المؤمنون فالله تعالى قال **{يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال}** (الآية 65 الأنفال) وقال تعالى **{قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله}** (الآية 29التوبة) وقال تعالى **{يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض}** (الآية 38التوبة) وقال تعالى **{وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج}** (الآية آخر سورة الحج 78).

وقال المؤلف ( وهنا يجب أن نميز بين نوعين من الطاعة )

1- (الطاعة المتصلة: وهي الطاعة التي جاءت فيها طاعة الرسول مندمجة مع طاعة الله بقوله تعالى **{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}** (آل عمران 132) وقوله **{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}**(الآية69 النساء) وبما أن الله حي باق وقد دمج طاعة الرسول مع طاعة الله في طاعة واحدة ففي هذه الحالات تصبح طاعة الرسول مع طاعة الله في حياته وبعد مماته هذه الطاعة جاءت حصراً في الحدود والعبادات والأخلاق "الصراط المستقيم" ونورد الأمثلة التالية) (61)[63]

2- (الطاعة المنفصلة: وهي الطاعة التي وردت في الكتاب في قوله تعالى **{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا**

[63] إذا أردت معرفة هذه الأمثلة ونحن لا نوافقه على أكثرها فاقرأ الصفحات 550-551-552 .

الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)(59) وقوله : (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} (المائدة 92) هذه الطاعة للرسول جاءت منفصلة عن طاعة الله، هذه الطاعة جاءت طاعة للرسول في حياته لا بعد مماته، أي في الأمور التالية والأحكام المرحلية وفي الأمور والقرارات التي مارسها كرئيس دولة وكقاض وكقائد عسكري (62)[64] . و في أمور الأحكام المعاشية والطعام والشراب واللباس حيث اتبع الأعراف العربية وكان يتحرك ضمن حدود الله دون أن يخرج عنها وفي الحالات القصوى للعقوبات يقف عليها. هذه الأمور تفهم فهما معاصراً في المضمون لا في الشكل وإذا كانت هناك أشياء مفيدة لنا في الوقت الحاضر أخذنا بها و إن كانت هناك أشياء غير مفيدة لنا تركناها. ولو كانت هنا طاعة رسول الله مندمجة مع طاعة الله و اتبعها " أولي الأمر منكم " حيث أن أولي الأمر منكم الأحياء من أولي الأمر لا الأموات في هذه الحالة تصبح طاعة أولي الأمر كطاعة الله في الصلاة و الصوم وإن معصية أولي الأمر تعني معصية الله ولا تصبح أولو الأمر هي ممثلي الله في الأرض وخلفاءه فعلاً. علماً بأن الإنسان هو خليفة الله في الأرض وليس الحكام)

---

[64] انظر كيف عاد إلى المرحلية .

## زعم المؤلف أن هناك أحاديث مرحلية

و المؤلف يزعم أن الأحاديث الخاصة بالمواضيع التي لم يرد ذكرها في القرآن ( إنها أحاديث مرحلية ولا يمكن أن تطبق على الدوام) فيقول: (فكل شيء قاله النبي صلى الله عليه وسلم في أمـــور لم يرد ذكرها في الكتاب بتاتاً وقال فيها هذا ممنوع وهذا مسموح ومعناها أنها أحكـــام مرحلية وحدود مرحلية لا علاقة لها بحدود الله (36)[65] .(أي أن النبي صلى الله علـــيه وسلم وضع حدودا لأمور ما. وما كان من الضروري أن يضع هذه الحدود وذلك وفقـــا للشروط الموضوعية التي عاشها. و طبقاً للمشاكل التي كان بصدد حلها ولا تحمل صـــفة الأبديـــة كحدود الله، مثل منع التصوير والنحت والرسم والموسيقا والغناء ولبس الذهـــب واستلام المرأة لمناصب في الدولة (64)[66] . (فإن منع النبي صلى الله عليه وسلم للرســـم والنحت والتصوير إن صح " كان مفهوما في حينه حيث أن العرب كانوا حديثي عهـــد بالوثنـــية فمنع ذلك كخطوة وقائية مؤقتة – حيث أن هذا المنع لم يرد في الكتاب نهائـــياً. حيث ورد في الكتاب اجتناب الرجس من الأوثان لا اجتناب الأوثان. (65)[67] (حيـــث أن كـــل هـــذه الأحاديـــث ليس لها علاقة بحدود الله. وقد علمنا بهذا أن كل التشـــريعات غير الإلهية تحمل طابع الضرورة المرحلي. و علمنا أن نشرع) (27)[68] . (من هـــذا المـــنطلق يجب علينا فصل الأحاديث التي تتعلق بالحدود و العبادات والأخلاق على حدة – أي أحاديث الصراط المستقيم- و علينا هنا أن ننبه بأن الله سبحانه وتعالى لم يعط لأحـــد الحق في وضع حدود تشريعية ثابتة إلى أن تقوم الساعة حيث سميت الحدود حدود الله في قوله تعالى:

---

[65] انظر كيف يتسرب إلى غايته وأقرأ ما بعد ذلك /المصدر نفسه 552.

[66] المصدر نفسه ص553

[67] المصدر نفسه ص 553

[68] يزعم أن تشريعنا لأنفسنا إنما هو اتباع للرسول .

{وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ} النساء 14). هنا الهاء تعود إلى الله فقط ولو سمح الله بوضع حدود للنبي صلى الله عليه وسلم كحدوده تماماً لقال يتعد حدودهما ولو كان الأمر كذلك لوجدنا نسخة واحدة من كتب الحديث ومضبوطة تماماً كآيات الحدود في الكتاب أي لاهتم النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم بجمعها وضبطها كاهتمامهم بالكتاب) أما بقية الأحاديث التي تتعلق بالسلوكيات العامة والاجتماعية فلها أهمية تاريخية فقط وهي غير ملزمة لأحد وتندرج تحت أحاديث التشريع الخاص والقرارات والأجوبة على أسئلة طرحت عليه خلال حياته اليومية التي عاشها صلى الله عليه وسلم وهكذا نفهم أن السنة النبوية هي اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم في تطبيق أحكام الكتاب من حدود وعبادات وأخلاق آخذاً بعين الاعتبار العالم الموضوعي الذي يعيش فيه متحركاً بين الحدود وواقفاً عليها أحياناً ووضع حدود مرحلية للأمور التي لم ترد في الكتاب، وفي هذا الرسول كان الأسوة الحسنة لنا إلى يوم الدين بالحنف ضمن حدود الله وفي وضع حدود حنيفية لبقية الأمور (28)[69] وفي هذا قال ((ألا إني أوتيت هذا الكتاب ومثله معه)) وهكذا نفهم قول النبي صلى الله عليه وسلم إن صح :

((اختلاف أمتي رحمة)) (الجامع الصغير ح 12/1) أي أن المسلمين يختلفون في الحركة ضمن حدود الله من مكان لآخر ويختلفون في وضع حدود إنسانية أيضاً حسب الزمان والمكان وهذه هي عين الرحمة وعين السنة، لذا وجب علينا أن نعيد فهم الأحاديث في ضوء فهم الكتاب لا العكس حيث أن الأسلوب المتبع التقليدي هو فهم الكتاب في ضوء الحديث )(67)[70] .

---

[69] المصدر نفسه ص553 قرر أننا إذا شرعنا لأنفسنا ووضعنا حدوداً بأننا نكون متبعين للرسول .

[70] أنظره يقول حدود إنسانية متأثرين بزمانهم و مكانهم المصدر نفسه 554.

ونحن نقول إن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء عن الله بقوله {**وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول**} واجبة في حياته وبعد موته وليست في حياته فقط ولذا فسنة الرسول صلى الله عليه وسلم يلزم إتباعها بعد موته ولا يمنع من ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأمر بجمع الأحاديث وكذلك أصحابه من بعده ولكنه أمر بالعمل بها فقال ((خذوا عني مناسككم)) وقال ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ)).

و بعد أن تكلم عن أحاديث الرسالة ( حسب تقسيمه ) تكلم عن أحاديث النبوة فقال : أحاديث النبوة تنقسم إلى نوعين :

أ- أحاديث تتعلق بالغيبيات أي تشرح القرآن وتتعلق بالفهم العام للقرآن وليس التأويل إذ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ممتنعاً عن التأويل. هذه الأحاديث يجب أن تتطابق مع المفهوم العام للقرآن حيث أن المفهوم العام يتطابق مع الحقيقة والعقل وإذا لم يتطابق فتهمل.

ب- أحاديث تتعلق بشرح تفصيل الكتاب كقوله أوتيت القرآن ومثله معه هنا يشرح أن السبع المثاني هي القرآن وقوله (في ليلة القدر أنزل القرآن إلى السماء الدنيا) هذه الأحاديث يجب أن تتطابق مع آيات تفصيل الكتاب لا محكمة ولا متشابهة)(31)[71] .

و نلاحظ أن المؤلف لم يمثل للأحاديث المتعلقة بالغيبيات لأنه لم يستطع دعم رأيه بضرورة مطابقتها مع المفهوم العام للقرآن الذي يتطابق مع الحقيقة والعقل. مع أنه ذكر في موضع آخر (أنه لا مقياس للعقل) فأي عقل تطابقه.

---

[71] المصدر نفسه 554 .

ونقـــول وحيث أن العقول ستنكر ما لم تحط به فإن الرسول صلى الله عليه وسلم أعرض عـــن هذه الغيبيات وكما قلنا لجأ إلى الإجابة عن السؤال عن الأهلة بذكر فائدتها أما الآن وبعد أن سخر الله العلم للناس فقد تبين صدق قوله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال من المشرق ويعلم به من في المغرب ساعة خروجه.

وأمـــا رأي المؤلف بأن الرسول لما قال أوتيت القرآن ومثله معه إنما عنى (بمثله معه) السبع المثاني وأنها القرآن. وهذا الرأي قليل من يراه والأوضح أن النبي صلى الله عليه وسلم قصد بمثله معه الحكمة أي السنة. وإن كان المؤلف يعارض هذا الرأي.

ونعـــود إلى المؤلف لعله أدرك خطأه فنجده يقول (ويبقى أن أتمنى على القارئ الكريم أن يفهمني بدقة ولا يظن أننا نرد الحديث النبوي معاذ الله وكيف نفعل وقد سمعنا قوله صلى الله علـــيه وسلم ((ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني فيقول بيننا وبينكم كتاب الله)) ولكننا ندعو إلى إعادة فهم الحديث وتصنيفه ونقده وقدره حق قدره) (69)[72].

وتحت عنوان :

## جمع الحديث وتدوينه وفهمه

قـــال المؤلف : (لنناقش الآن لماذا تم التأكيد الكبير على حرفية الحديث حيث أن الفقهاء الأربعة ظهروا في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة (الشافعي ولد عام 150هجري) والفقهـــاء الأربعـــة ظهروا في أوائل العصر العباسي وكذلك المحدثون (البخاري ولد عام 196هجري).

---

[72] المصدر نفسه 554.

و يلاحـــظ أن المؤلف يدخل المذهب الجعفري ضمن المذاهب لذا قال الفقهاء الأربعة لأن أبا حنيفة عاش قبل ذلك.

ثم يقـــول (إن السبب لجمع الحديث أولاً وللتأكيد عليه ثانياً هو سبب سياسي بحت تولد عـــنه مـــنطلق فكري عقائدي بعد سقوط دولة الخلفاء الراشدين وظهور الدولة الأموية) (70)[73].

ونحـــن نقـــول : إن الواقع يخالف رأي المؤلف بأن سبب تدوين الحديث سياسي كما أن الحديث لم يدون في عهد بني أمية وكان أول مصنف في الحديث موطأ الإمام مالك رحمه الله كما جاء عن الإمام مالك ( أن المنصور العباسي دعاه ذات يوم وقال له إن الناس اليوم بحاجـــة إلى الرجوع لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ولا أرى من يقوم بذلك إلا أنـــا أو أنـــت بما أنني منشغل في أمور الناس فإنني أطلب منك أن توطئ للناس هذا الأمر فكـــان ذلك وسمى الإمام مالك مصنفه بالموطأ و لم ينته منه إلا زمن خلافة هارون الرشيد الـــذي أرســـل إلى مالك ليأتيه بالمصنف فقال العلم يؤتى إليه ولا يؤتى به فذهب الخليفة هارون الرشيد إلى منـــزل الإمام مالك و اطلع على الموطأ.

ثم قال المؤلف : (ظهرت فرق في الإسلام كلها ذات منشأ سياسي وكان هذا المنشأ بحاجة إلى أرضـــية إيديولوجـــية (الشـــيعة الخوارج). وظهرت بداية تيارات فكرية فلسفية مثل (الجهمية و القدرية و المرجئة) هذه التيارات حاولت تبني الفهم الفلسفي للقرآن وللرسالة هـــذا الفهم الذي كان بعيداً عن العرب في حياتهم البدوية ضمن ظروفهم في شبه الجزيرة العربـــية حيـــث كانوا أبعد الناس عن الفلسفة والفهم الفلسفي وكان الصحابة جزءاً من

---

[73] المصدر نفسه 566.

هؤلاء العرب. إن المشكلة الكبرى التي ما زلنا نعيشها اليوم بسبب تكريس مفهوم الحديث والتأكيد عليه تكمن فيما يلي :

أ - (هـــل نحن أفهم من الصحابة في فهم الكتاب ؟ في الجواب على هذا السؤال يجب أن نكون جريئين في الحق دون خوف الجواب نعم أو لا. فالجواب نعم نحن على يقين بأننا في أواخـــر القـــرن العشرين في مشاكلنا التي لا يعرف الصحابة عنها شيئاً و بوجود الكتاب الذي لا ريب فيه بين أيدينا قادرون على نقله من عالم المطلق إلى عالم النسبية الذي نعيشه نحن وقادرون أن نتحرك ضمن الحدود بشكل يتناسب مع عصرنا وفي هذا نحن أقدر منهم وليس من الضروري أبداً الاعتماد على أقوالهم وتحريها فوضعنا منهم هو إن كانت أقوالهم تناسبنا أخذناها وإن كانت لا تناسبنا تركناها.

ب - و الجـــواب لا : لأنهم فهموا الإسلام حسب شروطهم وظروفهم أفضل من فهمنا التاريخي للإسلام وهو متفاعل مع ظروف القرن السابع في شبه جزيرة العرب. إن المغالطة الكـــبرى هـــي أننا نريد أن نفهم الإسلام فنرجع من القرن العشرين إلى القرن السابع في طريقة تفكيرنا أي أننا نريد أن نفكر كما فكروا هم وهذا مستحيل ثم بعد ذلك ننتقل من القـــرن الســـابع إلى القرن العشرين لنقدم إسلام القرن السابع في القرن العشرين في هذه العملية يتم تشويه التاريخ والتطور والزمان والمكان (71)[74].

ويجدر بنا أن نورد ما قالته الدكتورة نشأت ظبيان في كتابها

( ذاك رد ؟! عن قراءة معاصرة للكتاب و القرآن ) قالت في ص20 .

---

[74] المصدر نفسه و انظر كيف عاد ليؤكد وجوب الانطلاق من عالم المطلق إلى عالم النسبية وهذا هو اتباع النبي .

لقـــد ألح المربي العظيم على تنمية حاستي التبصر والتصور في لب المسلم فنشأت على الأثر ثلـــة من العلماء لم يشهد لها التاريخ مثيلاً فوهبوا ذمتهم وجهدهم وما من الله عليهم من بصـــيرة نافذة وعقل نير لإيجاد الحقيقة العلمية الموضوعية في هذا العالم بعدما كانت العلوم رهناً للأهواء والأوهام والإيهام ذاك الذي نراه الآن في القرن العشرين في كثير من الفنون السريالية والآداب الرمزية ونتاج اللامعقول فرضوا الفلسفة السفسطائية والفلسفة اليونانية والفلسفة الفارسية وجعلوا الحكمة التي هي خلاصة موقف عوضاً عنها. لأنها تجبر الإنسان على التصرف رهن الأوضاع مقدرة بمقدارها. وحفظوا الحديث الشريف من كل تخريف و تصـــحيف وانـــتحال فعملوا على إيجاد التعديل والإسناد والسماع من عدد كبير من العـــلماء والفقهاء وحفاظ الحديث وكان المحدث منهم يسافر عدة أشهر في طلب حديث لـــيقف عـــلى حقيقة سنده وأصل لفظه وصحة معناه لذلك كان ما أتانا عنه كله محفوظ أشـــد الحفـــظ مصوناً أشد الصون منقى من كل دخيل مصفى من كل شائبة فمن الظلم الفادح الإدعاء تصحيحه أو تفسيره تفسيراً يتنافى مع حقيقته وهدفه وصحة معناه ).

## زعم المؤلف إن الاقتداء بالرسول هو تحويل المطلق إلى نسبي :

وقال المؤلف : (وينتج لدينا إسلام خيالي يعيش في فراغ وخارج التاريخ ودين لا علاقة له بالحياة بل خارج الحياة . هذه الحالة إن لم ننتبه إليها ونصححها فلا أمل في تقدم المسلمين والخروج من مأزقهم. والخروج من المأزق هو استيعاب السنة بمفهومها الحقيقي " الأسوة الحسنة للرسول ((وبعثت بالحنيفية السمحة ومن خالف سنتي فليس مني )) وهو أننا يجب أن نكـــون واثقين من أنفسنا و نقول إننا في القرن العشرين قادرون على تحويل المطلق إلى نســـبي كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم وليس عين ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم، وكمـــا فعل أبو بكر الصديق و عمر بن الخطاب وليس عين ما فعلاه. لأنهما فهما الحقيقة وإذا كـــان هناك أمور في صدر الإسلام نعتبرها مفيدة اليوم أخذناها وإذا كانت لا تفيد

تركـــناها دون حرج و نحن قادرون أيضاً أن نتحرك ونجتهد ضمن حدود الله ورسوله في الأمور التي وردت في الكتاب وقادرون على أن نضع حدوداً في الأمور الأخرى كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم )(72)[75] . (هذا الكلام يجب أن لا يفهم على أننا نكيل الاتهام لهـــم أو نقلـــل من قدرهم و عظمتهم لا سمح الله و لكن يجب علينا أن نعطيهم قيمتهم التاريخية النسبية دون أن نضعهم في المطلق (73)[76] .

و يقـــول (فـــإذا سألني سائل الآن ألا يسعك ما وسع الصحابة في فهم الكتاب والقرآن فجـــوابي بكـــل جـــرأة ويقين كلا لا يسعني ما وسعهم لأن أرضيتي العلمية تختلف عن أرضـــيتهم ومـــناهج البحث العلمي عندي تختلف عنهم وأعيش في عصر يختلف تماماً عن عصـــرهم. والتحديات التي أواجهها تختلف عن تحدياتهم. إني أواجه فلسفات قوية ومنيعة دخلـــت عقر داري وأواجه تقدما علميا يؤثر على كل حركة وكل قرار أتخذه في حياتي وأكون متوهماً إذا قلت أو قبلت أنه يسعني ما وسعهم ). (74)[77] .

ونقـــول لـــلمؤلف إن لم يسعك ما وسع الصحابة رضوان الله عليهم فلن تكون القدوة الحسنة لمعاصريك وللأجيال القادمة. أما كون الأرضية العلمية قد تغيرت ومناهج البحث قد تقدمت وأن هذا العصر قد تنوعت فيه الوسائل وظهرت فيه الفلسفات. فإن الصحابة والـــتابعين الأولـــين قد واجهوا مستجدات لم تكن موجودة في عهد النبي صلى الله عليه وســـلم فأرجعوهـــا إلى الكـــتاب والسنة فأطروها. ووردت عليه فلسفات وعقائد مع الفـــتوحات فنقضـــوها وأبطلوا زيفها ومنذ ذلك اليوم إلى هذا اليوم لم تحدث مشكلة إلا وحلت على ضوء الكتاب والسنة.

---

[75] عاد ليؤكد أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا أن نجتهد بما يلائم ظروفنا وعصرنا .

[76] اعتذار فيه لمز وخبث

[77] المصدر نفسه 572 .

(ثم يـــؤرخ لظهـــور الحركات الفكرية أولها في العصر الأموي بعد الفتوحات العربية كما يقول (75)[78] .

وينتهي به الحديث بقوله لقد وضع المتصوفة النبي صلى الله عليه وسلم في عالم المطلق من حيث الوجود ووضعه الفقهاء في عالم المطلق من حيث التشريع)(40)[79] .

---

[78] المصدر نفسه 572 .

[79] المصدر نفسه 567 ولكي لا نتعب القارئ تحيله على الصفحات من آخر صفحة 567 حتى نهاية ص572.

الباب الثالث

# تقسيمه المصحف إلى – كتاب– قرآن – ذكر – فرقـــان

## تمهيد :

يسرد المؤلف الآية _ قال الله تعالى {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}(الحجر 9).

ثم يقـــول: تصادفنا في المصحف إلى جانب لفظة الذكر الألفاظ التالية : الكتاب _ القرآن _الفـــرقان. فهل هذه الألفاظ كلها تشير إلى معنى واحد لأنها مترادفات (1)[80] . أم أنها تشير إلى معان مختلفة وإذا كانت تلك الألفاظ تشير إلى معان متغايرة فما معنى كل لفظة؟

نـــبدأ أولاً بتحديد مصطلح الكتاب والقرآن ونحدد ثانياً مصطلح الذكر ثم نبحث ثالثاً في مصطلح الفرقان.

أولاً : الكتاب و القرآن :

الكتاب من كتب – والكتاب في اللسان العربي يعني جمع أشياء بعضها مع بعض لإخراج معـــنى مفيد أو لإخراج موضوع ذي معنى متكامل و عكس "كتب" من الناحية الصوتية "بتك" ويمكن قلبها بحيث تصبح بكت (2)[81] . ونقول نحن : إننا سنقف عند هذا الحد

---

[80] لا يرى ذلك لأنه سبق وأنكر الترادفات في ذلك انظر القراءة المعاصرة(51) .

[81] هو يعتمد الأصوات في اللغة .

مـــن تعريفه للكتاب حيث كفانا التعليق على ما سرده المؤلف من تعريفات وأمثلة جاوز فيها الحد – صاحب كتاب بيضة الديك الأستاذ يوسف الصيداوي ( 3)[82].

و يقول المؤلف : وعندما نقول كتاباً ونقف يبقى المعنى ناقصاً حتى نقول كتاب ماذا وإذا قلـــنا كلمة كتاب و لم نعطها إضافة لتوضيح الموضوع يصبح المعنى ناقصاً أما عندما تأتي كـــلمة الكـــتاب معرفة بأل التعريف – الكتاب – فأصبح معرفاً عندما قال تعالى {**ذلك الكتاب**} في ثاني آية من سورة البقرة بعد {**"ألم" ذلك الكتاب لا ريب فيه**} قالها معرفة و لم يقل كتاب لا ريب فيه لأنه لو قالها لوجب تعريف هذا الكتاب (4)[83] .

و نحن نقول : (لقد أخطأ المؤلف حين زعم أن كلمة كتاب لا تعطي معنى إلا إذا أضيفت أو خصصت بنعت فلقد وردت في القرآن – نكرة – أكثر من عشر مرات وأما استدلاله بالآيـــة {**وكل شيء أحصيناه كتاباً**} حينما قال لا يوجد شيء من أعمال الإنسان وفي ظواهـــر الطبيعـــية إلا من الكتب) فهذا خطأ أيضا لأن الله سبحانه وتعالى لم ينـــزل هذه الآيـــة بســـبب ما يزعم المؤلف في قوله هذا وما قبله فليس معنى كتابا – في هذه الآية – الكتـــب أو مجموعة العناصر كما قال المؤلف بل معناه الكتابة ويقول المؤلف (عن الكتاب أنـــه موضـــوع لمجموعة المواضيع التي أوحيت إلى محمد صلى الله عليه وسلم هي مجموعة الكتب التي سميت الكتاب ويؤيد ذلك أن سورة الفاتحة تسمى فاتحة الكتاب هذا الكتاب هـــو مجموعة المواضيع التي أوحيت إلى محمد صلى الله عليه وسلم من الله بالنص والمحتوى (5)[84] . والـــتي تؤلـــف في مجموعها كل آيات المصحف) ولو أن المؤلف وقف عند هذا الحـــد فلربما كان إلى الصواب أقرب حين يقول الله {**رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة.**

---

[82] بحثت عن يوسف الصيداوي فلم أعثر عليه.

[83] انظر القراءة المعاصرة ص54.

[84] المصدر نفسه 54 وهو فيما سيأتي سيجعل المحتوى نسبيا فالتي أخذ من المحتوى ما يناسب عصره وأما نحن من حقنا أن نأخذ ما يناسب عصرنا .

**فيها كتب قيمة**} (البينة 2،3) و لكنه ذهب يقطع المصحف ويقسمه إلى **أقسام** ثم يقسم الأقسام إلى أجزاء فيقول (هذا الكتاب يحتوي على مواضيع رئيسية هي :

1- **الذيـــن يؤمـــنون بالغيـــب** ( الـــبقرة 3)

كتاب الغيب.

2- **و يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**

(البقرة 3) كتاب العبادات والسلوك – سلوك

– أي أن هـــناك نوعين من الكتب : النوع الأول هو الذي يتعلق بســـلوك الإنسان ككتاب الصلاة الذي يتألف من الوضوء والقيام والركوع والسجود. وهذه الكتب غير مفروضة على الإنسان حتماً (6)[85] . بل له القدرة على الالتزام بها أو عدم التقيد بها ويعني ذلك أن الإنســـان هو الذي يقضي ويختار موقفه منها وأطلق على ذلك النوع في المصحف مصطلح القضاء.

الـــنوع الثاني قوانين الكون وحياة الإنسان ككتاب الموت وكتاب خلـــق الكون والتطور والساعة والبعث وهذه الكتب مفروضة على الإنســـان حتماً وليس له القدرة على عدم الخضوع لها وأطلق على هذا النوع في المصحف كمصطلح القدر ويتوجب على الإنسان أن يكتشـــف هذه القوانين ويتعلمها ليستفيد منها بمعرفته لها. وبما أن محمـــداً صلى الله عليه وسلم هو رسول الله وهو نبي فهذا الكتاب يحـــتوي عـــلى رسالته ونبوءته فالرسالة هي مجموعة التعليمات التي

---

[85] لعله يريد أن الإنسان غير مجبر عليها وإلا فهي فرض عين يلزم الإنسان المكلف بها .

يجب على الإنسان التقيد بها "عبادات "معاملات " أخلاق " الحلال والحـــرام، وهـــي مناط التكليف (8)[86] والنبوة من "نبأ " وهي مجموعة المواضيع التي تحتوي على المعلومات الكونية والتاريخية "الحق والباطل وعليه فالكتاب يحتوي كتابين رئيسيين :

1) الكتاب الأول **كتاب النبوة**: ويشتمل عـــلى بيان حقيقة الوجود الموضوعي ويفرق بين الحق والباطل أي بين الحقيقة والوهم.

2) الكـــتاب الـــثاني **كـــتاب الرسالة**: ويشـــتمل على قواعد السلوك الإنساني الواعي ويفرق بين الحلال والحـــرام "الرســـالة " وقد أوضح في سورة آل عمران أن الكتاب ينقســـم إلى موضوعين رئيسيين " كتابين " **{هُوَ الَّذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذيـــنَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيله وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الأَلْبَابِ}**(آل عمران 7).

1- الأول الكـــتاب المحكم أي مجموعة الآيات المحكمات وقد أعطيت تعريفاً خاصاً بهـــا هو (أم الكتاب )(9)[87] . وبما أن أم الكتاب هو مصطلح فقد عرف بمجموعة الآيات المحكمـــات (12)[88] . حيث أن هذا المصطلح جديد على العرب فالعرب تعرف أم الرأس

---

[86] هذا يوضح ما قلناه من أنه مكلف و مخير .

[87] للأستاذ الصيداوي في كتابه بيضة الديك ملاحظات على هذا فتقرأ من ص 18-34) .

[88] الآيات المحكمات التي عرفت بأم الكتاب .

(ضربه على أم رأسه) ولكنها لا تعرف أم الكتاب فعرفها لهم. ولمصطلح أم الكتاب معنى واحد أينما ورد في الكتاب أي لا يمكن أن يكون لهذا المصطلح معنى حقيقي وآخر مجازي بل معناه الوحيد المعروف هو ما عرف به. وهو مجموعة الآيات المحكمات والآيات المحكمات هن مجموعة الأحكام التي جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم والتي تحتوي على قواعد السلوك الإنساني ـ الحلال والحرام ـ أي العبادات ـ و المعاملات والأخلاق والتي تشكل رسالته.

وهو فيما يأتي يقسم الكتاب إلى ثلاث أقسام فيقول :

2- وإذا فرزنا مجموعة الآيات المحكمات على حدة فما تبقى من آيات الله بعد ذلك فهو كتابان أيضاً وهما الكتاب المتشابه وكتاب آخر لا محكم ولا متشابه وهذا الكتاب الآخر يستنتج من قوله تعالى {**وأُخر متشابهات**} حيث لم يقل والآخر متشابهات فهذا يعني أن الآيات غير المحكمات فيها متشابهات وفيها آيات من نوع ثالث لا محكم ولا متشابه. وقد أعطى لهذه الآيات مصطلحاً خاصاً بها في سورة يونس وهو " تفصيل الكتاب " وذلك في قوله تعالى : {**وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْءَانُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**}(يونس 37). فهذه الآية تدلنا على وجود ثلاثة مواضيع هي :1- القرآن. 2- الذي بين يديه. 3- تفصيل الكتاب وقد أكد أن تفصيل الكتاب موحى أيضاً من الله تعالى في قوله {**وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**} (11)[89] .

و نقول : وقع المؤلف في هذا الخطأ بسبب اعتماده على أنه لا يعطف إلا المتغايرات أو الخاص على العام فجعل ما بعد الواو مغايراً لما قبلها فقسم موضوع الآية السابقة وهي قوله تعالى :

---

[89] المصدر نفسه 56 قراءة معاصرة .

{وَمَـا كَانَ هَذَا الْقُرآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} إلى ثلاثة أنواع لا علاقة لواحد بالآخر والصحيح أن ذلـك إيضاح للقرآن وأنه يشتمل على {تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ} وأمـا استدلاله بقوله تعالى {وأخر متشابهات} على أنها تعني الآيات المتشابهات وغيرها وذلـك أن الله قـال وأخر و لم يقل والآخر فهذا استدلال خاطئ لأن أخر تعني عدداً من الآيات المتشابهات ولا تعني غيرها. ونحن لا ننفي وجود غير المحكم و غير المتشابه لأن من العلماء من يثبت ذلك ولكن ليس في الآية دليل على ذلك ولو بقي على قوله أعطى لهذه الآيات مصطلح تفصيل الكتاب لكان أجدى له من أن يقحمها في الآية السابقة.

## تصديق الذي بين يديه

و المؤلف يرى أن الذي بين يديه يقصد به الرسالة أي أم الكتاب حسب تقسيماته ونورد شيئاً من أقواله :

(قـال أمـا مصـطلح الـذي بين يديه يقصد به "الرسالة" وسنشرح ذلك فيما يلي : بينا أن الآيات المتشابهات هي آيات المصحف ما عدا آيات أم الكتاب " الرسالة " وآيات تفصيل الكتاب ويعني ذلك أنه تبقى مجموعة الآيات المتشابهات فما اسم هذه الآيات ؟

(وهكـذا توصلنا إلى أن القرآن هو الآيات البينات وهو في الوقت نفسه هو "نبوة "محمد صـلى الله عليه وسلم لأنه كله (أنباء عن حقائق) وهو بصائر وهو الحق وهو الذي قالوا عـنه (إنـه سحر مبين) وهو الذي يشكل جزءاً كبيراً من آيات الكتاب وكل آياته من المتشـابه(1)[90] مضـاف إليه السبع المثاني التي تحمل مطلق الحقيقة في صياغتها ونسبة الفهم من الناس (13)[91] (أي المطلق في المحتوى والنسبية في الفهم) وهذه إما فلسفية أو علمـية أو تاريخـية مجـردة. بقـي أن نفهـم أنـه سبحانه وتعالى قال عن القرآن إنه

---

[90] المصدر نفسه 68 انظر كيف قال آيات بينات ثم قال من المتشابه .

[91] عاد ليؤكد الحقيقة التي ألف من أجلها هذا الكتاب .

{تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ} (يونس 37 يوسف 111). وذكر مصطلح (تفصيل الكتاب) (يونس 37 ) فما هو الذي بين يديه وما هو التفصيل : لنرجع الآن إلى الآيات التي ورد فيها تصديق الذي بين يديه (1) {وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ} (فاطر 31).

2 – {وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (يونس 37) في هذه الآية من سورة يونس يقول عن القرآن أنه تصديق الذي بين يديه ثم يقول في الآية 39 {بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله} علما بأن الحديث في الآيتين السابقتين عن القرآن حيث أن القرآن كله متشابه وكله قابل للتأويل لا للتفسير {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (يوسف 111) لاحظ قوله {وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ} (يونس 37) {مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى} (يوسف111) وقوله {وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن و لا بالذي بين يديه ...الخ } (الآية 31سبأ) ولاحظ قوله {وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ}(يونس 37) ولاحظ {وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ} (يوسف 111) ولاحظ قوله {وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (37 يونس). لقد قلنا إن نبوة موسى هي التوراة ورسالته الكتاب والفرقان {وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (البقرة 53) ونبوة عيسى الإنجيل ورسالته {الكتاب والحكمة} وهي تعديل لكتاب موسى. وكانت نبوة موسى ورسالته ونبوة عيسى ورسالته بحاجة إلى تصديق وجاء التصديق خارجاً عن النبوة وعن الرسالة

وذلك بما سماه الآيات البينات وبالنسبة لمحمد صلى الله عليه وسلم كانت نبوته القرآن والسبع المثاني وتفصيل الكتاب ورسالته أم الكتاب الأحكام (14).[92]

## مخالفة المؤلف للجمهور في معنى التصديق بين يديه

ويقول : (وإني لأعجب تمام العجب كيف ظن الفقهاء والمفسرون أن الذي بين يديه هما التوراة والإنجيل وبذلك قصموا ظهر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حين أكدوا أنها ما جاءت إلا لتخبر الناس أن التوراة والإنجيل الموجودين في بداية القرن السابع الميلادي حين نزول القرآن هما صحيحان لا أكثر من ذلك ولا أقل من ذلك (17)[93] وإذا كان هذا الهدف من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقط فأعتقد أن أشد اليهود والنصارى تزمتاً سيؤيدون ذلك. لأن كلاً من التوراة والإنجيل الحاليين هما نفس التوراة والإنجيل في القرن السابع والأجدر بنا حينئذ نحن المسلمين أن نعتنق اليهودية أو النصرانية لأن الهدف من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم هو تصديق العهد القديم والعهد الجديد المعروفين في القرن السابع. إن بين يديه يعني الحاضر ولا تعني الماضي وقد قالها صراحة في سورة آل عمران **{نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ}**. وكيف يمكن أن يكون التوراة والإنجيل هما الذي بين يديه مع أنه قال عنهما من قبل وكيف يكون من قبل وبين يديه دالين لمدلول واحد إذا كان الأمر كذلك فليس لهاتين الآيتين معنى. حاشا لله. إن حجة المفسرين على أن بين يديه تعني التوراة والإنجيل هي الفهم الخاطئ للآيات التالية عن عيسى بن مريم **{وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ}**

---

92 المصدر نفسه 87 .

93 المصدر نفسه 88 ويلاحظ أن المؤلف قد تحامل على علماء المسلمين زعم أنهم أكدوا أن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم جاءت لتؤكد صحة التوراة و الإنجيل.

(الآيـــة 50 آل عمـــران) ويتضح الخطأ في الفهم بما يلي : إن نبوة عيسى عليه السلام في الإنجيل استمرار لنبوة موسى في التوراة وليست ناسخة لها كما أن شريعة عيسى هي نفس شـــريعة موسى مع بعض التعديلات **{وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ}** وقد فهمها أهل الكتاب هكذا (16 )[94] .

و للـــرد على المؤلف في مزاعمه السابقة من أجل أن يجيز لنفسه مخالفة جمهور علماء المسلمين نقول :

أ- إن مـــا بـــيـــن يديه لا تعني الحاضر فقط بل قد يكون الحاضر موجـــوداً قبل وأقرب مثال على ذلك أن الوالدين قد سبقت ولادتهما ولادة ولدهما. ومع ذلك قال تعالى **{إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا}** (الآية23 من سورة الإسراء). وكما هو مشاهد فإن بعض الموجودات تكون بين يديك وهي سابقة لك.

ب- أن الله سبحانه وتعالى أكد لمحمد صلى الله عليه وسلم أن كتابه لموسى عليه السلام باق وموجود قال تعالى **{ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني إسرائيل}** وليس تصديق التوراة والإنجيل هو هدف القرآن فقط بل هو أهم من ذلك.

ت- إن الله تعـــالى أنـــزل القـــرآن على محمد صلى الله عليه وسلم مصـــدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه وليست التوراة أو الإنجيل أو كلاهمـــا مهيمناً على القرآن قال تعالى **{وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب و مهيمناً عليه}**.

وفي هـــذه الآية نص صريح على أن الذي بين يديه هي الكتب المنـــزلة قبله – حيث قـــال مـــن الكـــتاب و لم يقـــل مـــا ذهـــب إلـــيه المؤلـــف (مـــن أم الكتاب)

---

[94] المصدر نفسه 89 .

وقال تعالى : {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءآتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} (آل عمران 81).

وقال تعالى عن اليهود: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ} (البقرة 89) وقال : {وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ} (البقرة 101). وقال تعالى: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ(29)قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ} (الآيتان 29،30 الأحقاف) فكيف يكون كتاباً وفي نفس الوقت يكون مصدقاً لنفسه وقال تعالى {يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم .. إلى قوله .. وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به} (الآيتان 40،41 البقرة).

و يقول المؤلف : (فالقرآن هو الآيات البينات وهو تصديق الذي بين يديه والهاء في بين يديه إما أن تعود على القرآن) وإما أن تعود على الله سبحانه وتعالى فماذا كان بين يدي الله أو بين يدي القرآن حين نزوله وبحاجة إلى بينة، الشيء الوحيد الذي كان يوجد حين نزول القرآن هو الأحكام – الرسالة فالقرآن جاء مصدقاً لأم الكتاب وهي التي سماها فيه " كتاب الله " لأن الأحكام ليست بينات في ذاتها وهي قابلة

للتقليد وإنما بحاجة إلى بينات من خارجها والبينات موضوعية مبصرة (17)[95].

نقول : والمؤلف يناقض نفسه بنفسه فهو في ص56 يقرر أن الآية 37 يونس تقرر ثلاثة مواضيع – أ- القرآن - ب- الذي بين يديه – ت- تفصيل الآيات. ويقول هنا فالقرآن هو الآيات البينات وهو تصديق الذي بين يديه.

ونحن لن نذهب لمناقشة هذا الكلام للمؤلف فليس هذا موضعه ولكن نريد أن ننفي عودة الضمير – الهاء –إلى الله سبحانه وتعالى ونؤكد أن هذا الضمير يعود إلى القرآن نفسه والقرآن كما ذكرنا مصدقاً للكتب المنزلة قبله.

قال تعالى {**وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه**} (الآية 91 البقرة) {**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ**} (الآية 48 المائدة) والتصديق للتوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب المنزلة لا يلزم منه إقرارهما أن كانا محرفين.

وقال تعالى {**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**} (الآية 136 البقرة).

---

[95] قراءة معاصرة 88.

وقال تعالى {**قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم و إسماعيل وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى والنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون**} (الآية 84 آل عمران).

وقال تعالى {**قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ**} (الآية 59 المائدة).

## تعريف المؤلف للقرآن لغوياً :

والمؤلف يعرف القرآن لغوياً فيقول : (لقد قلنا إن القرآن جاء من قرن وهو من جمع الجزء الأول الثابت من قوانين الكون الموجود في اللوح المحفوظ مع الجزء المتغير الموجود في إمام مبين (18)[96] .

ونحن نقول إن هذا غير صحيح فإن الجمع هو جمع السور قال في لسان العرب (إن معنى القرآن معنى الجمع وسمي قرآن لأنه يجمع السور ببعضها وقوله تعالى : {**إن علينا جمعه وقرآنه**} أي جمعه وقراءته (مادة قرأ).

وتقول الدكتورة نشأت ظبيان ص80 ذاك رد (والقرآن سمي قرآناً لأنه ينبغي ألا يهجر بل على كل فرد أن يقرأه ويسمعه مقروءاً).

والمؤلف يميز بين لفظة القرآن أن جاءت معرفة أو جاءت نكرة فيقول : أما بالنسبة للقرآن فيجب أن نميز بين القرآن معرفاً كقوله تعالى :

---

[96] القراءة المعاصرة 80.

{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ} (البقرة 185) وقوله {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِـــنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ} (الحجر 87) وقوله {بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ(21)فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ} (البروج 21-22) وقوله {يس وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ} (يس1-2) و لم يقل (يس وقرآن حكيم ) فعندما يأتي القرآن معرفاً فإنه يأخذ المعنى نفسه. أما إذا جاء مـــنكراً فيمكن أن يعني جزءاً منه فالقرآن الحكيم نفسه هو القران العظيم نفسه الذي أنـــزل في رمضان، وليست عبارة (قرآن مجيد) هي بالضرورة (القرآن العظيم) ولكنه من جنسه وتعني جزءاً منه لا كله (19)[97].

## اعتماد المؤلف بأن الكتاب غير القرآن :

نعود إليه لنواصل ما توقفنا عنده. فبعدما تساءل ما اسم هذه الآيات قال :

1- لـــنرجع إلى قوله تعالى في أول سورة الحجر {آلر تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْءَانٍ مُبِينٍ} (الحجر 1).

2- ولـــنرجع إلى قوله تعالى في أول سورة الرعد {آلر تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ} (الرعد 1).

3- ولنرجع إلى قوله تعالى في أول سورة البقرة {ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} (البقرة 2).

---

[97] المصدر نفسه 73 .

4- ولـــنرجع إلى قوله تعالى في سورة البقرة {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} (البقرة 185).

ثم يقـــول (هنا نلاحظ كيف عطف القرآن على الكتاب وفي اللسان العربي لا يعطف إلى المتغايران أو الخاص على العام ) (20)[98] .

وهكذا نجد المؤلف يفرق بين الكتاب والقرآن و لم يجعلهما شيئاً واحداً لذهابه هو وزميله جعفـــر دك الـــباب الذي اعتمد عليه في اللغة و أشركه معه في إخراج كتابه هذا فإنهما ينفيان الترادف في اللغة العربية.

فجعفر دك الباب يقول في تقديمه للقراءة المعاصرة (بأن ما اتفق عليه العالمان ابن جني وعبد القاهـــر الجرجاني : (إنكار الترادف الذي قد يظنه بعضهم سبباً لتميز لغة ما بثراء مفرداتها وســـعة التعبير فيها والنظر فيما يعد من الترادف في لغة ما على أنه يعكس مرحلة تاريخية قديمة كانت فيها ألفاظ تلك اللغة تعبر عن التفكير القائم على إدراك المشخص. و لم تكن فيها التسميات الحسية قد استكملت بعد تركيزها في تجريدات) (0)[99]

وقال : فهناك لدينا احتمالان :

أ- إن القـــرآن شـــيء والكتاب شيء آخر وعطفهما للتغاير كأن نقول جاء سعيد وأحمد حيـــث أن ســـعيداً شـــخص وأحمد شخص آخر وعطفهما للتغاير فإذا كان القرآن شيئاً والكتاب شيئاً آخر فتجانسهما أنهما من عند الله ولكن لماذا عطف القرآن على الكتاب في سورة الحجر السبب في ذلك هو الآية( 87 )في هذه السورة حيث ذكر فيها السبع المثاني

---

[98] القراءة المعاصرة 57 .

[99] القراءة المعاصرة 23 .

في قولـــه تعالى : {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ} فها هنا واضح تماماً أن القرآن شيء والسبع المثاني شيء آخر وهي ليست من القرآن ولكنها الكتاب (21)[100].

ب- أن يكـــون القرآن جزءاً من الكتاب وعطفهما من باب عطف الخاص على العام وفي هـــذه الحالة يكفي عطف الخاص على العام للتأكيد وللفت انتباه السامع إلى أهمية الخاص فأي الاحتمالين هو المقصود ..؟)

من أجل هذا عنون لكتابه ( الكتاب والقرآن - قراءة معاصرة )

وها هو يستدل (على أن القرآن غير الكتاب) فيقول :

(نلاحـــظ أن الله ســـبحانه وتعـــالى عندما ذكر الكتاب قال : {**هدى للمتقين**} لأن في الكتاب أحكام العبادات والمعاملات والأخلاق أي فيه التقوى إضافة إلى القرآن عندما قال تعـــالى القرآن قال هدى للناس ولفظة الناس تشمل المتقين وغير المتقين فالمتقون من الناس ولكن ليس كل الناس من المتقين) ( 22)

## واســـتدلاله هذا بـــاطل

أولاً أن الله قال : {**إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ**} (الآية 41 الزمر) أي أنزل الكتاب للناس إذاً فالكـــتاب لا يختص بالمتقين فقط وأيضاً فالمؤلف نفسه ذكر في ص 36 أن الكتاب جاء هداية للناس.

---

[100] من أجل هذا عنون كتابه – بالكتاب و القرآن القراءة المعاصرة.

ثانـــياً: يقـــول الله تعالى : {طس تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ(1) هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِـــنِينَ} (النمل 1،2) ويقول تعالى {وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (الآية 52 الأعراف).

فالكـــتاب والقرآن اشتركا في هداية المؤمنين وهما شيء واحد إذا ذكر أحدهما اكتفى عن ذكـــر الآخـــر قـــال تعالى {إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يخـــتلفون و إنـــه لهدى ورحمة للمؤمنين} (الآيات 77،78 النحل) وقال تعالى {كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (الآية 3 فصلت). ولقد وصف الله الكتاب بأنه القرآن و لم يفرق بينهما.

ثالـــثاً : مـــن المعلوم لدى العلماء حتى اللغويين منهم أن الكتاب والقرآن شيء واحد قال أبـــو علي الفارسي : قد ثبت في قوله تعالى {بما أوحينا إليك هذا القرآن}(الآية 3 يوسف) أن القرآن اسم لكتاب الله تعالى وهو اسم منقول ( - )[1]

و قـــال المؤلف : (نلاحظ أنه في سورة الرعد عطف الحق على الكتاب فهذا يعني أن الحق شيء والكتاب شيء آخر أو أن الحق من الكتاب وليس كل الكتاب – والجواب القاطع - حسب رأيه – على هذا السؤال أعطى في سورة فاطر قال تعالى {وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِـــنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ} (الآية 31 فاطر) هـــنا أعطى الجواب القاطع بأن الحق جزء من الكتاب وليس كل الكتاب وأن الحق جاء معرفاً أي أن الحقيقة الموضوعية بأكملها غير منقوصة، الحقيقة المطلقة موجودة في الكتاب ولكن ليست كل الكتاب حيث أنه في الكتاب توجد الآيات المحكمات " آيات الرسالة " وهي ليست حقاً. والآيات المتشابهات آيات " النبوة " وآيات تفصيل الكتاب (23)[101] .

---

[1] المسائل الحلبيات ص 248

و نحن لن نعلق على هذا بأكثر مما علق عليه الأستاذ الصيداوي في كتابه بيضة الديك ولن نحـــيل القـــارئ على تعليق الأستاذ يوسف الصيداوي على هذا الكلام السابق بل نتلافى المشقة وننقله إليه كما يلي :

قـــال الصـــيداوي : ولن نعلق بشيء على النص فقد نقلناه حرفياً ونترك للقارئ أن يفهم وحـــده (أي الاحتمالين هو المقصود فينعم بمتعة عقلية بالغة وهو يكتشف ويستنبط. وفي كـــل حـــال من كانت تفتنه فصاحة الكلمة. ويطير به سحر البيان فإننا ننصح له بقراءة المؤلـــف كله فإنه واجد فيه ما يدهش ومهما بدر الأمر فقد لَهَونَا كما لها مؤلف القراءة المعاصـــرة حتى إذا رأيناه في الصفحة – 57 – يميل إلى الجد ملنا إليه كما مال وذلك أنه قـــد أقام كتابه على ركيزتين : إحداهما لغوية تقول لا ترادف في اللغة وقد جاء ذلك في الصفحة – 47- والثانية نحوية تقول لا تُعْطَفُ إلا المتغايرات أو الخاص على العام.

وقـــد جاءت في صفحة 57 التي كنا بصددها. و أما غايته التي يسعى إليها فهي أن يثبت أن كـــتاب الله شيء والقرآن شيء آخر ومن هنا أن سمى كتابه ( الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة ) وما تلك القراءة المعاصرة وقد امتلأت بها سبعمائة وثلاثون صفحة إلا تطبيقات لهاتين النظريتين ( 24 )[102] .

ونـــرجع إلى قول المؤلف : ونلاحظ أنه في سورة الرعد عطف الحق على الكتاب ...الخ وهذا مما يتوهمه المؤلف أو يسعى إليه إذا رأى واواً ظنها عاطفة حتى وإن كانت استئنافية. فكيف تعطف كلمة الحق المرفوعة على كلمة الكتاب المجرورة. و بذا فسد استدلاله بهذه الآية على ما ذهب إليه – من عطف المتغايرات أو عطف الخاص على العام و لقد لاحظ

---

[101] قراءة معاصرة ص 58 . وعند المؤلف أن الآيات المحكمات ليست حقاً . وأن الحق والباطل تختص بهما الآيات المتشابهات .انظر قراءةمعاصرة. .

[102] بيضة الديك 59-60 ثم ذهب في التغايرات من ص 60-68 .

ذلـــك الأســـتاذ يوسف الصيداوي فقال : لقد استقرت في ذهن المؤلف (صاحب قراءة معاصرة) سلفاً فكرة أن الكتاب غير القرآن ثم أراد أن يبرهن على ذلك فلم يجد سبيلاً إلى هـــذه البرهنة إلا أن يقطع القرآن قطعا كل قطعة منها لها صفة تخالف صفة الأخرى فهذه آيـــات محكمـــات وهذه آيات متشابهات وهذه آيات لا محكمات ولا متشابهات ...الخ. وما كان هذا ممكنا لو ظل القرآن كتابا فهات الفأس (25 )[103] على أن هذا وإن كان داخـــلا في بـــاب التشريع فإنه داخل في حكم تحريف الكلام عن مواضعه وتلك طريقة لعمـــري اســـتخدمتها القـــراءة المعاصرة وليس للعلم بها والحقيقة بها من قبل عهد. وهي – بهـــذا ومثله كثير – لا تقرأ الحقيقة ولا كلام الله بل تقرأ ما في الخيال وما يوافقه هوى النفس(26)[104]

ونعـــود إلى المؤلف في قوله (أن آيات الرسالة ليست حقا فنقول من كلامك هذا يفهم أن الرســـالة كـــلها ليست حقاً – ولا يشفع له قوله أن الرسالة عبادات وتعليمات وأخلاق وحلال وحرام وأما النبوة حسب قوله فهي التفريق بين الحق والباطل وبين الحقيقة والوهم (27)[105]

ونود أن نذكر القارئ بأن مؤلف القراءة المعاصرة سبق وأن قرر أن الآيات المحكمات هن الرســـالة وأن الرسالة تختص بالعبادات والأخلاق ... الخ أي الحلال والحرام حسب قوله. وإن المتشـــابه هـــو القرآن وهو النبوة وأن القرآن يفرق بين الحق والباطل. فإذا كان قوله الآيـــات المحكمـــات ليست حقاً يعني إنها ليست من القرآن الذي يفرق بين الحق والباطل اتـــباعا لتقســـيمه السابق فإن هذا الأمر غير صحيح وفيه تجاوز خطير وتغيير لما أراده الله الـــذي أنزل الكتاب بالحق وأما إن كان يقصد بقوله ليست حقا أي أنها باطل فهذا افتراء

---

[103] المصدر نفسه 35 .

[104] المصدر نفسه 35 .

[105] القراءة المعاصرة (55) .

على الله ويجب على المؤلف أن يرجع من هذا و يستغفر ربه. وعلى كل حال فإن الآيات المحكمات متصلة بالحق وموصوفة به وملازمة له وليس في كتاب الله المنـــزل شيء يخرج عن الحق بل هو الحقيقة كلها والمسلمون كلهم لا يرون بل ولا يؤمنون إلا بذلك.

## الذكر عند المؤلف مجرد أصوات

والمؤلف يفرق بين القرآن و الذكر و يجعل الذكر أصواتا فيقول :

ثانيا الذكر ما هو الذكر؟ لنرجع إلى قوله تعالى {**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**} (الحجـــر 9) . {**وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ**} (الحجر 6) (وإلى قولـــه {**ص والقرءان ذي الذكر**} (الآية 1) فإذا أخذنا لفظة الذكر في الآيتين 6،9 من سورة الحجر لَوَجَدنا أنها جاءت معرفة بأل وإذا نظرنا إلى لفظة الذكر في الآية (1من ص) لوجدناهـــا أيضا معرفة بأل وإذا نظرنا أيضا إلى الربط بين القرآن والذكر في سورة (ص) لوجدناهمـــا مرتـــبطين بأداة "ذي" وهذه الأداة تستعمل للدلالة على صفة الشيء لا على الشـــيء نفســـه كقولـــه تعـــالى {**وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ**} (الفجر 10) وقوله تعالى : {**وَيَسْـــأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ**} (الكهف 83) ففرعون شيء والأوتاد شيء أخر والآية تعني أن فرعون صاحب الأوتاد وكقوله تعالى {**أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ**} (القلم 14) أي القرآن صاحب الذكر فما هي هذه الصفة الخاصة بالقرآن والتي تسمى الذكر (28)[106]

ويذهب المؤلف إلى محاولة التفريق بين القرآن والذكر فيجعل للقرآن صفات ويحصر الذكر باللغـــة والأصـــوات. وهو هنا لم يعثر في الآية السابقة على الواو فيها حتى تفرق ما قبلها عمـــا بعدهـــا بحجة أن لا يعطف إلا المتغايران ولكنه وجد في أول {**ص وَالْقُرْءَانِ ذِي الذِّكْرِ**} وقال ما تقدم، ولكن الصحيح في اللغة أن "ذي" بدل والبدل يحل محل المبدل منه

---

[106] القراءة المعاصرة 62.

إذا حذف. فقولنا ذي العرش إنما نعني به الله وإذاً فقولنا – ذي الأوتاد يدلنا على أن ذلك يعني فرعون وكذلك ذو القرنين هي اسم فعليه لا دليل عنده في قوله : إن القرآن شيء والذكر شيء آخر. وبعد أن يتفلسف كعادته في قوله (إن القرآن مجموعة القوانين الموضوعية الناظمة للوجود والظواهر الطبيعية والأحداث الإنسانية وأساسه غير لغوي ثم جعل لغوياً لقوله تعالى {**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**} (الزخرف 3).حتى يقول فالذكر هو تحول القرآن إلى صيغة لغوية إنسانية منطوقة بلسان عربي وهذه هي الصيغة التي يذكر بها القرآن وبما أن هذه الصيغة عربية فقد قال للعرب {**لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ**) (الأنبياء 10). أي صيغته اللغوية الصوتية في اللسان العربي المبين) لذا قال {**فيه ذكركم**} وهنا جاء أكبر عز للعروبة والقومية العربية) (29)[107] المؤلف يتعامى عن مدلول الآيتين {**ص وَالْقُرْءَانِ ذِي الذِّكْرِ**} و {**لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم**} ليجعل الذكر شيئاً ثالثاً ليس هو الكتاب وليس هو القرآن وذلك في قوله: (ولا ننسى أن الذكر ليس القرآن نفسه بل هو أحد صفات القرآن (ص وَالْقُرْءَانِ ذِي الذِّكْرِ) وهذا الفهم يحل المعضلة الكبرى التي نشأت بين المعتزلة وخصومهم حول خلق القرآن فإذا عرفنا الآن أن الذكر ليس القرآن نفسه وإنما هو أحد خواصه وهو صيغته اللسانية حصراً يزول الالتباس لذا فقد وضع الكتاب شرطاً لفهم آياته بقوله {**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**} (الأنبياء 7) هنا يجب أن نفهم أن أهل الذكر هم أهل اللسان العربي) (30 )[108] .

ونحن نقول إن هذه مغالطة من المؤلف فأهل الذكر ليسوا أهل اللسان فقط بل هم أهل العلم و الإيمان. قال تعالى {**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا**

---

[107] المصدر نفسه 63 .

[108] المصدر نفسه 63 .

أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُون)(43 ) {بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} (الآيات 43،44 النحل) وقريش كانوا أهل لسان و لم ينتفع بعضهم بالقرآن و لم يفقهوا في الدين.

والمؤلف أهمل التعريف الثاني وهو (أن الذكر حفظ الشيء وتذكره) ولكنه استدرك في آخر حديثه عن الذكر إذ قال وعلينا أن ننوه أن "فِعْل" ذكر له معان أخرى منها التذكر ضد النسيان كقوله (أفلا تتذكرون) ومنه جاءت الذاكرة و المذاكرة )(31 )[109].

والمؤلف كعادته يورد الحق في آخر بحث أي موضوع في الغالب ولكنه لا يحتج به وربما ليفهم القارئ أنه مطلع على هذا الحق ولكنه لا يلزم به.

## الفرقان عند المؤلف غير القرآن

يقول المؤلف :

ثالثا : الفرقان (23)[110] قال تعالى {وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (البقرة 53) وقال تعالى {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} (البقرة 185) وقال تعالى {ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكراً للمتقين} (الأنبياء 47). وقال تعالى {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} (الفرقان 1) وقال تعالى {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ} (الأنفال 41) قال تعالى {وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان} (آل عمران) ثم يقول جاء لفظ الفرقان في ستة مواضع في

---

[109] المصدر نفسه 64 .

[110] المصدر نفسه 64 .

الكـــتاب وفي هـــذه المواضع الستة جاء معرفاً بأل فأول ما جاء لفظ الفرقان لموسى عليه الســـلام وجاء معه الكتاب أي أن الفرقان جاء إلى موسى على حدة وجاء الكتاب على حـــدة فَفُرِقا عن بعضهما (32 )[111] وهذا الفرقان قال عنه في سورة (آل عمران) أن الفـــرقان والتوراة والإنجيل أنزلت قبل أن يأتي الكتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم إن الفرقان الذي أنزل على موسى هو الذي أنزل على محمد في رمضان **{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْـــزِلَ فِـــيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُـــمْهُ وَمَـــنْ كَـــانَ مَرِيضًـــا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}** (الآيـــة 185 الـــبقرة) وبما أن الفرقان جاء معطوفاً على القرآن يستنتج أن الفرقان غير القـــرآن وهو جزء من أم الكتاب "الرسالة". وأنزل ونزل في رمضان، وهذا الجزء أول ما أنزل على موسى عليه السلام. وما هو الفرقان الذي جاء إلى موسى على حدة مفروقا عن الكتاب ؟ لو تأملنا الآيات (151 ، 152 ، 153 ) من سورة الأنعام وهي :

**{قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ}.**

**1- ألا تشركوا به شيئاً.**

**2- وبالوالدين إحساناً.**

**3- ولا تقتلوا أولادكم من إملاق – الآية 1.**

**4- ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن.**

---

[111] المصدر نفسه 64 .

5- {وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (الآية 151 الأنعام).

6- ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن.

7- وأوفوا الكيل و الميزان بالقسط – الآية .

8- وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى.

9- {وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (الأنعام 152).

10- {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (الأنعام 153).

ثم يقول: أقول لو تأملنا هذه الآيات لم يكن من الصعوبة أن نستنتج أنها هي الوصايا العشر ولنلاحظ الآية التي تلت هذه الآيات الثلاث وهي قوله تعالى : {ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ} (الأنعام 154) هنا نلاحظ بشكل جلي كيف أن هذه الوصايا جاءت لموسى مفصولة عن الكتاب وأن الكتاب بالنسبة لموسى وعيسى هو التشريع فقط وليس التوراة وذلك واضح تماماً في قوله تعالى عن عيسى {وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ} (آل عمران 48) لنقارن هذه الوصايا العشر والتي أتى بعدها {ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ} (الأنعام 154) وقوله تعالى {وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}(البقرة 53) بقوله {مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ} (4 آل عمران).

أي أنهـــا أنزلت قبل محمد صلى الله عليه وسلم {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} (الآية 1 الفرقان) أي أنها أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم أيضاً. نستنتج أن الفرقان هو الوصايا العشر التي جاءت إلى موسى و ثبتت إلى عيسى عليهما السلام ثم جاءت إلى محمد صلى الله عليه وسلم وهي رأس الأديان السماوية الثلاث وسنامها لأنها القاسم المشترك بين الأديان الثلاثة وفيها التقوى الاجتماعية وهي ما يسمى بالأخلاق وليست العبادات وهي تحمل الطابع الإنساني العام.

ثم يقول وهكذا نرى أن الوصايا العشر هي الفرقان وهي الصراط المستقيم وكل من اتبع هذا الصراط إلى يوم الدين هو من الذين أنعم الله عليهم وهو من المهتدين وكل من تركه فقد ضل وكل من عاداه فقد باء بغضب من الله كان من كان لذا أتبعها بقوله {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ} وقد سمى الوصايا الحكمة بالنسبة لعيسى عليه السلام حيث قال {وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ} (آل عمران 48) (33)[112].

فالكتاب – هو الرسالة – والحكمة هي الوصايا العشر – والتوراة هو نبوة موسى – و الإنجيل هو نبوة عيسى ومجموعهم هو الكتاب المقدس. و للدلالات على أن الوصايا هي الحكمة ذكر تسعاً من الآيات في سورة الإسراء من الآية 23 إلى الآية 39 و التي تقول {ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا} (الآية39) فالوصايا العشر بالنسبة لعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم هي جزء من الحكمة 0 حيث ذكر وصايا غيرها في سورة الإسراء كقوله :

---

[112] المصدر نفسه ص 65 .

{ولا تمـــش في الأرض مـــرحاً} (الإسراء 37) ودمجها تحت عنوان الحكمة. ثم يقول : ويجـــب أن نميز بين نوعين من الفرقان الأول الفرقان العام والثاني الفرقان الخاص حيث أن الفـــرقان العام هو الحد الأدنى من التعاليم الأخلاقية الملزمة لكل الناس لهو القاسم المشترك بين الأديان وفيها تتحقق التقوى الاجتماعية. كما أن هناك فرقاناً خاصاً جاء لمحمد صلى الله عليه وسلم وهو للذين حققوا التقوى الاجتماعية بحدها الأدنى – أي الفرقان العام – ويـــريدون زيادة في ذلك أي يريدون أن يكونوا أئمة المتقين وقد ذكر الفرقان الخاص في قوله تعالى :

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} (الآية 29 الأنفال).

(هـــنا نلاحظ أن الفرقان الخاص جاء منكراً في هذه الآية حيث تم تحديد بنود هذا الفرقان الخاص بمحمد صلى الله عليه وسلم في سورة الفرقان من الآية 63 إلى الآية 76 (34 )[113] .

ونحن لن نعلق على أقوال المؤلف هذه بل نورد شيئا مما ذكره – يوسف الصيداوي قال : لقـــد ورد في الصـــفحة (65 ) أي من القراءة المعاصرة {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُـــرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} قال : (وبما أن الفرقان جاء معطوفاً عـــلى القـــرآن يستنتج : أن الفرقان غير القرآن) وهو كما ترى قد جعل الفرقان المجرور بالكسرة معطوفاً على القرآن المرفوع بالضمة. وجعل الفرقان المعطوف بالواو على الهدى معطوفـــا على القرآن وذلك من طرائف علم النحو وليت المسألة انتهت إلى هنا إذاً لهان الخطـــب ولكن الطامة الكبرى أن هذا العطف قد جعل أساساً بني عليه حكم عريض إذ قال المؤلف (بما أن الفرقان جاء معطوفاً على القرآن يستنتج أن الفرقان غير القرآن).

---

[113] المصدر نفسه ص 49 .

وقال المؤلف (كما أن هناك فرقاناً خاصاً جاء لمحمد صلى الله عليه وسلم وهو فقط للذين حققوا التقوى الاجتماعية بحدها الأدنى ...الخ) ونحن نقول : إن استدلاله بالآية {**يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً**} (الآية 29 الأنفال) إن الفرقان الخاص جاء منكراً فيها حيث تم تحديد بنود هذا الفرقان الخاص بمحمد صلى الله عليه وسلم في سورة الفرقان من الآية (63 – 76) استدلال غير منطقي فإن المعنى في هذه الآية هو التفريق حصراً بين الحق و الباطل ولا سبيل إلى غير ذلك أي لا سبيل إلى تفسير كلمة (فرقاناً) في الآية بأنها قسم من كتاب الله مغاير لقسمه الآخر و إلا صار المعنى أن تتقوا الله يجعل لكم قسماً من كتاب الله.

و تقول الدكتورة نشأت ظبيان في كتابها ذاك رد صفحة 58

و توهم مؤلف ( الكتاب و القرآن ) أن الفرقان غير الكتب الإلهية الإنجيل والتوراة والقرآن فقال موضحاً أن الفرقان أول ما أنزل على النبي موسى عليه السلام ومن بعد ذلك كان قد أنزل على عيسى عليه السلام والنبي محمد صلى الله عليه وسلم بقوله :

(فأول ما جاء لفظ الفرقان لموسى عليه السلام معه الكتاب أي أن الفرقان جاء إلى موسى على حدة وجاء الكتاب على حدة ففرقا من بعضهما وهذا الفرقان قال عنه في سورة آل عمران أن الفرقان والتوراة الإنجيل أنزلت من قبل أن يأتي الكتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم إن الفرقان الذي أنزل على موسى هو نفسه الذي أنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم في رمضان {**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**} (البقرة 185). فوقع الكُتّاب الذين قاموا بتأليف هذا الكتاب بالخطأ الذي يقع فيه المستشرقون عادة لا يستوعبون روح النص ولا يقوون على فهم روح الإسلام ولا يرتقون إلى مستوى الدلالة الداخلية الكامنة للفظ العربي.

وقالت صفحة 59 فالفرقان ليس كتاباً بعينه وليس سورة بعينها وليس آية بعينها وإنما هو هـــذه الدقة المتناهية في المدلول واللفظ والمعنى المراد وهذا الفرق المعنوي الضئيل جداً بين لفظـــة وأخرى التي تحدث عنها الدكتور ( جعفر دك الباب ) في المقدمة على حين أغفلت البـــتة في جميع شروح الألفاظ في الكتاب جميعه).

وحيـــث نقلـــنا فـــيما سبق أكثر كلام المؤلف واستطردنا معه في زعمه أن الكتاب شيء والقرآن شيء آخر والذكر شيء والفرقان شيء وأنه استند في ذلك على حقيقتين تقررتا لديه وهما – لا ترادف في اللغة ولا يعطف إلا المتغايران أو الخاص على العام – ومع هذا فلم يعطف أحدهما على الآخر بل فَرَّقهمَا.

لذا فإننا نستأنس نحن وإياك أيها القارئ الكريم بشيء مما ذكره الأستاذ يوسف الصيداوي في كتابه بيضة الديك - وهاك ما يلي مما قاله حفظه الله و وفقه :

(ولقـــد بحـــث علماء اللغة في الترادف فسلم فريق بوجوده في اللغة وأبى فريق آخر فمن المسَّـــلمينَ بوجوده على سبيل المثال سيبويه قال في كتابه "اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظـــين والمعـــنى واحد ومثل لذلك فقال : (اذهب وانطلق) ومنهم تلميذه قطرب – والأصمعي – وابن خالويه – والمعري – وابن يعيش وأما الذين يأبونه فيقولون : الشيء له اسم واحد وما زاد على ذلك فصفات لـــه. ففي المزهر للسيوطي أن أبا علي الفارسي قال (كنت في مجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة وفيهم ابن خالويه فقال ابن خالويه أحفظ للسيف خمسين اسماً. فتبسم أبو علي وقال ما أحفظ لـــه إلا اسماً واحـــداً وهو السيف قال ابن خالويه فأين المهند والصارم وكذا وكذا فقال أبو علي هذه صـــفات وكان الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة. ومن منكري الترادف محمد بن زياد الأعرابي. و أحمد بن يحيى – وثعلب وابن فارس وأبو هلال العسكري. وقبل أن نخوض في مناقشـــة أقـــوال المؤلف رأيت من المفيد أن أثبت في الذهن حقيقتين الأولى أن أكابر من يأبون الترادف من العلماء قد استعملوه في مؤلفاتهم هنا وهناك ففرقوا كما يقال اليوم بين الـــنظرية والتطبـــيق فها هو أحمد بن يحيى المعروف " بثعلب"وهو رأس ضخم من رؤوس

المـــنكرين للترادف قد اعترف في مجالسه بالترادف صراحة إذ قال ما نصه (يقال سويداء قلبه، وجثة قلبه، وسواد قلبه، وخلجلان قلبه، اسود قلبه وسوداء قلبه بمعنى. ثم اتبع ذلك بقولـــــه بيد وميد وغير بمعنى وقال غلام نشنش وشعشع وبلبل وبربر إذا كان حفيفاً في الســـفر فقول المؤلف إذاً (الترادف ليس أكثر من خدعة) كلام متسرع أو مكابر أو كلام مـــن لم يطلـــع. هذه هي الحقيقة الأولى، وأما الحقيقة الثانية فهي أن القراءة المعاصرة قد تســـللت من معنى الترادف إلى باطل لا علاقة لـــه بالترادف من قريب أو بعيد وذلك أن الأئمة الذين أنكروا الترادف كأحمد بن يحيى (ثعلب) وابن فارس. وأبي هلال العسكري. لم يـــزيدوا على أن قالوا ما معناه إن بين المترادفات فروق في الصفات مثال ذلك : أن بين الحســـام – والمهند- والسيف والصارم فروقاً في الصفات – ولكنها جميعاً تدل على تلك الحديـــدة الـــتي يكون بها القتال. و لم يقل أحد منهم : إن الحسام غير المهند. والمهند غير السيف – والسيف غير الصارم ... الخ.

وأما القراءة المعاصرة فقد تسللت من هذا الذي أجمع عليه أولئك الأئمة. إلى حكم مرتجل لا أصـــل له فقالـــت (( الترادف خدعة – والمترادفان متغايران )) وعليه فإن الكتاب غير القـــرآن ومنه فالقرآن شيء والكتاب شيء آخر والفرقان شيء آخر قالت والذكر شيء رابع والذي بين يديه شيء خامس وأم الكتاب شيء سادس. تفصيل الكتاب شيء سابع – وهات فأساً وخذ قطعاً (35)[114] و قد سبق أن قال : الفرقان في الأصل معناه هو الـــتفريق وهو مصدر ففي اللسان فرقت الشيئين أفرق فرقاً وفرقاناً وفي المفردات للراغب (والفرقان أبلغ من الفرق لأنه يستعمل في الفرق بين الحق و الباطل) (36)[115] .

---

[114] بيضة الديك ص61-62 و في الحاشية ( من رغب في الاستزادة ففي المزهر للسيوطي 412/1 سبعة أمثلة .

[115] المصدر نفسه ص 37 .

# الباب الرابع

## الإنـــزال والتنـــزيل والفـــرق بينهما

يقـــول (إن شـــرح الفرق بين الإنزال والتنـــزيل هو أحد المفاتيح الرئيسية لفهم الكتاب بشقيه النبوة والرسالة كما أن له علاقة كبيرة بمبادئ التأويل فبدون فهم الفرق بين الإنزال والتنـــزيل لا يمكن فهم قوله تعالى {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ} (الحديد 25) وقوله تعالى {يَابَنِي ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} (الآية 26 الأعراف) إذ قال إنه تم إنزال الحديد وقال إنه تم إنزال اللباس على بني آدم وقال أيضاً {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (يوسف 2) وقـــال {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} (القدر 1) فكيف نفهم إنزال الحديد وإنزال القرآن. أمـــا عـــن التـــنـــزيل فقال {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً} (الإنسان 23) وقال {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} (الجاثية 2) وقال {تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} (فصـــلت 2) وقال {تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الواقعة 80) إن النبي شرح الإنزال بقوله (( أنـــزل القـــرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك في ثلاث وعشرين )) رواه ابن عباس. البرهان في علوم القرآن الزركشي ج1ص288 وبما أن هذا الحديث من الأحاديث التي تتعلق بالغيب فلا ينبغي أن يفهم فهماً سطحياً ساذجاً بل لا بد من فهمه فهماً عقلانياً منطقياً (1)[116] يتناسب مع العقل وينطبق على الواقع. فإذا فهمناه ســـطحياً نقـــول إذا كـــان إنزال القرآن هو النـــزول إلى السماء الدنيا فماذا عن الحديد واللـــباس أي ما هو إنزال الحديد وإنزال اللباس وكيف يفهم إنزال القرآن وإنزال الحديد

---

[116] انظر ص 147 القراءة المعاصرة وانظر كيف جعل العقل هو الحكم .

بشكل لا يتناقض أحدهما مع الآخر أما التنزيل فكيف نوفق بين قوله {تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الواقعة 80) {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ تَنْزِيلاً} (الإنسان 23) وبين قوله {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى} (طه 80) وكيف نفهم {وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى} (البقرة 57) أي كيف نفهم الإنزال والتنزيل في المن والسلوى وفي القرآن فعن القرآن قال (نزلنا وأنزلنا وعن المن والسلوى قال أيضاً نزلنا وأنزلنا وعن الماء قال {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا} (الفرقان 48) وقال : {وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا} (ق 9).

وعن الذكر قال {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} (النحل 44) فما هو الإنزال والتنزيل للقرآن والإنزال والتنزيل للمن والسلوى والإنزال والتنزيل للماء والإنزال والتنزيل للذكر حيث قال عن الملائكة {وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى} (الأنعام 111) {وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لا يُنْظَرُونَ} (الأنعام 8) كيف نفهم الإنزال والتنزيل في هذه لحالات بشكل ينسجم مع بعضها البعض و ينسجم مع قوانين الحقيقة أي يجب أن يكون بينهما رباط يتطابق مطابقة موضوعية. إن الهمزة في اللسان العربي تعطي معنى التعدي مثال على ذلك – بلغ – وأبلغ – فلدينا مصطلحين هما البلاغ والإبلاغ – فعملية البلاغ هي نقل من شخص إلى آخر دون التأكد من أن الشخص المنقول إليه البلاغ وصله الخبر وعندما يصل محتوى البلاغ إلى إدراك ووعي الشخص المقصود بهذا يصبح إبلاغاً(2)[117] . لذا فعندما أمر الله سبحانه وتعالى الرسول صلى الله عليه و سلم قال {بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} (المائدة 67) ولو قال أبلغ ما أنزل إليك من ربك لوجب على النبي صلى الله عليه و سلم أن يتأكد من أن كل إنسان معني بهذا البلاغ قد أدرك ووعى محتويات البلاغ وبما أنه رسول الله إلى الناس جميعاً فيجب عليه في حالة

---

[117] انظر ص 148 المصدر نفسه .

الإبـــلاغ أن يطوف الدنيا ويتأكد من أن كل شخص وصله البلاغ. ولأن هذا متعذر كل التعذر فقد قال في حجة الوداع "ألا هل بلغت" و لم يقل ألا هل أبلغت " اللهم فاشهد )(3)[118] .

و قبل أن نترك المؤلف و ضربه الأمثلة للإبلاغ و التبليغ في قصص الرسل مع قولهم و أنهم أبلغـــوا رســـالات ربهـــم بنقل قوله ( ولا يثبت لمعترض أن يعترض علينا بقوله : إن الله ســـبحانه و تعالى قد قال على لسان هود عليه السلام {**قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَـــا أُرْسِـــلْتُ بِهِ**} (الأحقاف الآية 23) وهذا تبليغ وليس إبلاغاً لأن ماضي أبلغكم . بلغتكم لا أبلغتكم فنجيب قائلين لقد كان هذا بداية الدعوة لا في نهايتها )(4)[119] .

## موافقة المؤلف للجمهور في تعريف الإنزال والتنـــزيل

قـــال (الآن لنأخذ التنـــزيل و الإنزال فالتنـــزيل هو عملية نقل موضوعي خارج الوعي الإنســـاني والإنزال هو عملية نقل المادة المنقولة خارج الوعي الإنساني من غير المدرك أي دخلت مجال المعرفة الإنسانية: (5)[120] هذا في حالة وجود إنزال وتنـــزيل لشيء واحد مثل القرآن والماء والملائكة والمن والسلوى أما في حالة وجود إنزال دون تنـــزيل كما في حالة الحديد واللباس فإن الإنزال هو عملية الإدراك فقط – أي المعرفة فقط – لنأخذ أمثلة عاديـــة عـــلى الإنزال والتنـــزيل وأود أن أنوه بأن المكتشفات العلمية والتكنولوجية في النصف الثاني من القرن العشرين هي التي سمحت لنا بفهم الإنزال والتنـــزيل والجعل لهذه الدقة )(6)[121] . ويمثل لذلك بمثالين أحدهما واقع (نقل المباريات لكرة القدم حيث تكون في بلد ما وتشاهد من خلال التلفاز في بلد بعيد عنه أو أنها تسجل كمادة ثم ننقل إلى من

---

[118] المصدر نفسه 148.

[119] المصدر نفسه 148 .

[120] المصدر نفسه ص149 يدرك كيف انزل القرآن من السماء الدنيا إلى محمد صلى الله عليه و سلم .

[121] المصدر نفسه 151 . 122-121

[123] فإذا كان الصحابة الشاهدون لذلك أحياناً .

يـــريد أن يشاهدها أو يسمعها في أي مكان صـــوتاً وصـــورة على شـــريط كاسيت) (تعالى الله عن التشبيه ) (7)

وقال (لنناقش الآن حالة الإنزال والتنـــزيل في القرآن فقط وليس في أم الكتاب أو تفصيل الكتاب لأن أم الكتاب وتفصيل الكتاب (لهما وضع خاص ) إلى أن قال (ومن هذا نفهم أن أسباب النـــزول ليس لها معنى في القرآن لأن تنـــزيل القرآن على النبي صلى الله عليه و سلم هو حتمي سئل عنه أو لم يسأل ) (8)[122] وقال (وقد تم جعل القرآن وإنزاله عربياً عـــلى دفعـــة واحدة وهذا ما حصل في ليلة القدر قال تعالى **{إنا أنزلناه في ليلة القدر}** (القدر 1) وهكذا نفهم حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه في ليلة القدر نزل القرآن إلى السماء الدنيا أي أصبح قابلاً لأن يدرك من قبل الناس التي تعيش الحياة الدنيا وأشهر (9)[123].

ومن الغريب ما ذهب إليه المؤلف من محاولة تحويل الشهور من الزمن إلى أنها غير ذلك بل إنهـــا مـــن الشهرة والإشهار وحَوَّلَ كلمة ألف من معنى العدد إلى معنى التأليف وهو ضم الأشـــياء بعضـــها إلى بعض بشكل منسجم. فيقول : في قوله تعالى **{لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْـــفِ شَـــهْرٍ}** (القدر 3) (وبما أنه في ليلة القدر تم إشهار القرآن فلك أن تذهب بكلمة شهر إلى أنها من الشهرة و الإشهار لا الشهر الزمن كقولك (الشهر العقاري وهي الدائرة التي يتم فيها الإشهار القانوني الملزم للبيع والشراء. ولا يلزمك أن تفهم "الألف" على أنها عـــدد بل جاءت من فعل "ألف" وهو ضم الأشياء بعضها إلى بعض بشكل منسجم ومنه جاءت كلمة الإلفة والتأليف أي أن إشهار القرآن خَيْر من كل الإشهارات الأخرى مؤلفة كلها بعضها مع بعض ) (10)[124] .

و يعود إلى الصواب ليوضح الإنزال بقوله :

---

[124] المصدر نفسه 153 .

وقـــال تعـــالى {إِنَّـــا أَنْزَلْـــنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ} (الدخان 3). وقال {شَـــهْرُ رَمَضَـــانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ} (الآية 185 البقرة). لاحظ في الآيـــات الـــثلاث (يعني هاتين الآيتين والآية التي في أول سورة القدر) (أن فيها فعل أنزل والإنزال تم دفعة واحدة وكان عربياً) {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (الآية 2 يوسف).

و يقول :

التنـــزيل : هو نقلة مادية حصلت خارج الوعي الإنساني كالنقل بالأمواج (11)[125] ولكن حصلت عن طريق جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه و سلم وهو الذي تم عـــلى مدى ثلاثة و عشرين عاماً. ففي القرآن تلازم الجعل والإنزال وحصلا دفعة واحدة وافترق التنـــزيل حيث جاء في ثلاثة وعشرين عاماً لذا بعد الجعل والإنزال قال:

{فِـــي صُـــحُفٍ مُكَرَّمَةٍ(13)مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ(14)بِأَيْدِي سَفَرَةٍ(15)كِرَامٍ بَرَرَةٍ(16)} (عبس من 13-16) (12)[126] . وقال المؤلف قلنا إن إنزال القرآن حصل دفعة واحدة أي صيغ عربياً دفعة واحدة والذي جاء إلينا هذه الصياغة اللسانية بطريقة صوتية " الذكر " لا بطريقة خطية (13)[127] .

هـــذا وقـــد ضـــرب المؤلف أمثلة عديدة من أجل توضيح الإنزال والتنـــزيل والإدراك والإبلاغ من خلال دافع مادي محسوس و لم نر لنقلها فائدة (14)[128] .

## إنكاره أسباب النـــزول للقرآن :

قال : حتى يكون هناك حالة إنزال منفصلة عن التنـــزيل في القرآن يجب أن يكون للقرآن وجـــود قبل الإنزال والتنـــزيل ومن هنا يفهم، أن أسباب النـــزول ليس لها أي معنى في

---

[125] الله أعلم كيف يتزل .

[126] المصدر نفسه 153 .

[127] المصدر نفسه 155 .

[128] من شاء أن يطلع عليها فلينظر في الصفحات 151 ،155 ، 156 .

القـــرآن لأن تـــنـــزيل القـــرآن على النبي صلى الله عليه وسلم هو حتمي سئل عنه أم لم يسأل. لذا قال عن الأشياء التي تخص مواضيع القرآن مثل الغيبيات {**لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُـــبْدَ لَكُـــمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُـــورٌ حَلِـــيمٌ**} (المائدة 101) ولم يقل أبداً عن الأشياء التي تخص الأحكام أو تفصيل الكـــتاب لا تسألوا عنها ( 15)[129] . ويظهر من هذا أن المؤلف يثبت أسباب النـــزول لآيـــات الحـــدود والعبادات والمعاملات التي يسميها أم الكتاب وتفصيل الكتاب) وينفي أســـباب النـــزول للقرآن فيقول (فلو كانت الآية {**عَبَسَ وَتَوَلَّى(1)أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى(2)**} (عـــبس 1،2) هـــي من القرآن وهم يقولون إن القرآن قديم وهو كلام الله، فهي بالتالي حقيقة صارمة محزنة قبل حدوث الحدث ولكانت حقيقة خارج الوعي أي ليس لها علاقة بـــإدراك النبي صلى الله عليه وسلم أو عدم إدراكه. ففي هذه الحالة لم يكن للنبي صلى الله علـــيه وسلم أي خيار من أن يعبس أولا يعبس (16)[130] وليس لعبد الله ابن أم مكتوم وهـــو الأعمـــى المعني أي خيار في أن يأتي أو لا يأتي وفي هذه الحالة شئنا أم أبينا وبعبارة مبســـطة تصبح رسالة محمد صلى الله عليه وسلم أشبه بممثل وتمثيلية أخرجت ووضع لها ســـيناريو مسبق وقدمت للناس على أنها هداية لهم. ولأصبحت الحياة الإنسانية عبارة عن كومـــيديا إلهـــية. أي أن الـــناس مجموعة من الصور المتحركة مبرمجة منذ الأزل في أفعالها وأقوالها ولأصبحت هذه الدنيا لهواً إلهياً. ولأصبح مفهوم خلافة الإنسان للأرض ليس أكثر مـــن خدعـــة (17)[131] . علماً أن الله أخبرنا بغير ذلك فالله سبحانه لا يلهو معنا ونحن بالنسبة لله لسنا صوراً متحركة مبرمجة مسبقاً في اختياراتها وأقوالها لذا قال تعالى :

---

[129] المصدر نفسه 151 .

[130] المصدر نفسه ص158 .

[131] لقد نقلت هذا الهراء وأنا أخشى أن تنشل يدي فأعوذ بالله من ذلك .

{لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ} (الأنبياء 17) لاحظ كيف قدم جواب الشرط على الشرط لأهمية الجواب ) (18)[132] .

لقد نقلت هذا الهراء كاملاً ليطلع القارئ عليه وأما استدلاله بالآية (17) من الأنبياء فغير صحيح أبداً لأن الآية المذكورة وردت لتؤكد أن الله لم يخلق السماء والأرض عبثاً ولعباً قال تعالى

{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ} (الأنبياء 16) ثم أتبعها بالآية {لوأردنا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ} (الأنبياء 17). وعسى ألا يستحق المؤلف الويل لوصفه هذا. وفي وصفه للمسلمين المعاصرين فيما يأتي :

قال: (إن المسلمين أصبحوا في هذه الحالة من الوهن. ليس لأنهم تركوا الصلاة والحج والزكاة أو لأنهم شربوا الخمر (ألم يسمع المؤلف بقول اليهودي للمسلم لو أنكم تتواجدون في صلاة الصبح مثل تواجدكم في صلاة الجمعة لانتصرتم علينا). (إنما بسبب الخلط في مسألة الحرية والقضاء والقدر والجبر والاختيار والتقرير المسبق لعمر الإنسان ورزقه وعمله. وما هو الموجود مسبقاً قبل أن يدخل في المدركات وما هو غير الموجود. إن غموض هذه النقاط بالذات هي التي تسبب لكثير من العرب والمسلمين في أن يبحثوا عن هوية أخرى غير الهوية العربية الإسلامية. ورفض الإسلام جملة و تفصيلاً علماً بأن السلف قد بحثوا هذه الأمور ووضعوها ضمن أطر قد تكون مقبولة منذ مئات السنين حسب تأويلاتهم. ولكن هذه الأطر غير مقبولة الآن طبقاً لتحديات ومعطيات العصر وهذا السبب الأساسي في دخول فلسفات غير إسلامية إلى عقر دار المسلمين )(20)[133]

ونقول لماذا لا تكون هذه الأطر مقبولة الآن وهي صادرة عن أناس عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم وفهموا القرآن فهماً صحيحاً.

---

[132] المصدر نفسه 158 .

**ونؤجل تعريفه لأم الكتاب لكي لا نخرج من آرائه في أسباب النـــزول.**

مـــرّ بـــنا أنه ينفي أسباب النـــزول للقرآن وإنكاره أن نزول أول سورة عبس لم ينـــزل بســـبب ولعله يرى أن سورة عبس أنها من أم الكتاب حسب تقسيماته لذا فهو لم ينكر نـــزول عبس وخاصة أولها فهو يقول (إن الآية {عَبَسَ وَتَوَلَّى(1)أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى(2)} جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم تصحيحاً من الله عز وجل أي أنه لو لم يعبس النبي صلى الله عليه وسلم بعبد الله ابن أم مكتوم لما نزلت هذه الآية مطلقاً ولما سمعنا بها (21)[134] .

و يقول :

- الإنزال {وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا} (الرعد 37).

-التنـــزيل {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} (الزمر "1").

تنـــزيل أم الكتاب :

(هـــنا ذكـــر التـــنـــزيل للكـــتاب حيث أن أم الكتاب هي جزء منه وقد تلازم الإنزال والتـــنـــزيل في أم الكـــتاب وتفصـــيل الكتاب. لِنُلَخِّص الآن – الجعل – والتنـــزيل – والإنـــزال :

1- الجعل : {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} الزخرف 3 .

2- الإنزال :

أ) للقـــرآن {إِنَّـــا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (يوسف 2) وهو للقرآن فقط.

ب) لأم الكـــتاب {وَكَذَلِـــكَ أَنْزَلْـــنَاهُ حُكْمًـــا عَرَبِيًّا} (الرعد 37).

ت) للكـــتاب كلـــه {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا} (الكهف 1). (هنا نذكر الإنزال للكتاب

---

[134] المصدر نفسه 159 .

كلـــه لكـــي يشتمل القرآن وأم الكتاب وتفصيل الكتاب والسبع المثاني (22)[135].

3- التنـــزيل :

أ) للقرآن {**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ تَنْزِيلاً**} (الإنسان 23).

ب) أم الكتاب وتفصيل الكتاب والسبع المثاني معاً جاءوا في تنزيل الكتاب : {**تَـــنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**} (الزمر 1) {**تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّـــهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**} ( غافر 2) {**تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**} (الجاثية 2) (الأحقاف 3).

أما بالنسبة للسبع المثاني فقد ذكر الإنزال في الكتاب {**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِـــتَابَ وَلَـــمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا**} (الكهف 1) وذكر التنـــزيل على حدة في قوله تعالى {**اللَّـــهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ**) (الآية 23 الزمر) ففي القرآن تلازم الإنـــزال والجعل وافتراق التنـــزيل حيث حصل على -23-سنة. وفي أم الكتاب أنزلت ونزلت على مدى ثلاث وعشرين سنة (23)[136] إن ترتيب الكتاب بهذا الشكل وتداخل القرآن مع أم الكتاب واستعمال المصطلحات هو من قرار رب العالمين مباشرة و ليس لـــه أي علاقة بتخزين موضوعي مسبق أي ليس له علاقة بلوح محفوظ أو إمام مبين) (24)[137] .

(بقـــي عليـــنا أن نوضح ما هي السبع المثاني {**وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ**} (الحجر 87).

**الســـبع المثـــاني : قـــال :**

---

[135] المصدر نفسه 161 وقد اعترف هنا أن الكتاب يشمل على القرآن و ضم إليه أم الكتاب و تفصيل الكتاب و السبع المثاني .

[136] المصدر نفسه 162 لماذا قالت أنزلت و نزلت في 23 سنة .

[137] المصدر نفسه ص162 .

1- لقد عطف القرآن على السبع المثاني فهذا يعني أن القرآن شيء والسبع المثاني شيء آخر وأن السبع المثاني ليست جزءاً من القرآن وقد وضعها الله سبحانه وتعالى قبل القرآن حيث ميزها بالأفضلية من ناحية المعلومات.

2- لا يمكن أن يكون القرآن جزءاً من السبع المثاني لأن المثاني سبع آيات والقرآن أكثر من ذلك.

3- وجب، أن يكون هناك تجانس ما بينهما حيث يتم عطف أحدهما على الآخر فإذا تم عطف القرآن على أن الكتاب (25)[138] فوجه التجانس بينهما أنهما موحيان من الله. وهكذا نرى عندما عطف {ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا} (التحريم 5) أن الثيب غير البكر ولكن كلاهما من النساء ونقول الآن (الكلام للمؤلف) بما أن القرآن العظيم هو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والنبوة علوم فهذا يعني أن السبع المثاني هي من النبوة وفيها علوم وهكذا نفهم قول النبي صلى الله عليه وسلم إن صح ((ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه)) هذا جزء من حديث أخرجه أبو داود أنظر مختصر تفسير ابن كثير (ج 1ص12 ) ما هو إلا تعليق على هذه الآية (26 )[139] .فإذا كانت السبع المثاني هي مثل القرآن فهذا يعني أن المعلومات الواردة فيها لا تقل كماً ونوعاً عن المعلومات الواردة في القرآن ولكن جاءت بطريقة تعبيرية مختلفة عن طريقة القرآن —4- لقد ميز السبع المثاني عن القرآن بأن أطلق عليها أحسن الحديث وذلك في قوله {**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**}(الزمر 23). فلقد أطلق على القرآن

---

[138] لعله يريد — السبع المثاني .

[139] لم نعهد منه الاعتراف بالتفاسير .

مصـــطلح الحديث وأطلق على السبع المثاني مصطلح أحسن الحديث حيث أنه تم تمييزها وهذا التمييز بأن القرآن آيات متشابهات فقط. وأحسن الحديث يحمل بالإضافة إلى التشابه صفة المثاني {**كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ**} أما القرآن فكتاب متشابه فقط فما هي المثاني).

يقـــول المؤلـــف (ما هي السبع المثاني : جاء في مقاييس اللغة ما يلي : الثاء – والنون – والـــياء أصل واحد وهو تكرير الشيء مرتين أو جعله شيئين متواليين أو متتاليين وجاء فيه المثـــناة طرف الزمام في الخشاش وإنما يثن الشيء من أطرافه فالمثاني هي الأطراف ومن هنا كان لكل سورة مثناة أي طرف فالمثاني إذا هي أطراف السور وهي إذا فواتحها. يبدو لنا مـــن خـــلاف الأولى أن نسمي الفاتحة بالسبع المثاني. لأن الفاتحة هي سبع آيات في فاتحة واحدة هي فاتحة الكتاب ولكن السبع المثاني هي سبع آيات كل منها فاتحة. أي هي سبع آيات وهي في الوقت نفسه سبع فواتح فيبقى احتمال واحد : بما أن الكتاب واحد وبما أنه مؤلـــف من 114 سورة فيلزم أن تكون السبع المثاني هي سبع فواتح للسور كل منها آية منفصـــلة في ذاتهـــا فـــإذا نظـــرنا إلى فواتح السور نرى فيها السبع المثاني وهي( 1- ألم -2- ألمص 3- كهيعص 4- يس 5- طه 6- طسم 7- حم ).

ونقـــول : إن جمهـــور العـــلماء يرى أن السبع المثاني هي فاتحة الكتاب لأنها سبع آيات مفصـــلات يصـــح فيها أن تكون مثاني ولأن كل آية من آياتها يثنى عليها بشرح وافي من الكتاب المعظم.

ويعـــود المؤلف فيقول (فإذا سأل سائل ما هي إذا – الر –المر – طس – ن – ق- ص- . أقول هذه حروف كل منها جزء من آية وليس آية منفصلة تامة فالآية الأولى في سورة – ن- هـــي {**ن والقلم وما يسطرون**} أما الآية الأولى في سورة البقرة فهي – ألم – وأما عسق – فهي ليست فاتحة لسورة لأنها الآية الثانية في سورة الشورى والآية الأولى هي – حم – ).

**ولكن المؤلف** لما نظر إلى هذه الفواتح السبع لم يجدها مثاني فلجأ إلى الحروف و الأصوات فيقول : (إذا نظرنا إلى عدد – الحروف – الأصوات الموجودة في الآيات السبع المذكورة أعـــلاه نـــراها تتألف من أحد عشر "11" حرفاً صوتاً هي 1- الطاء 2- اللام 3- الميم 4- الصـــاد 5- الكاف 6- الألف 7- الياء 8- العين 9- السين 10- الهاء 11- الحـــاء. وإذا أخذنا بقية الحروف "الأصوات الموجودة في الر- المر- طس- عسق- ن- ق- ص- والـــتي لا تشـــكل آيـــات منفصلة في ذاتها كبداية هي "عسق" فنرى منها ثلاثة حروف أصوات غير موجودة في آيات السبعة الفواتح وهي –1- القاف –2- الراء –3- النون فمن هذه الأصوات تتألف كلمة "القرآن " لأنها كلمة القرآن مشتقة من "قرأ" و معنى قرأ الجمع كما في المقاييس وكذا معنى ق ر ن وعليه فالقراءة والقرن "جمع "وفيها استقراء ومقارنة.

وإذا أضـــفنا الحروف الأصوات الثلاثة الإضافية إلى السبعة الفواتح التي تشمل على أحد عشـــر حـــرفاً يصبح المجموع أربعة عشر "14" حرفاً" صوتاً" مختلفاً أي 7×2 وهذه هي أيضاً 7 مثان) (27).

ونقول : وهنا يظهر خطأ المؤلف وارتباكه فهو لما زعم أن السبع الفواتح هي السبع المثاني لم يستطع أن يثبت أنها مثاني أي أن فيها 14 حرفاً فذهب إلى – المر – الر- طس – ن- ق – ص. الـــتي قد رفض أن تكون من السبع المثاني) فأخذ منها –3- أحرف ليكمل – 14- حرفاً حتى تكون 7×2=14 أي مثاني وكذلك لجأ إلى كلمة قرن – ليجعل القرآن منشقاً منها لأنه محتاج إلى هذه الأحرف ق ر ن ليكمل 14 حرفاً فهل هذا التجميع أولى مـــن رأي الجمهـــور بأن السبع المثاني هي فاتحة الكتاب التي تحتوي على سبع آيات كلها مـــثاني. وهل تقشعر جلود المؤمنين منها وهي مجرد أصوات لأن المثاني التي في الزمر الآية 23 تفيد بأن هذه الآيات تفسر بشرحين بمعنى أنها تعطي طاقة دلالية للآية الواحدة ضمن الإطار الأكمل للقرآن.

## أم الكتـــاب :

وهو في تفصيله هذا يخالف الجمهور في مصطلح أم الكتاب فيقول :

(لـــذا فإنه من الخطأ الفاحش اعتبار أم الكتاب هي فاتحة الكتاب كما يعتقد البعض لأن هـــذا يناقض بنية الكتاب فإذا كانت الفاتحة هي أم الكتاب فهذا يعني أن كل السور من أول سورة البقرة إلى آخر سورة الناس من المتشابهات وتفصيل الكتاب. ففاتحة الكتاب لا يوجـــد فيها أحكام فعند ذلك تصبح أحكام الصوم والصلاة والحج والزكاة وبر الوالدين والإرث وكـــل مـــا جاء في أم الكتاب هو من المتشابه القابل للتأويل، علماً بأنه لا يمكن تأويله. ولوقعنا في تناقض مرعب وهو كيف نأمر الأطفال وهم في سن العاشرة بالصلاة، وأي إنسان يفهم آية الإرث وآية الوضوء. وأي إنسان يفهم أحكام الصوم ومع ذلك قال **{وَمَـــا يَعْلَـــمُ تَأْوِيلَـــهُ إلا اللَّـــهُ وَالرَّاسِـــخُونَ فِي الْعِلْمِ}** (آل عمران 7) ). ويقول: (إني لأعجب كل العجب كيف كانت أم الكتاب عند المفسرين في سورة آل عمران هي مجموعـــة الآيات المحكمات فأصبحت في سورة الرعد اللوح المحفوظ. علماً بأن أم الكتاب هـــو مصطلح والمصطلح لا يخضع لظاهرة التشابه لأن من عادة المصطلح أن يعرف. وقد عـــرفه الله سبحانه وتعالى في سورة آل عمران **{مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ}** (آل عمـــران 7) (35)[140] . وإني لأعجب كيف كان الكتاب عند المفسرين هو المحكم والمتشابه في سورة آل عمران **{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِـــتَابِ وَأُخَـــرُ مُتَشَابِهَاتٌ}** (الآية 7آل عمران). ثم أصبح هذا الكتاب الذي جاء معـــرفاً بـــال في ســـورة فاطـــر الكتاب **{وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ}** (الآيـــة 31 مـــن ســـورة فاطر) فأصبح هذا الكتاب في سورة فاطر هو اللوح المحفوظ.

---

[140] يستدل بهذه الآية على الراسخين في العلم لهم حق التأويل فهو يعتبر الواو هنا عاطفة وهناك رأي راجح بأنها استئنافية حيث يقول الله و الراسخون في العلم يقولون الآية ص159 .

وأكـــرر أنـــه جاء معرفاً في الحالتين. ولو جاء منكراً في الحالتين لقلنا إن هذا كتاب وهذا كـــتاب آخر. أولو جاء معرفاً في حالة ومنكراً في أخرى لقلنا هذا غير هذا علماً بأنه أيضاً حين قال. الكتاب معرفاً آل عمران.

ونقـــول لقـــد أدخل المؤلف الأحكام الشرعية في أم الكتاب لأنه يزعم أن أم الكتاب هي الرسالة. ولقد قلنا فيما سبق بأن أم الكتاب يمكن أن تكون شيئاً عند الله وهاهم المفسرون يقولون (إن أم الكتاب هي اللوح المحفوظ وها هي الدكتورة نشأت ظبيان تقول في ص9 من كتابها ذاك رد تقول :

أما أم الكتاب فهو إشارة إلى أصل الكتاب المحفوظ في اللوح المحفوظ {**وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**} (39 الرعد) {**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ**} (أل عمران 19) وليس للرسالة حكماً لأن الرســـالة تحـــتوي تلقي الوحي وحفظ الكلمات الموحاة وتبليغها وتطبيقها العملي الذي يكـــون عليه تقويم العالمين الدنيوي والأخروي على السواء وفي الأصل أم في أصول اللغة وهـــي أصـــل الشـــيء ولا يمكن أن ننقل مفهومها إلى الرسالة إلى أن قالت فأم الكتاب مفهومهـــا الذي لا يخطئ هو أصل الدستور الإلهي العظيم وأصل الدين في اللوح المحفوظ {**إن الدين عند الله الإسلام**} بل واصل الأديان كلها كما نفهمها الآن.

ثم قال {**كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُ**} في سورة هود وظن المفسرون أن الكتاب المعرف في آل عمران هو نفسه المنكر في سورة هود مع أن معنى الكتاب في سورة آل عمران {**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**} هو المحكم + المتشـــابه + ألاّ محكـــم وألاّ متشابه (أي الرسالة والنبوة – أم الكتاب والقرآن والسبع المـــثاني وتفصيل الكتاب. أما {**كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُ**} في سورة هود فهو الرسالة فقط. أي الكـــتاب المحكـــم فقط حيث جاء الكتاب منكراً فعرف بإضافة {**أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُ**} فأصـــبح في هـــذه الحالة الكتاب المحكم (36)[141] . وإن الآية التي تبين بشكل قاطع أن

---

[141] المصدر نفسه و المؤلف لم يحلنا إلى أي كتاب من كتب التفسير كي نطمئن لكلامه و نصدقه .

الإنـــزال والتـــنـــزيل تلازمـــا في الآيـــات المحكمـــات هي الآية (20) في سورة محمد {وَيَقُـــولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ}. وكما نعلم أن الإنزال حصل دفعة واحدة للقرآن كله فإذا كان القرآن هو كل محتويات المصحف فكيف يقـــول (أنزلت سورة ولكي يبين أن المعني بهذه الآية هو المحكم قال سورة محكمة أي أنها سورة ليست من القرآن و ذكر الإنزال و التنـــزيل معاً) (37)[142] .

هـــنا يســـتدل المؤلف على أن المحكم ليس من القرآن وأنه لم يترل للسماء الدنيا وأن أم الكـــتاب (حســـب تســـميته وتفصيل الكتاب جاءا من العرش أي من عند الله مباشرة (38)[143] وأنهمـــا أي أم الكتاب وتفصيل الكتاب لهما وضع خاص (39)[144] . والذي نعلمه أن الذي أنزله الله عنى محمد صلى الله عليه وسلم مباشرة هي الصلاة فقط – وهي عـــند المؤلف من أم الكتاب التي تشمل جميع آيات الرسالة والمؤلف لم يورد دليلاً واحداً على أن أم الكتاب و تفصيل الكتاب جاءا من عند الله مباشرة إلا الصلاة ويشك في ذلك فـــيقول (ثم يَتَنَبَّهْ إلى كيفية فرض الصلاة حسب الروايات إن صحت. فالله فرض الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في المعراج فقال خمسون صلاة ثم نزلت إلى خمس إن صح هذا فلو كانت الصلاة من القرآن لتغير القرآن والله لا يغير القرآن من أجل أحد ولا ينسخ شيئاً من القرآن من أجل أحد لا من أجل محمد ولا عيسى ولا موسى) (40)[145] .

والمؤلف يرى أن أم الكتاب تخضع للناسخ والمنسوخ والتبديل والاجتهاد

فـــيقول : بما أن محتويات أم الكتاب ليست لها علاقة – بلوح محفوظ – أو إمام مبين – وليســـت مطلقة {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً}

---

[142] المصدر نفسه 163 وانظر لقول السورة ليست من القرآن .

[143] المصدر نفسه 164.

[144] المصدر نفسه انظر 151 .

[145] المصدر نفسه 160 .

(الآية 48 المائدة) فإنها تخضع للتبديل والاجتهاد والاختلاف بين أمة وأخرى وزمن وآخر وتخضع لأسباب النـــزول وقد أوحيت مباشرة من الله سبحانه ) (41 )[146] .

ويقول : فمقام الرسالة كان في المسموح والممنوع وهذا هو السر الأكبر في وجود الناسخ والمنســـوخ في أم الكـــتاب ووجود التطور في التشريع (42) ولذلك نحذر من الظن أنه يوجـــد ناســـخ ومنسوخ في القرآن أو في تفصيل الكتاب ففي رسالة محمد صلى الله عليه وسلم جاءت تعليمات وألغيت فيما بعد أي في نفس الرسالة حصل تغيير فجاء هذا التغيير فيما يتعلق بالسلوك الإنساني فمثلاً قال {**وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِـــهِ اللَّهُ**} (الآية 284 البقرة) ثم نسختها الآية {**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**} – الآية 286 البقرة) لذا قال تعالى {**يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**} (الرعد 39) هـــنا نلاحظ هذين الأمرين الهامين : أولهما أن أم الكتاب فيها يمحوا ويثبت أي فيها تغيير والأمر الثاني أنه ليس لها علاقة بالقرآن لذا قال {**وعنده أم الكتاب**} أي إنها من عند الله مباشرة.

ويقول : بما أن أم الكتاب أنزلت عربية {**وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا**}(الآية 37 الرعد)

(وجـــزء من أم الكتاب له علاقة بالأحداث التي حصلت في أثناء بعثة محمد صلى الله عليه وسلم. أسباب النـــزول. أما القرآن فليس له علاقة بالأحداث التي حصلت في أثناء بعثته صلى الله عليه وسلم وأنزل أيضاً عربياً {**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**}(يوسف2) فلـــو جعـــل القـــرآن فقط أعجمياً لأصبح في الكتاب لغتان القرآن أعجمي وأم الكتاب وتفصيل الكتاب باللسان العربي أي يصبح الكتاب بلغتين عربية وأعجمية وآيات متداخلة بلسانين (44)[147] بأحكام وتفصيل الأحكام عربية.

---

[146] المصدر نفسه ص42 يقول في ص 159 أن من أرسل تشريعات مختلفة لرسل و أقوام لم يقصها على النبي صلى الله عليه وسلم لأن هذه التشريعات كانت مرحلية و ألغيت و هكذا ما نراه بالنسبة لموسى و عيسى .

[147] المصدر نفسه 118 .

(حيـــث أن في الأحكام وتفصيل الكتاب تلازم الإنزال والتنـــزيل ولا يوجد فيهما جعل. والقـــرآن أعجمي 45) فوجب فصل بعضهما عن بعض وفي هذا المجال بالضبط قال في سورة فصلت {**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ**} (الآيـــة 44 فصلت) لاحظ هنا فصلت آياته أي فصلت بعضها عن بعض والهاء في آياته تعود على مجمل التنـــزيل كله حيث ذكره في مجال (الذكر) في الآيات 41،42 في قوله تعالى {**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ(41) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ(42)**}.

و يتساءل المؤلف هل يمكن أن يجعل القرآن أعجمياً ويجيب بقوله :

الجـــواب نعـــم لسببين : **الأول**: هو أن القرآن له وجود مسبق قبل أن يكون عربياً وإنما جعـــل عربـــياً دفعة واحدة في الإنزال (46)[148] . **والثاني**: أن مهمة النبي صلى الله عليه وســـلم كانت نقل القرآن إلى الناس دون تأويل وفي هذا كان عجب العرب بأن ينـــزل القـــرآن على محمد صلى الله عليه وسلم في شبه جزيرة العرب والعرب قوم متخلفون عن غيرهـــم فكانت تجاورهم فارس والروم. وكان الروم والفرس متقدمين من الناحية العلمية والحضـــارية على العرب {**وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**} (الزخـــرف 31) لاحـــظ أن هذه الآية جاءت حول القرآن فقط وليس حول أم الكتاب والقـــرآن لا علاقـــة له بأســـباب النـــزول (47)[149] والقريتان هنا هما الروم والفرس، والقـــرية هـــنا من المجتمع المستقر من فعل "قرر" ومنها جاء الاستقرار لأن الروم والفرس كانوا مؤهلين أكثر لاستقبال القرآن لهذا اتبعها بقوله تعالى {**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ**}

---

[148]. المصدر نفسه 119.

[149]. المصدر نفسه 119.

(الزخـــرف32) ولهـــذا فإنه كان كثيراً ما يسبق إلى ظني أن المقصود بالقريتين هو الفرس والروم لا مكة والطائف ) (47)[150] .

و نقـــول هنا عجباً لأمر المؤلف كيف يقول كان القرآن أعجمياً ثم جعل عربياً واستدل بالآيـــة في ســـورة فصـــلت {وَلَـــوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ} (الآية 44 فصلت) هل قال الله سبحانه وتعالى ولو تركناه أعجمياً فالله أعلم بحال القرآن وهيئـــته قبل الإنزال (وقال في قوله تعالى في الآية نفسها فصلت آياته – أي فصل بعضها عن بعض والهاء في آياته تعود على مجمل التنـــزيل كله) ونقول لا ندري هل هناك قراءة تقـــول فُصِلَت، بتخفيف الصاد إذ المشهور فُصِّلَت بتشديد الصاد وبهذا فهي الفصل وإنما تفيد الشرح والإيضاح وكذلك نساءله هل يمكن أن يكون القرآن أعجمياً وإجابته "بنعم" وأن القـــرآن له وجود سبق قبل أن يكون عربياً وإنما جعل عربياً دفعة واحدة في الإنزال. ولأن مهمة النبي صلى الله عليه وسلم كانت نقل القرآن إلى الناس دون تأويل. وليس لـــه دلـــيل على هذا إلا عجب العرب بأن ينـــزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم في شـــبه جزيـــرة العـــرب والعـــرب كانوا يختلفون عن غيرهم حيث قال الله عن العرب {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ} ونقول هل قول العرب هذا يفهم مـــنه أنهم لا يريدون أن يكون النبي منهم ومن قريتهم أم أن اعتراضهم منصب على أنهم يـــريدون أعظم من محمد صلى الله عليه وسلم. ثم يقول لأن الروم والفرس كانوا مؤهلين أكـــثر مـــن العـــرب لاســـتقبال القرآن لذا اتبعها الله بقوله {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ} (الزخرف 32) وكان يعترض مع المعترضين بقوله (ولهذا فإنه كان كثيراً ما يسبق إلى ظني أن المقصـــود بالقريـــتين إنمـــا هو الفرس والروم لا مكة والطائف) سبحان الله ما أجهل الإنسان.

---

[150] المصدر نفسه 119 .

## تـــفصيل الكتـــاب :

قال المؤلف :

قال تعالى {وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْءَانُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (يونس 37) وقال تعالى : {مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (يوسف 111) وقال تعالى {الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} (هود1) وقال تعالى {أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} (الأنعام 114).

ثم قـــال هذه الآيات تتحدث عن التفصيل من الفعل "فصل" وهو أصل صحيح يدل على تمييز الشيء من الشيء وإبانته عنه (ابن فارس 4 ص 5- 20) وعلى هذا المعنى فالتفصيل يحمل وجهين :

1- الوجـــه الأول : التفصيل بمعنى الشرح سبق أن ذكرت الآيات التي تتحدث عن الكتاب بأن فيه محكماً ومتشابهاً والتي تذكر أن القرآن جعل عربـــياً وأنزل عربياً وأن أم الكتاب عربية وأن القرآن لا يمسه إلا المطهرون هـــذه الآيـــات تشرح محتويات الكتاب لذا فهي لا محكمة ولا متشابهة أي ليســـت أحكامـــاً وليست قرآناً فهذه الآيات تفصيل الكتاب في قوله تعالى {وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} وقد جاء التفصيل بمعنى الشرح في قوله تعالى في آخر سورة يوسف {وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ}.

2- الوجه الثاني : الفصل المادي للأشياء زمانياً ومكانياً أي أن تأتي أحداث متتالية مفصولة زمانياً بعضها عن بعض كأن نقول الفصل الدراسي الأول والفصل الدراسي الثاني وهكذا يعني أن هناك فاصلاً زمنياً فَصَلَ بينهما وأنهما جاءا بالتالي وبمعنى الفصل الزمني كأحداث متتالية جاءت الآية **{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَاتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ}** (الأعراف 133).

(فهنا ذكر خمس آيات من الآيات التسع التي جاءت إلى موسى ولكن ذكر هنا أن هذه الآيات الخمس كانت آيات مفصلات أي مفصولاً بعضها عن بعض إذ جاء الطوفان أولاً ثم تلاه الجراد وهكذا حتى الدم وهناك أيضاً الفصل المكاني) أي فصل آيات الكتاب بعضها عن بعض ووضعها في أماكن مختلفة في الكتاب (السور) وعلى هذا الأساس نفهم قوله تعالى **{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً}** (الأنعام114) أي أن الكتاب مفصل إلى 114 سورة كأن تقول ولله المثل الأعلى : إن كتاباً مؤلف من فصلين أو ثلاثة فصول هذا ليس أن فصل الآيات بعضها عن بعض توقيفي وإن عدد الآيات وترتيبها في كل سورة توقيفي من الله (48)[151] أما قوله تعالى **{الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}** (هود 1) فهذه الآية تتحدث عن الفصل المكاني للكتاب المحكم والذي يمثل مجموع الآيات المحكمات "أم الكتاب "لذا وضع في صيغة النكرة في قوله كتاب. ثم عرفه بإضافة **{أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُ}** وهو هنا الكتاب المحكم وليس المصحف. هذا الكتاب المحكم نرى أن الأحكام فيه موزعة في كل المصحف فنرى أحكاماً في سورة البقرة ثم نرى أحكاماً أخرى في سورة النساء والمائدة ...الخ.

---

[151] المصدر نفسه 114 ، 115 .

(وهـــذا ما لا نراه في الكتب الإنسانية فعندما تقرأ أحكام الدستور لدولة ما نرى أن هذه الأحكام تحمل صفة التتالي فنرى المادة الأولى تتلوها المادة الثانية وهكذا ولكن في الكتاب نـــرى حكمـــاً ما يتلوه آية كونية ثم حكم آخر وهكذا. هذا الفصل في الآيات المحكمات لبعضها عن بعض إنما هو من الله. يدلك على ذلك أنه اتبعها بقوله :

**{ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}**.

و نقـــول يتحدث المؤلف عن تفصيل الآيات بعد أن كانت محكمة فيزعم أن التفصيل هو الفصـــل فيقول (وهناك الفصل المكاني أي فصل آيات الكتاب بعضها عن بعض ووضعها في أماكن في الكتاب السور وعلى هذا الأساس بفهم قوله تعالى **{وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً}** (الأنعام 114). أي أن الكتاب مفصل إلى 114 سورة كأن يقول ولله المثل الأعلى أن كتاباً مؤلف من فصلين أو ثلاثة فصول هذا ليس أن فصل الآيات بعضها عـــن بعض توقيفي وإن عدد الآيات وترتيبها في كل سورة توقيفي من الله أما قوله تعالى **{الـــر كِـــتَابٌ أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}** (هود 1) فهذه الآية تـــتحدث عـــن الفصـــل المكاني للكتاب المحكم والذي يمثل مجموع الآيات المحكمات "أم الكـــتاب"لـــذا وضع الكتاب في صيغة النكرة في قوله "كتاب" ثم عرف بإضافة أحكمت آياتـــه) وهو هنا الكتاب المحكم و ليس المصحف هذا الكتاب المحكم نرى أن الأحكام فيه موزعـــة في كل المصحف فترى أحكاماً في سورة البقرة ثم ترى أحكاماً أخرى في سورة النساء والمائدة ...الخ . وهذا ما لا نراه في الكتب الإنسانية ...الخ.

ولكـــن في الكـــتاب نرى حكماً ما يتلوه آية كونية ثم قصص ثم حكم آخر وهكذا هذا الفصل في الآيات المحكمات بعضها عن بعض إنما هو من عند الله يدل على ذلك أنه اتبعها بقوله **{ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}**.

و لكنـــنا نقول إن الأمر ليس كذلك فإن التفصيل هو تفصيل المحكم أي تبيان ما أجمل في الآيات وكذلك فإن تفصيل الآيات الخمس التي عوقب بها اليهود لم يكن تفصيلها وترتيب نزولها وإنما إيضاحها وإظهار شناعتها.

ثم يقـــول المؤلف فإذا سأل سائل ماذا وضع بين آيات الكتاب المحكم ؟ فقد جاء الإجابة على هذا السؤال في سورة فصلت في قوله تعالى {**كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُـــونَ**} (فصـــلت 3). فصيغة {**قُرْءَانًا عَرَبِيًّا**} هي حال لفعل فصلت وليست وصفاً لكـــلمة كـــتاب أي أن آيات الكتاب المحكم فصل بعضها عن بعض ووضع بينها القرآن وفاعل الفصل هو الله سبحانه وتعالى لقوله {**مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**}.

ويقـــول إن التـــيه الأكـــبر في كتب التفسير هو أن أصحابها لم يربطوا بين الآية "7" من آل عمـــران {**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَـــابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَـــا يَعْلَـــمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّـــرُ إِلا أُولُو الْأَلْبَابِ**} نوع الآية تفصيل الكتاب لا محكم ولا متشابه الآية "1" سورة هود هي {**الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**} نوع الآية تفصيل الكـــتاب و "الـــر" مـــن أصـــوات الســـبع المثاني. والآية "3" من سورة فصلت وهي {**كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**} نوع الآية تفصيل الكتاب والآية "23" من سورة الزمر وهي {**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**} نوع الآية تفصيل الكتاب.

ويقول إن الخطأ هو الظن بأن الكتاب المقصود بهذه الآيات المذكورة أعلاه هو نفسه. أي أن الكتاب الموجود بين دفتي المصحف هو المقصود بهذه الآيات كلها. وبدون هذا التفريق لا يمكن وضع منهج علمي لفهم الكتاب من أحكام – وقرآن – وتفصيل الكتاب (49)[152].

ويقول : أن النتيجة الأساسية التي نستنتجها من تفصيل الكتاب أن هناك سوراً في الكتاب كلها قرآن وسوراً في الكتاب فيها قرآن وأم الكتاب معاً وسوراً فيها أم الكتاب فقط فإذا كان هناك سورة كلها من أم الكتاب أي أن كل آياتها محكمات فتصبح السورة محكمة. وفعلاً هناك سورة واحدة فقط في الكتاب محكمة ليس فيها قرآن وقد بينها الله لهذا في سورة محمد في قوله {**وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ**} (محمد20) في هذه السورة قال سورة محكمة قال عنها محكمة للتعريف أي ليميزها عن بقية السور ولو كانت كل السور في الكتاب محكمة لما قال سورة محكمة.

وقال : ثم لاحظ كيف جاء الإنزال والتنزيل للفظة سورة فعندما ذكر التنزيل لم يعط أية معلومات في قول (نزلت سورة) وعندما ذكر الإنزال للسورة أتبعها معلومات للإدراك في قوله {**فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ**}. فإذا تصفحنا الكتاب نرى أن هذه السورة المحكمة هي سورة التوبة التي تبدأ بالآية {**بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**} ثم نرى أن هذه هي السورة الوحيدة في الكتاب التي لا تبدأ (ببسم الله الرحمن الرحيم) والسبب في هذا هو عدم وجود أي آية من آيات القرآن "فيها " وبالتالي لا يمكن أن يكون اسم الرحمن في البسملة لقوله {**الرَّحْمَنُ(1) عَلَّمَ الْقُرْءَانَ(2)**} (الرحمن 1، 2) لذا حذفت البسملة كلها لأن

---

[152]. المصدر نفسه 116

القرآن كله رحماني حيث أن آية {عَلَّمَ الْقُرْءَانَ} لا نعني أنه علمه للآخرين بمعنى العملية التعليمية ولكنها تعني أنه اسمه الرحمن وعلامة للقرآن لكي يميز. وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم واعين لهذه الحالة تماماً. حيث وضعوها سورة لوحدها و لم يعتبروها تتمة لسورة الأنفال فإذا أردنا أن نقارن بين سورتين في الكتاب إحداهما محكمة تماماً والأخرى متشابهة تماماً (قرآن فقط) فما علينا إلا أن ننظر إلى سورة التوبة كلها محكمة وسورة الصافات كلها متشابهة فإن ما نراه بشكل واضح هو اختلاف المواضيع واختلاف الصياغة فسورة الصافات هي من أعقد السور في الكتاب. ولو سأل سائل هل عدد آيات المتشابه (القرآن) أكثر أم عدد آيات المحكم " أم الكتاب " لقلت إن عدد آيات المتشابه أكثر بكثير من عدد آيات المحكم "أم الكتاب " لأن هناك أكثر من سورة واحدة في الكتاب كلها قرآن.

ولعلك تسير معي أيها القارئ الكريم لنطلع على تلخيص – مؤلف القراءة – للمصطلحات التي أوردها في كتابه ( القراءة المعاصرة ) فها هو يقول بالحرف الواحد:

الآن بعد أن عرفنا الكتاب والقرآن والسبع المثاني والذكر والفرقان والصراط المستقيم نعطي التعاريف الكاملة لكل منها.

1- الكتاب هو مجموعة المواضيع التي جاءت إلى محمد صلى الله عليه وسلم وحياً وهو مجموعة الآيات الموجودة بين دفتي المصحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس وفيه النبوة والرسالة وهو الرسالة فقط بالنسبة لموسى وعيسى الكتاب يساوي الرسالة + النبوة.

2- أم الكتاب هي مجموعة الآيات التي تشكل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وفيها العبادات والحدود والتعليمات "الفرقان " الصراط المستقيم. والحكمة وهي الكتاب

المحكـــم {مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ} وهي التي أوحيت من الله مباشرة وليس لها وجود مسبق قبل الإنزال والتنـــزيل ولا يوجد فيها جعل.

النبوة : وفيها القرآن والسبع المثاني وتفصيل الكتاب والنبوة تنقسم حسب الآيات التالية:

أ) القرآن – الحديث – وهي مجموعة القوانين المخزنة في اللوح المحفوظ – والإمام المبين – وهـــي القوانـــين العامـــة الناظمة للوجود المتحكمة فيه من بداية الخلق إلى نهاية الثواب والعقـــاب في الجـــنة والنار "اللوح المحفوظ " والقوانين الجزئية لتَصَرُّف الطبيعة وأحداث الإنســـان بعد وقوعها "إمام مبين " وهي التي لها وجود مسبق قبل إنزالها وتنـــزيلها وهي التي جعلت عربية والتشابه فيها حركة المحتوى مع ثبات النص ويفهم نسبياً حيث الأرضية المعرفية للعصر ( 50 )[153] .

ب) الســـبع المثاني " أحسن الحديث " وهي سبع آيات فواتح للسور " متشابهة " مثان " مـــثل "ألم " وأربعـــة عشر حرفاً "صوتياً " وهي متشابهة وتفهم فهماً نسبياً حسب تطور المعارف للعصر وهي " أحسن الحديث ".

ت) آيات محكمات ولا محكمات وهي الآيات التي تشرح محتويات الكتاب من قرآن وأم الكـــتاب والفـــرقان ومـــنه : الكتاب + آيات محكمات + آيات متشابهات + آيات لا محكمات ولا متشابهات

= أم الكتاب + القرآن = السبع المثاني = تفصيل الكتاب

= أم الكتاب + الحديث + أحسن الحديث + تفصيل الكتاب

الذكـــر : هـــو الصيغة اللغوية الإنسانية للكتاب كله والذي جاء بلسان عربي مبين وهو الصيغة التعبدية بغض النظر عن فهم المضمون وهو الذي تكفل الله بحفظه وهو محدث كله

---

[153] القراءة المعصرة 213 .

**الفرقان** : وهو الوصايا العشر التي جاءت إلى موسى وعيسى ومحمد وهي الآيات 151، 152، 153، من سورة الأنعام وهو جزء مهم من أم الكتاب وهو الأخلاق المشتركة بين الديانات السماوية الثلاث. وجاء إلى موسى منسوخاً على الألواح مفروقاً عن الكتاب.

لنأخذ الآن الآيات الخمس الأولى من سورة الزخرف.

1- الآية الأولى {حم} (1) من السبع المثاني.

2- الآية الثانية {وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ} من القصص.

3- الآية الثالثة {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} من القرآن.

وقال هنا بين معترضتين إلى أن هذه الهاء في جعلناه ليست عائدة على الكتاب المبين في الآية السابقة بل هي عين القرآن العربي {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} لاحظ أنها جاءت بعد الفاصلة (51)[154] .

4- الآية الرابعة {وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ} القرآن في أم الكتاب عند الله حكيم.

5- الآية الخامسة {أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ} الذكر هو الصيغة اللغوية العربية التعبدية للكتاب لاحظ هذه الآيات كيف شملت مركبات الكتاب.

لنأخذ الآية الرابعة التي تقول {وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ} حيث وصف القرآن بأنه علي حكيم وأن (علي حكيم) جاءت في مكان واحداً آخر في الكتاب كله وذلك في قوله تعالى {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ} (الشورى 51 ).

---

[154]. المصدر نفسه 214

يـــتحدث هنا عن كيفية الوحي لكلام الله بقوله {يُكَلِّمَهُ اللَّهُ} ولا تشمل هذه الآية الرسالة لقوله {قَالَ يَامُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُـــذْ مَا ءَاتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} (الأعراف 144) وهنا {عليٌ حكيم} تعود على الموحى به وهو القرآن.

وقال : وإذا سأل سائل وكيف تم وحي الرسالة وبقية أجزاء الكتاب ؟ هل بنفس الطريقة أو بطريقة أخرى ؟ فتجيبه الآية التي تليها {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِـــنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَـــنْ نَشَـــاءُ مِـــنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (الشورى 52) أي بنفس الطريقة التي ذكرت في الآية 50) أوحي إلى محمد صلى الله عليه وسلم الرســـالة و النبوة. الرسالة في {رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا} و الكتاب الرسالة والنبوة معاً (52 )[155] . ويسوق الأمثلة على آيات الذكر :

1- آيات أم الكتاب الرسالة (آية المداينة البقرة 282) آيات المحارم (النساء 11، 12، 176).

2- آيـــات القـــرآن : (آية البرهان على البعث بقانون التطور الحج 5) آية قانون جدل هلاك شكل الشيء باستمرار في الطبيعة الأنعام 95) شرح التطور) الأنعـــام 99) آيـــة الأزواج) الذاريات 49) آية بداية الخلق) الفجر 4) آيات الصـــور – الساعة – البعث – وصف الجنة والنار والحساب – أسماء الله الحسنى – آيـــات جدل الطبيعة – آيات الله والتي تبدأ بقوله (ومن آياته) سورة يوسف وكل القصص القرآني.

3- آيات السبع المثاني : ألم ، المص ، المر ، الر ، (53 )[156] .

---

[155] المصدر نفسه 215 .

[156] لم يذكر الر – المر – مع آيات السبع المثاني في كلامه عنها بل أخذ منها 3 أحرف .

4- آيـــات تفصيل الكتاب : الزخرف (2-5) آل عمران 7) يوسف 2،3) يونس 37) الرعد 39) الإسراء 85).

و هكـــذا نرى أن المؤلف "1" يقرر أن الكتاب هو ما بين دفتي المصحف من أول سورة الفاتحـــة إلى أخـــر ســـورة الناس ولكنه لا يرى أن القرآن كذلك ما بين دفتي المصحف والمشـــهور عـــند الجمهور أن كلمة كتاب الله تعني القرآن وكلمة كتاب الله تعني القرآن وكـــلمة القرآن تعني كتاب الله وكذلك في كتب اللغة التي كثيراً ما يحتج بها المؤلف فقد جاء في لسان العرب (قال أبو اسحق النحوي (يسمى كلام الله الذي أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم كتاباً وفرقاناً وقراناً). مادة قرأ.

2 - ويقول : ومنه :

الكتاب = آيات محكمات + آيات متشابهات + آيات لا محكمات ولا متشابهات:

وقـــد سبق أن قلنا إن الكتاب محكم ومتشابه وإن استدلاله بِقولِ الله وأخر متشابهات يعني أن هـــناك نوعاً ثالثاً وهو لا محكم ولا متشابه لأن الله قال وأخر و لم يقل والآخر وقلنا إن هذا الاستدلال باطل (54)[157] .

3- ويقول الكتاب = أم الكتاب + القرآن الحديث + السبع المثاني + أحسن الحديث + تفصيل الكتاب.

وهـــو هـــنا لم يذكر تصديق الذي بين يديه وقد ذكره في السابق. ثالثاً للقرآن ولتفصيل الكتاب عندما قال : (فهذا يعني أن الآيات غير المحكمات فيها متشابهات وفيها آيات من نـــوع ثالـــث لا محكم ولا متشابه وقد أعطى لهذه الآيات مصطلحاً خاصاً بها في سورة يونـــس وهو تفصيل الكتاب وذلك في قوله : {**وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكـــن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين**} قال : فهذه الآية تدلنا على وجود ثلاثة مواضيع هي:

---

[157] أنظر ص 33 من كتابنا هذا .

أ- القرآن

ب- الذي بين يديه

ت- تفصيل الكتاب ( 55 )[158]

و يتحدث عن الذكر حاصراً إياه – بالصيغة اللغوية الإنسانية (الذكر هو الصيغة الإنسانية) للكتاب كله وهو الذي جاء بلسان عربي مبين وهو الصيغة التعبدية بغض النظر عن فهم المضمون وهو الذي تكفل الله بحفظه وهو محدث كله)

ألا تعجب أيها القارئ من تفريغ صاحب القراءة المعاصرة – الذكر الحكيم – من معناه وجحود فائدته وإن شئت فارجع إلى بحثنا في هذا الكتاب الخاص بالذكر.

## الفرقان :

والمؤلف يجعل الفرقان غير القرآن ويحصره في الوصايا العشر فيقول : الفرقان وهو الوصايا العشر التي جاءت إلى موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وهي الآيات (151، 152،153) من سورة الأنعام وهو جزء من أم الكتاب وهو الأخلاق المشتركة بين الديانات السماوية الثلاث وجاء إلى موسى منسوخاً على الألواح مفروقاً عن الكتاب وقد ذكرنا فيما مر قريباً أن الفرقان اسم من أسماء كتاب الله. وقال أبو هلال العسكري (الفرق بين الفرقان والقرآن، القرآن يفيد جمع السور والفرقان يفرق بين الحق والباطل ( 56)[159] .

---

158 القراءة المعاصرة ( 55- 65 ) .

159 الفروق اللغوية 44 )

## أم الكتاب :

والمؤلف يطلق مصطلح أم الكتاب على الآيات المحكمة ويصفها بالرسالة وفيها العبادات والحدود والتعليمات وهذا رأي انفرد به وقد جعل العرب لا يعرفون مصطلح أم الكتاب وإنما يعرفون أم الرأس وهذا مردود عليه من وجوه :

1- إن الأستاذ الصيداوي يقول: (أن الآيات المحكمات هي التي عرفت بأم الكتاب وليس العكس.

2- إن المفسرين و الفقهاء يرون أن أم الكتاب إنما تعني فاتحة الكتاب.

3- ألا يمكن أن تكون أم الكتاب شيئاً ما عند الله والله أعلم قال تعالى {**يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**} الرعد وقال تعالى عن القرآن {**وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ**} (الزخرف 4).

وقبل أن ننهي موضوع الكتاب – القرآن- نكرر أنه إذا أطلق اسم أحدهما فإنه يشمل الآخر وكلاهما أنزل من عند الله إلى السماء الدنيا ثم نزل منها على النبي صلى الله عليه وسلم ما عدا الصلاة التي ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم تلقاها مباشرة من الله وقد أوضحنا الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة.

و قد نقلنا لك أيها القارئ الكريم أن المؤلف يقسم المصحف إلى كتاب وقرآن، وذكر، وفرقان وأننا رددنا عليه وأوضحنا الأدلة من القرآن فقط. كذلك فإن المؤلف يأتي بتقسيم ثاني فهناك أم الكتاب وهناك تفصيل الكتاب وهناك تصديق الذي بين يديه وهناك القرآن وهناك السبع المثاني وهناك المتشابه واللامحكم ولا متشابه وهناك المحكم وذكرنا أن المؤلف يأخذ الآيات والتي يرى أنها تؤيد رأيه ويترك ما يخالف رأيه وقد يستدل بصدر الآية ويترك آخرها أو يهمل آية بعدها ترتبط بها أو توضحها وهو يزعم أنه قام بمسح الكتاب كله

كما يقول مثال ذلك لم يورد قوله تعالى {حم(1)وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ(2) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(3) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ(4)} الآيات1، 3،2، 4 الزخـــرف) لأنها تناقض قوله أن القرآن ليس في أم الكتاب وتناقض قوله إن الكتاب شيء والقـــرآن شيء آخر وكذلك لأن ذلك يخالف رأيه فالآية الثالثة تؤكد أنَّ القرآن هو الكتاب وإنـــه يقـــول الكتاب شيء والقرآن شيء آخر (57)[160] . وينسى فيقول : قال الله تعالى {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا} (الكهف 1) قال هنا ذكـــر الإنـــزال للكتاب كله لكي يشمل القرآن وأم الكتاب وتفصيل الكتاب – والسبع المثاني (58)[161] وأين تصديق الذي بين يديه وهذا جزء من تضارب أقواله.

ونـــنقل لك أيها القارئ شيئاً من رأي الأستاذ الصيداوي وقال : في ص (50) من كتابه بيضة الديك : قال : قالت القراءة المعاصرة (وبما أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو رسول الله وهـــو نـــبي فهـــذا الكتاب يحتوي على رسالته ونبوته ويعلق على ذلك فيقول (أي الصـــيداوي) صـــحيح أن محمداً رسول الله ولا شك وصحيح أن محمداً نبي الله ولا شك وصحيح أن الكتاب يحتوي على رسالته ونبوته ... ولكن انتبه فكلمة الرسالة سيكون لها شأن عظيم.

الدبيـــب- الدبيب- الدبيب – التسريب- ثالوث القراءة المعاصرة – ارتجال – اعتباط – تحكـــم – فالرسالة هي مجموعة التعليمات التي يجب على الإنسان التقيد بـــها – عبادات – معاملات – أخلاق – الحـــلال والحرام وهي منـــاط "التكليف" أرأيت كيف يكون التشـــريب والدبيب وهل كثيراً أن يصاح بوجه من يرتجل هذه الإرتجالات من أين أتيت بهـــذه الأحكام ومن هذا الذي قال لك. الرسالة عبادات ومعاملات وأخلاق ـــ الخ. الله يقـــول : {يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ}

---

160 ص 57 القراءة المعاصرة .

161 القراءة المعاصرة ص161 .

(المـــائدة 67) والآية واضحة في أن الرسالة هي ما أنزل الله تعالى إلى نَبِيِّه لا فرق في ذلك بـــين توحيد أو تشريع أو علم بشيء لم يكن هو ولا قومه يعلمونه فمن أين أتت القراءة المعاصرة بأحكامها تلك وبقوله تعالى {وَإِذَا جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} (الأنعام 124) أي الله أعلم من جميع الخلق بمن يصلح لرسالته وبمن تتعلق مصالح الخلق ببعثه. هذا معنى الآية وهذا معنى الرسالة لا أن المعـــنى الله أعـــلم حيث يجعل عباداته – معاملاته – أخلاقه – ويمضي الصيداوي فـــيقول : والمؤلف يستأنف الكلام فيقول و(عليه) فالكتاب يحوي كتابين – قلت – أي الصـــيداوي – (هاهو ذا المؤلف قد عاد مرة أخرى إلى متكئه المعهود فاستنتج أن الكتاب كتابان مع أنه لم يقدم من المقدمات ما يبني عليه حكمه هذا وعليه فالكتاب سيظل كتاباً واحداً لا كتابين حتى يبرهن على ثنائيته هذه برهاناً يؤيده المنطق ويرضى به العقل وتنصره اللغة (9)[162] .

## ميله إلى القول بخلق القرآن :

قال المؤلف : نستنتج الآن أن الرأي الذي يقول أن كلام الله هو أزلي غير مقبول والوجود هـــو عين كلام الله وهو مخلوق وغير قديم ولو كان كلامه أزلياً لأصبح الكون والله واحد ولأصـــبح المسيح هو الله لأنه كلمة منه وقد شرحت في الباب الأول أن القرآن هو كلام الله وآيات الله والقصص وإن أم الكتاب هي كتاب الله فانظره) (60)[163] .

و لقـــد رجعت إلى الباب الأول من كتابه فلم أجد أنه صرح بأن القرآن كلام الله ولكنني وجدتـــه يقول : (لو كان النص القرآني المتلو والمكتوب الموجود بين أيدينا هو عين كلام الله فهـــذا يعـــني أن الله له جنس وجنسيته عربي وإن كلام الله ككلام الإنسان يقوم على علاقة دال ومدلول ولكن بما أن الله أحادي في الكيف {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} (الإخلاص 1)

---

[162] بيضة الديك 51 .

[163] القراءة المعاصرة 257 .

وواحـــد في الكم {قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ} (الأنعام 19) وأن الله ليس عربياً ولا إنكليزياً لـــزم أن يكون كلامه هو – المدلولات – نفسها فكلمة " الشمس " بالنسبة لله هي عين الحقـــيقة وكـــلمة – القمر – هي عين القمر وكلمة – الأنف – هي عين الأنف أي أن الوجـــود المادي – الموضوعي – ونواميسه العامة هي عين كلمات الله وكلمات الله هي عين الوجود ونواميسه العامة (61)[164] .

ولمـــا لم يستطع المؤلف أن يدلل على هرطقاته السابقة ذهب يسخر كلمة "حق " ليستدل بها على ما ليس من معناها أحياناً تمويهاً منه (قال ولهذا إن الله هو الحق و إن كلماته حق {قَوْلُهُ الْحَقُّ} " الأنعام 73) {وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ} (يونس 82) {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُـــوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} (الحج 62) (فـــالوجود الموضـــوعي خـــارج الوعي هو الوجود الإلهي) {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ} (الحـــج 62) والوجود الكوني الذي هو كلمات الله وهو حق أيضاً {مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلا بِالْحَقِّ} (الأحقاف 3) فالله حق والوجود كلماته وهو حق أيضاً لذا قال {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} (يس 82) {وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} (البقرة 117 – آل عمران 47 – مريم 35) (ونحن نعلم أن سمـــة "المتكلم " ليست من أسماء الله الحسنى وإنما كلماته اشتقت من اسمه الحق ومن أجل تعلـــيم الإنســـان صاغ الله الحقيقة المطلقة وهي الوجود ونواميسه العامة وأسماءه الحسنى صياغة لسانية إنسانية) (62)[165] .

وكمـــا قلـــنا سابقاً إن انتماء المؤلف إلى مدرسة معتزلية أشعرية لم يبعده عن القول بخلق القرآن على الرغم من أنه يرفض القديم كله وهاهو يقول :

---

[164] المصدر نفسه 72 .

[165] المصدر نفسه 72 .

(لنـــناقش الآن هل القرآن مخلوق أم أزلي ؟! لقد سبق للفكر المعتزلي أن طرح هذا السؤال والموقـــف مـــن هذا الطرح بأنه مخلوق أم أزلي له انعكاسات إيديولوجية خطرة على بنية الدولة والمجتمع والحياة الإنسانية :

أولاً : لقـــد قال المعتزلة بخلق القرآن. وأعتقد أنهم يقصدون القرآن بمفهومه الذي طرحته في كتابي هذا وكانوا لا يقصدون الكتاب كله. أي أنهم يقصدون المتشابه ولا يقصـــدون محكـــم التنـــزيل حيث أن القرآن جعل عربياً وأنزل عربياً أما أم الكتاب فقد نزلت عربية فقط دون جعل.

ثانـــياً : إن كـــان القصد بالأزلية هو النص القرآني الذي بين أيدينا والذي يتلى تـــلاوة وهـــو جزء من الذكر كقوله تعالى {**وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا(1)وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا(2)**} فهو نص عربي بهذا يعني أن الله عربي ولغته هي العربية وهذا مرفوض وواضح أنه غير صحيح لقوله {**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**} والجعل هـــو تغـــير في صيرورة أي أنه كان غير عربي في صيغة ما. ثم أصبح عربياً وقوله {**إِنَّـــا أَنْزَلْـــنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا**} والإنزال هو للإدراك الإنساني وقد تلازم الإنزال والجعل في القرآن.

ثالـــثاً : (إذا كـــان المقصود بالأزلية هو عين الشمس والقمر والتي هي فعلاً من كلمات الله فالشمس والقمر أزليتان).

رابعاً :(إذا كان المقصود بكلام الله الأزلي هو النفسي "أي أفكار الله " فهذا خطأ لأنـــه يعني أن لله سبحانه وتعالى كلاماً نفسياً ونقيس الله على الإنسان علماً بأنه بالنســـبة لله تعـــالى القـــول والوجود متطابقان تماماً ومتلازمان {**قَوْلُهُ الْحَقُّ**} {**إِنَّمَـــا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**} أي أن التصور والتصديق مـــتلازمان متطابقان عند الله وهذا هو عين كمال المعرفة فعند الله لا يوجد شيء اسمـــه طموح أي أن نقول بأن الله سبحانه وتعالى يطمح إلى أن يفعل كذا وكذا

وللتشابه بين الله والإنسان هو في أن الله عليم والإنسان متعلم والله حر والإنسان مـــتحرر ولقـــد سمى الله الوجود كلماته وهذه التسمية دقيقة جداً حيث أننا إذا أخذنا الكلام الإنساني "الأصوات " الكلام رأيناه صادراً عنه وليس جزءاً منه.

خامساً : بانتصار الفقهاء على المعتزلة تم قصم الفكر الإسلامي العقلاني. وأعتقد أنـــه في هـــذه النقطة ضاع الفرق بين الكتاب والقرآن وضاع العقل معه وأصبح الـــنقل أساس الإسلام لا العقل وكانت بداية التدهور الذي وصلنا إليه حتى يومنا هـــذا حيث أن أزلية الكتاب والذي يحوي {عَبَسَ وَتَوَلَّى(1)أَنْ جَاءَهُ الأعمَى(2)} (63)[166] . ولـــدت المفهوم الجبري المسبق عند العرب والمسلمين وكانت هذه الجـــبرية المســـبقة في الفكر الإسلامي هي النتيجة الإيديولوجية الأولى لانتصار الفقهاء على المعتزلة هذا لا يعني أن المعتزلة لم يرتكبوا أخطاء في طروحاتهم حيث كانت معظم أفكارهم نتيجة للأرضية المعرفية لعصرهم أما الفقهاء فلا نقول إنهم أخطـــأوا ولكـــن نقول أنهم قضوا على دور الفكر الإسلامي الحر العقلاني وهذه المأســـاة لا نزال نعيشها حتى يومنا هذا حيث منذ ذلك الوقت أصبحت الجبرية هي العقيدة الرسمية لعامة الناس) (64)[167] .

وهكـــذا نجد أن المؤلف يؤيد المعتزلة في قولهم بخلق القرآن إلا أن طريقة طرحهم لم تعجبه ولم تكـــن كافية لدحض خصومهم الفقهاء (لأن أرضية المعرفة لدى المعتزلة آنذاك كانت غـــير كافية لإثبات صحة أقوالهم) أما الفقهاء فإنه لم يستطع أن يطعن بهم وبأقوالهم لكنه يـــرى (أنهـــم قد أخطأوا فحجروا الفكر الإسلامي وأوقفوه في مكان معين حيث انتهت أفكـــارهم في عصـــرهم ولم تتجاوز ذلك حتى الآن وأصبح النقل هو الطريقة المتبعة لدى المسلمين وأصبحت الجبرية هي العقيدة لعامة المسلمين).

---

[166] المصدر نفسه 258 والمؤلف كما سبق يرى أن عبس و تولى و ليست من القرآن وأنه ينفي أسباب نزول القرآن انظر ص من كتابنا .

[167] المصدر نفسه 259 .

لقـــد قلنا أكثر من مرة إن المؤلف متأثر بمدرسة معتزلية أشعرية وأنه يرى المذاهب خمسة ويجعل الفقهاء خمسة وليس هذا اتهاماً بل من خلال ما مر يدرك هذا صريحاً في أقواله ومع هـــذا فإن المؤلف كما قلنا وكما تقدم من أقواله ينتصر للعقل ويعرض كل شيء عليه فإن أقـــره العقـــل فذاك وإلا فلا ومعلوم أنه لا ضابط للعقل وأن العقول تختلف اختلافاً كثيراً حسب زمانها ومكانها ومعرفتها الأرضية والبيئية فهي لا تعتبر حكماً في الأمور الشرعية.

الباب الخامس

# آراؤه في عـــورة المرأة وزينتـــها

**تمهيد** : نورد الآيات التالية :

الآية الأولى – قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم :

{وَقُـــلْ لِلْمُؤْمِـــنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَـــرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَائِهِنَّ أَوْ ءَابَـــاءِ بُعُولَـــتِهِنَّ أَوْ أَبْـــنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِـــنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْـــلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَـــتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (النور31) وقال تعالى {يَاأَيُّهَـــا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَـــى أَنْ يُعْـــرَفْنَ فَـــلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} (الأحزاب 59) وقال تعالى {لاجُـــنَاحَ عَلَـــيْهِنَّ فِي ءَابَائِهِنَّ وَلا أَبْنَائِهِنَّ وَلا إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِـــنَّ وَلا نِسَائِهِنَّ وَلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَـــهِيدًا} (الأحزاب 55). وقال تعالى {وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(60)} (النور 60) وقال تعالى {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلا أَنْ يُـــؤْذَنَ لَكُـــمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِـــرُوا وَلا مُسْتَأْنِســـينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ

لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا} (الأحزاب 53).

## زينة المرآة :

يقول مؤلف القراءة المعاصرة :

(لنضع الآن تعريفاً للزينة : فزينة المرأة في الآية رقم 31 النور) تنقسم إلى قسمين:

1- القسم الأول : الزينة الظاهرة.

2- القسم الثاني : الزينة المخفية.

(ولكن ما هي زينة المرأة المقصودة هنا بحيث تنسجم مع الآية وتنسجم مع بقية الآيات الواردة في الكتاب وخاصة آيات المحارم الواردة في سورة النساء رقم 22، ورقم 23) (1)[168] . فالزينة لها ثلاثة أنواع :

أ- (زينة الأشياء : إن زينة الأشياء هي إضافة أشياء لشيء أو لمكان ما لزينة وقد وردت الزينة الشيئية في قوله تعالى {وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ} (النحل 8) وفي قوله تعالى {يَابَنِي ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} (الأعراف 31).

ب ـ زينة المواقع : أو الزينة المكانية وهذا ما جاء في الآية (31 النور ) أي حتى تنسجم هذه الآية مع آيات المحارم في سورة النساء يجب أن تكون مكانية لا شيئية.

ت - الزينة المكانية و الشيئية : معاً جاءت في قوله تعالى {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} ( الأعراف 32) و قوله تعالى: {حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا} (الآية 24 يونس) أي أن

---

[168] القراءة المعصرة 605 .

التطور والتقدم العلمي سيملآن الأرض بالزينة المكانية والشيئية. فإذا كانت الزينة مكانية فجسد المرأة كله زينة. والزينة هنا حتماً ليست المكياج و الحلي وما شابه ذلك، وإنما هي جسد المرأة كله هذا يتقسم إلى قسمين :

1- ( قسم ظاهر بالخلق : لذا قال تعالى {**وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا**) فهذا يعني أن هناك بالضرورة زينة مخفية في جسد المرأة فالزينة الظاهرة هي ما ظهر من جسد المرأة بالخلق أي ما أظهره الله سبحانه وتعالى في خلقها. كالرأس والبطن والظهر والرجلين واليدين. ونحن نعلم أن الله خلق الرجل والمرأة عراة دون ملابس)

2- (قسم غير ظاهر بالخلق : أي أخفاه الله في بنية المرأة وتصميمها هذا القسم الخفي هو (الجيوب) ( 2)[169] .

ونحن نقول إلى هنا قد يبدو أن مؤلف القراءة المعاصرة يحاول أن يكون معقولاً فيما قسم إلا أن إيراده أن الرجل والمرأة خلقا عراة لا داعي له فكل المخلوقات تولد عارية. الصبي ليست له عورة. وأما قوله (ما هي زينة المرأة المقصودة هنا بحيث تنسجم مع الآية نفسها وتنسجم مع بقية الآيات الواردة في الكتاب وخاصة آيات المحارم الواردة في سورة النساء رقم 22، 23) فإنه يقسم المحارم إلى من يجوز له النظر إلى جميع جسم المرأة ومن لا يجوز له ذلك) وسنترك هذا حتى الوصول إلى أقواله في ذلك بيد أننا ننبه الآن إلى أنه قد خرج عمداً عن الصواب في عورة المرأة رغم أنه يعرف ذلك تماماً فهو يقول عن المرأة العربية (فكانت تلبس ثوباً طويلاً وتضع خماراً على رأسها ليقيها الحر كلباس نساء البادية الآن فعندما نزلت الآية (31 النور) نظرت المرأة العربية المسلمة إلى لباسها الذي ترتديه فعلاً و لم تغير منه شيئاً، وإنما وجدت إمكانية إظهار جيوب الثديين من فتحة

---

[169] المصدر نفسه 606 .

الصدر في ثوبها الخارجي فضربت على صدرها بخمار رأسها لأن بقية الجيوب أصلاً كانت مغطاة في زيها القومي) (3)[170] .

وهذا الحق الواضح الذي ساقه والمطابق لنص الآية (31 النور) لا يعجبه ولا يتقيد به فهو يقول : (لذا فهم خطأ بأن الجيوب في الصدر فقط لذا فإن ما نسميه اليوم باللباس الشرعي هو لباس المرأة العربية المسلمة في القرن السابع الميلادي. إن لباس المرأة المسلمة فقط الذي جاء في سورة النور وجـــاء لكل المؤمنات من أهل الأرض ولكل زمان فعلى المرأة العربية المؤمـــنة أن تصحح هذا المفهوم الخاطئ والذي نتج عن قياس الشاهد لباس مسلمات أهل الأرض جمـــيعاً في كـــل زمان ومكان على الغائب. وهو اللباس القومي للمرأة العربية في القرن السابع – ولا يصح هذا القياس إلا إذا افترضنا أن المرأة العربية قبل نزول الآيتين آيتي النور والأحزاب كانت عارية تماماً ولبست ما لبست من جراء هاتين الآيتين وهذا موضوعياً غير صحيح (4)[171] . بل نقول للمؤلف إن افتراضك هذا غير صحيح. ونعود إلى مؤلف القراءة المعاصرة ليحدد لنا عورة المرأة التي يجب سترها فيقول :

## تحديده عورة المرآة :

(والجيب جاء من جيب – كقولنا جبت القميص أي جيبته وجيبته أي جعلت لـــه جيباً والجيـــب كما نعلم هو فتحة لها طبقتان لا طبقة واحدة لأن الأساس واحد وهو الخرق في الشـــيء ومـــراجعة الكلام (السؤال والجواب) فالجيوب في المرأة لها طبقتان أو طبقتان مع خرق. وهي ما بين الثديين، وتحت الثديين، وتحت الإبطين والفرج والإليتين) (5).

(فهذه الجيوب يجب على المرأة المؤمنة أن تغطيها لذا قال تعالى {**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُـــيُوبِهِنَّ**} والخمار جاءت من (خمر) وهو الغطاء. والخمر سميت خمراً لأنها تغطي العقل.

---

[170] المصدر نفسه 617 .

[171] المصدر نفسه 617 .

ولـــيس الخمـــار هـــو خمار الرأس فقط وإنما هو أي غطاء للرأس وغير الرأس لذا أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنات بتغطية الجيوب التي هي الزينة المخفية خلقاً وسمح لهن بإبداء هذه الجـــيوب بقوـــله {وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ} (الآية 31 النور) هذا الإبداء لا يكون إلا لشيء مخفي أصلاً كقوله تعالى {وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ} (84 البقرة) والإبداء لا يكون إلا لعاقل كقوله تعالى {فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا} (121 طه) قد يقول البعض أليس الفم. والأنف. والعينان. والأذنان من الجيوب.

(نقـــول نعم ولكنها جيوب ظاهرة لأنها في الوجه ورأس المرأة والرجل هو أظهر جزء منه وهو هَوِيَّةُ الإنسان) (6)[172] .

وهكـــذا نجد أن مؤلف القراءة المعاصرة يبتدع تأويلاً للقرآن ليس له وجه من نقل بل ولا مـــن عقل فيجعل عورة المرأة تنحصر في (ما بين الثديين. وما تحتهما. وما تحت الإبطين. والفـــرج. والإليـــتين) وأنهـــا جيوب مخفية يجب على المرأة المؤمنة أن تغطيها وما عداها فجـــيوب ظاهـــرة كالأنف والفم والأذنين والعينين وهي ما عداها كالرأس الشعر والرقبة والـــنحر والبطن والكتفين والظهر والفخذين والرجلين بل وأعلى الثديين فزينة ظاهرة لا يلزم تغطيتها.

فوا عجباً هل المشركون وأتباعهم ممن يدعون الإسلام من العرب و غيرهم أعلم من علماء المسلمين بل أعلم من النبي صلى الله عليه وسلم لأن نساء أولئك لا يغطين إلا الثديين وما حولهما والإبطين والفرج والإليتين.

وهو يقول (هل يمكن أن تكون الزينة أمراً غير الجيوب التي شرحتها وهكذا اخطأ الفقهاء حين اعتبروا أن الزينة المذكورة في الآية هي زينة الأشياء وإنما زينة المواقع.

---

[172] المصدر نفسه 607 .

وسـبب هذا الخطأ هو قياس الشاهد على الغائب الذي سأشرحه فيما بعد والخطأ في فهم نظرية الحدود) ( 7)[173] .

و يقول المؤلف :

ولكـي لا يزاود الناس في اللباس وضع النبي صلى الله عليه وسلم الحد الأعلى للباس المرأة بقولـه ((كل المرأة عورة ما عدا وجهها وكفيها)) أي بهذا الحديث سمح النبي صلى الله علـيه وسلم للمرأة أن نغطي جسدها كله كحد أعلى و لكنه لم يسمح لها بأي حال من الأحوال بأن تغطي وجهها وكفيها حيث أن وجه الإنسان هو هويته. فإذا خرجت المرأة عاريـة فقـد خرجت عن حدود الله وإذا خرجت دون أن يظهر منها شيء حتى وجهها وكفـيها فقد خرجت عن حدود رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعة الله ورسوله في الحدود واجبة) (8)[174] .

وكما ترى أيها القارئ الكريم أن المؤلف أورد هذا الحديث و لم يقل إن صح كعادته عند ذكـر أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ليتخذ منه حجة على أن المرأة لا يجوز لها أن تغطي الوجه والكفين أبداً لأنها لو فعلت ذلك لعصت الرسول صلى الله عليه وسلم ويقول أيضـاً سمح النبي صلى الله عليه وسلم للمرأة أن تغطي جسدها و لم يقل أمر النبي صلى الله علـيه وسلم بل قال سمح وهو هنا يعترف (بأن المرأة لو خرجت عارية أنها خرجت عن حدود الله) ولكنه لم يأخذ بهذا الحكم و لم يحترمه فيما سيأتي من أقواله حين قال (إن المرأة لو ظهرت أمام سبعة الرجال المحارم فلا ينكر عليها بأن ذلك حرام بل يقال عيب (9)[175]

---

[173] المصدر نفسه 608 و قوله الشاهد يعني لباس نساء هذا العصر و الغائب يعني لنا كساء القرن السابع .

[174] القراءة المعاصرة 615 .

[175] المصدر نفسه انظر ص 607 .

ونقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأت بحدود من عنده و لم يتجاوز حدود الله بالتطبيق وكيف يفعل هذا وهو الذي يقول إن الله فرض فروضاً فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعتدوها.

فلعلني أيها القارئ الكريم أسوق لك بعضاً من رَدِّ الأستاذ يوسف الصيداوي على المؤلف في كتابه ( بيضة الديك ) حسب المستطاع وفي حدود ما لا يمل.

قال الصيداوي :

لقد تأملت ما قاله المؤلف في الغض من البصر وإبداء الزينة – الخ وشرعت أحل ما أبرمه خيطاً ثم لم ألبث أن كففت عن ذلك أنني رأيت طريقة المؤلف هي نفسها (نول سداه قوس قزح، ولحمته حُمرة الشفق، و "شال" يَعمى عنه الدعيّ، ويراه صحيح النسب، فهنيئاً للأمير ملبسه وبارك الله له فيه. ومع ذلك لم تطوع لي نفسي أن أترك القارئ نُهْزَةً. فوقفت من الآية عند قوله تعالى {**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ**} فاجتزأت به و لم أختر ذلك اختياراً إنما يكون الاختيار إذا كان التباين. وما تنسجه القراءة المعاصرة سداه ولحمته هما هما غير أني رأيت المؤلف جعل هذه الآية غايته. وقبل أن أخوض رأيت من المفيد أن أشرح كلماته الثلاث :

أ- وليضربن " وليسدلن " إذاً الضرب في الأصل هو إيقاع شيء على شيء (9)[176] .

ب- بخمرهن – أصل الخمر تغطية الشيء والخمر جمع مفرده "خمار" مثل "كتب" وكتاب، والخمار ما تغطي به المرأة رأسها

---

[176]. بيضة الديك ص 75

قال الطبرسي – الخمر المقانع – جمع خمار غطاء رأس المرأة المسدل على جيبها ومقاييس اللغة كما يقول المؤلف هو الأنسب ولذلك رأينا أن نورد ما قاله ابن فارس في مقاييس اللغة وهو يترجم مادة (خ م ر ) قال (الخاء و الميم و الراء) أصل يدل على التغطية ثم قال والخمار خمار المرأة.

ت- جيوبهن – جمع مفرده جيب وهو الموضع الذي يقور من الثوب ويدخل منه الرأس فيبدوا منه النحر والعنق ففي حديث علي كرم الله وجهه – أخذت إهاباً معطوباً فجوبت وسطه وأدخلته في عنقي.

ويخلص المرء من ذلك إلى أن معنى {**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ**} هو وليسدلن خمرهن على نحورهن قال الفراء : يقول لتخمر نحرها وصدرها بخمار. وليس هذا مقصوراً على كتب تراثنا اللغوي بل نجده كذلك في المحدث من كتب اللغة ففي محيط المحيط للبستاني – وجيب القميص ونحوه طوقه – وفي الوسيط – جيب القميص ونحوه: ما يدخل منه الرأس عند لبسه – ج جيوب وأجياب – وفي التنزيل العزيز {**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ**} وفي متن اللغة – الجيب في القميص هو والدرع ونحو ذلك : طوقه وهو ما ينفتح على النحر (10)[177] .

و يقول الصيداوي إن الشواهد على أن الجيب هو الطوق المنفتح على النحر فكثيرة في الجاهلية والإسلام في الشعر والنثر فإني لأظن ما قلته كافياً في إيضاح إن الجيب إنما هو طوق القميص على الصدر بقوله تعالى {**و ليضربن بخمرهن على جيوبهن**} معناه حصراً وليسدلن خمرهن على نحورهن ولكن لسائل أن يسأل كيف كانت الحال قبل أن يأمر القرآن بضرب خمارها على جيبها. وأقول كانت الحال عكس ذلك قال الطبرسي – إنهن

---

[177]. بيضة الديك 76

كـــن يلقين مقانعهن على ظهورهن فتبدوا صدورهن – وقال الفراء – إن نساء الجاهلية كن يسدلن خمرهن من ورائهن فينكشف ما قدامها فأمرن بالاســـتتار (11)[178] .

هـــذا الذي بيناه لك لم نرتجله ولا جلبناه من الفراغ وإنما هو حقيقة لغوية وتاريخية فانظر الآن مـــا قاله المؤلف في تفسير الآية التي نحن بصددها. وأنبهك منذ الآن على أنه يريد أن يجـــيز لـــلمرأة أن تـــبرز للرجال عارية " لا يستثني من ذلك إلا خمسة أشياء حصراً هي (مـــا بـــين الثديين وتحت الثديين وتحت الإبطين والفرج والإليتين) فهذه المواضع الخمسة حصراً (يجب على المرأة المؤمنة أن تغطيها كما قال المؤلف و أما غير هذه المواضع الخمسة مـــن جسد المرأة فإنه يرى أن إظهارها مباح. بنص كتاب الله وما كان يمنع مانع من أن يقـــول المؤلـــف هذا رأي أراه " إذاً لا عجب لشجاعته كثير من الناس سواءً خالفوه أم شـــايعوه. ولكن القراءة المعاصرة لا تحب هذه السبيل بل تحب الدبيب والتسريب وتهوى قسر اللغة ويعجبها أن تلوى أعناق ما تقف عنده من الآيات (12)[179] .

وقـــف المؤلـــف عند قوله تعالى {**وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ**} فقال فجسد المرأة كله زينة ثم قسم جسد المرأة إلى قسمين :

أ- قســـم ظاهر بالخلق وهو ما أظهره الله سبحانه في خلقهـــا كالـــرأس والبطن والرجلين واليدين هذا القســـم الظاهـــر بالخلق ليس محظوراً كما يرى المؤلـــف أن تظهره المرأة ودليل ذلك عنده أن الله ســـبحانه وتعـــالى خلق المرأة والرجل عراة دون ملابـــس وقـــد نسأل وما الذي يحظر المؤلف إذاً

---

178 المصدر نفسه 77 .

179 المصدر نفسه ص 77 .

إظهاره للنظارة من جسد المرأة فأقول : إن المؤلف يجيبك بنفسه فيقول :

إن الذي (يجب على المرأة المؤمنة أن تغطيه هو القسم الآخر من جسدها أي الجسم غير الظاهر بالخلق.

ب-قسم غير ظاهر بالخلق يسميه – الجيوب- وهو خمسة مواضع حصراً عرضنا لذكرها أنفاً (الفرج والإليتان وتحت الثديين وما بينهما والإبطان) وقد تسأل كيف أوصلتنا القراءة المعاصرة إلى هذه الأحكام وهي تدعي أنها أحكام مستمدة من القرآن مستظلة بظله فأجيبك لقد وصلت إلى ذلك بثلاث خطوات :

1- الخطوة الأولى : أنها اتكأت على قوله تعالى **{قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ}**.

2- الخطوة الثانية : أنها قالت (جسد المرأة زينة).

3- الخطوة الثالثة : أنها احتمت بأن الله سبحانه و تعالى – خلق الرجل والمرأة عراة دون ملابس – وهكذا وصلت (القراءة المعاصرة إلى فتوى مستمدة من القرآن وتحت راية القرآن هي [ أيتها المؤمنات إخلعن ثيابكن لأمر الله ]) (13)[180] .

---

[180] المصدر نفسه 89 .

ومن أقوال الصيداوي (قال المؤلف والجيب كما نعلم هو فتحة لها طبقتان لا طبقة واحدة) ونلاحـــظ أنه لم يقل صراحة الجيب هو الشق عن يمين الثوب ويساره وله طبقتان فهذا لو قاله لكان فضيحة لغوية مرادها أن في القرآن كلمات عامية استحدثت بعد ثمانية قرون من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم رجعت القهقرى إلى زمن نزول الوحي ولذلك كتم المعـــنى العامي لكلمة الجيب وصرح بصفاته قال (والجيب كما نعلم هو فتحة لها طبقتان) (14)[181] . فـــإذا كان الجيب ذا معنيين أحدهما – قرآني فصيح هو طوق القميص وهذا لـــيس لـــه طبقتان والمعنى الآخر عامي مستحدث هو الشق الذي عن يمين الثوب ويساره توضع فيه الأشياء الخفيفة لأنه كالكيس فأي منهما لـــه طبقتان الفصيح القرآني أم عامية المؤلف. إحزر (15)[182] .

و يقـــول الصيداوي : ولقد أحببت قبل أن ننفض يدنا (من له طبقتان) أن أوجه النظر إلى نكـــتة صغيرة كبيرة وهي قول المؤلف (الجيب كما نعلم) فإن قوله هذا هو ما يعلمه هو ويعلمه معه من ليس يعرف من معنى الجيب إلا المعنى العامي.

وأمـــا الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد فإن الذي يعلمه هو أن الجيب طوق القميص ونحوه فحسب أي فتحته كما يقال اليوم، ومنه وصيته لابنة أخيه معبد :

**إذا مـــت فانعيني بمـــا أنا أهله وشقي على الجيب يا ابنة معبد**

و مـــثل علم طرفة علم علي بن أبي طالب ومنه قوله (أخذت ثوباً معطوباً فجوبت وسطه فأدخلته في عنقي) ومثل علمهما علم الحسن ابنه ومنه وصيته لأخته زينب :

---

[181] المصدر نفسه 84 .

[182] المصدر نفسه 85 .

(يـــا أختاه إني أقسمت عليك فأبري قسمي لا تشقي عليّ جيباً ولا تخمشي وجهاً) ومثل علمهم علم يزيد بن مفزع ومنه قوله في هجاء عبيد الله بن زياد بعد مقتله :

**ما شق جيب و لا ناحتك نائحة ولا بكتـــك جياد عند أسلاب**

ومثل علمهم جميعاً علم المشتغلين باللغة، وأما العلم الذي هو قبل علم أولئك جميعاً وبعد عـــلمهم جمـــيعاً فهـــو علم الله (16)[183] . ومنه قوله تعالى {**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ**} وأما ما تعلمه القراءة المعاصرة فشيء مقصور عليها وعلى الذين لا يعلمون أنه مـــن مرتجلاتها لقد قالت (والجيب فتحة لها طبقتان لا طبقة واحدة) فمن أين أتت بهاتين الطبقـــتين اللـــتين لا وجود لهما في اللغة. ومن أين أتت بهذا التوكيد والإصرار في قولها طبقتان لا طبقة واحدة) ومع ذلك فحتى هذا الافتراء على علم اللغة لم يوصلها وحده إلى غايـــتها ولذلـــك عـــادت بعـــد سطرين فقط فأضافت إليه ما يعينها على ذلك فقالت (والجـــيوب في المرأة لها طبقتان أو طبقتان مع خرق) تقول هذا كأن اللغة عجين صلصالي يتشكل كما يريد عاجنه لقد احتاجت إلى كلمة " الخرق " فلتصفها إذاً ولتقل طبقتان مع خـــرق " ولتجلـــب لنفسها من الفراغ ما تحتاج إليه من المعاني والتعريفات وإلا فكيف نســـتطيع أن ننتقل بالجيب من معنى الطوق إلى معنى الفرج. وإذ قد وصل المؤلف إلى هذا التعريف والتفسير فقد وصل إلى لحظة القرار فانتبه فإني مورد لك قراره قال :

(فالجـــيوب في المرأة طبقتان أو طبقتان مع خرق وهي ما بين الثديين وتحت الثديين وتحت الإبطـــين والفـــرج والإليـــتين هذه كلها جيوب فهذه الجيوب يجب على المرأة المؤمنة أن تغطـــيها لذا قال {**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ**} ولقد أمعنت النظر في هذا القرار المعاصر فرأيته — حتى لو سلمنا جدلاً بصحته (نظرية الجيوب) قد أفرط مرة وفرط أخرى.

---

[183] المصدر نفسه 78 .

أ- الـــتفريط : وذلك أن المؤلف قد أغفل ذكر مواضع " جيوب " ينطـــبق علـــيها تعـــريف طبقتان وتلك هي جيوب أصابع اليدين والقدمين وعددهـــا ســـتة عشر جيباً إذ بين كل إصبعين طبقتان فلماذا تفرط القراءة المعاصرة في دينها كل هذا التفريط فلا تأمره في تغطية تلك " الجيوب " ومثل ذلك فإنه قد أغفل " السرة " من بطن المرأة ولا أعتقد أنها من الزينة الظاهرة ثم إن الخـــرق مـــتحقق في السُّرة وكذلك الطبقتان بمعنى انطباق الشيء على الشـــيء فمن أي النواحي نظرت إلى السرة رأيت لحماً قد انطبق على لحم فأخفـــيا بيـــنهما خرقاً وبهذا تكون السرة داخلة في تعريف (أو طبقتان مع خرق) فإغفال المؤلف لهذا " الجيب " تفريط في نظرية هو واضعها وملهمها وإنني لأظن الأجيال المقبلة من فقهاء القراءة المعاصرة سيستقصون فيأخذون عـــلى إمامهم إغفال القناة اللبنية من الثدي إذ لم يذكرها في الجيوب مع أنها خـــرق ينطـــبق علـــيه اللحم من جميع أقطاره ثم هي قطعاً ليست من الزينة الظاهرة (17)[184] .

ب- الإفـــراط : وأعنى به التشدد في نظرية الجيوب فكما أن المؤلف قـــد أفـــرط إذ أباح للمرأة ألا تغطي ما بين الأصابع وألا تغطي سرتها وألا تغطـــي القناتين اللتين من ثدييها فإنه أفرط إذ أوجب عليها أن تغطي ما هو مغطـــى أصـــلاً بفطرة الخلق أي أن تغطي المغطى فمن ذلك إلزامه المرأة أن تغطـــي ما تحت الثديين مع أن ما تحتهما مغطى بهما أصلاً اللهم إلا أن يحتج بالشـــاذ وأن الثدي الناهد لا يغطي ما تحته فيقال لـــه لِمَ نأخذ المطيع بالعاصي! خصـــص ولا تعمـــم. وهـــذا الإفراط والتعسير يقال في الإبطين أيضاً فهما

---

184 المصدر نفسه 88 .

مغطيان بفطرة الخلق فلا حاجة إلى أن تغطيهما المرأة كما يقضي دين القراءة المعاصـــرة إذ لا معنى لتغطية المغطى ومن الإفراط والتعسير أيضاً ومن وضع الأمـــور في غير نصابها أن يقال إن الإليتين جيوب فهذا من القراءة المعاصرة انحراف عن مبادئ دينها الأساسية وذلك إن الإليتين يجب أن يعدا من الزينة الظاهـــرة إذ حكمهـــا في ديـــنها يجب أن يكون كحكم الثديين. فقد أباح المؤلـــف تعرية الوجهين الأماميين من ثديي المرأة لأنهما ليسا جيوباً وأوجب تغطـــية ما بينهما لأنه هو الجيوب فقياس على ذلك يكون العدل والمنطق أن يبـــيح المؤلف تعرية الإليتين أسوة بإباحة تعرية الثديين على أن يوجب تغطية مـــا بينهما أسوة بما أوجبه من تغطية ما بين الثديين لقد تساوت الحالتان هنا وهناك فالحكم إذا يجب أن يكون واحداً هنا وهناك والقراءة المعاصرة مطالبة أن تقيس أحكامها في دينها الذي تبشر به بمسطرة واحدة لا بمسطرتين وبعد فالذي يبقى ضمن جيوب القراءة المعاصرة هو ــ ما بين الثديين والفرج فقط ــ فأمـــا ما بين الثديين فلا نسلم بأنه "طبقتان" كما لا نسلم بأنه أو طبقتان مـــع خـــرق " ونرى أن القراءة المعاصرة لو أخلصت لنفسها ولما تقوله وما تقـــرره لقالـــت إنما بين ثديي المرأة هو من الزينة الظاهرة وإن إبرازه عارياً للنظارة مباح لأنه ليس من الجيوب. وليس هذا الذي نقوله هنا يسراً إذ ليس في الدنـــيا أحـــدٌ يقول إن ما بين ثديي المرأة جيب مغطى غير ظاهر بل هو ظاهر عار يرى في كل حال ولا تُتَخيَّلُ تغطيته إلا بإلصاق قطعة من القماش مطلـــية ــ بالسيكوتين أو نحوه من المواد اللاصقة. ومهما بدر الأمر فإنني لا أشك في أن مخيلة مصممي الأزياء تعجز أن تتصور كيف يغطى الإبطان وما تحت الثديين وما بين الثديين.

وأمـــا الفرج فواجب ستره لا لأنه – جيوب – ولا لأنه طبقتان ولا لأنه (أو طبقتان مع خرق) بل يجب ستره لأنه سوأة كذلك قال الله ومتى قال الله لن يلتفت بعد قوله إلى تقول المتقولين. (18)[185] .

## آراؤه في المحارم :

فمؤلف القراءة المعاصرة يجيز لسبعة من المحارم هم 1- الأب –2- الابن –3- والد الزوج –4- ابـــن الـــزوج –5- الأخ –6- ابن الأخت –7- ابن الأخ ويساويهم بالزوج بإباحة الإطـــلاع عـــلى عورة المرأة و يورد قول الله تعالى {**وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْـــرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَائِهِنَّ أَوْ ءَابَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ**}( الآية )

فهو يرى أن الله لما قرن هؤلاء مع الزوج فقد أحل لهم ما أحل للزوج من النظر إلى عورة المؤمنة فيقول (قد يقول البعض هذا يعني أن المرأة المؤمنة يحق لها أن تظهر عارية تماماً أمام هؤلاء المذكورين أعلاه والمذكورين في نص الآية) فيقول (أقول نعم) يجوز إن حصل هذا عرضـــاً وإذا أرادوا أن يمـــنعوها فالمنع من باب العيب والحياء والعرف لا من باب الحلال والحـــرام لأنـــه يقول لها هذا عيب ووضع هؤلاء المحارم مع الزوج لأنها تعيش معهم غالباً فعلى المرأة المؤمنة أن لا تتحرج من هؤلاء ) (19)[186] .

و يؤكد المعنى في حق نساء النبي صلى الله عليه وسلم فيقول : (وقد ذكر نفس الحالة مع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في سورة الأحزاب حينما سمح لهن بالظهور ليس أمام كل المحـــارم بـــل أمام هؤلاء واستثنى منهم الزوج لأن النبي صلى الله عليه وسلم هو زوجهن

---

[185] المصدر نفسه 90 .

[186] القراءة المعاصرة 607 .

واستثنى والد الزوج لأن النبي صلى الله عليه وسلم ولد يتيماً (20)[187] قال تعالى {لا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي ءَابَائِهِنَّ} (الأحزاب 55).

و يقول : أما المحارم على المرأة التي حرم عليها أن تتزوجهم ولكن يجوز لها أن تختلي بهم ولا يجوز لها إبداء زينتها المخفية – الجيوب – أمامهم فهم (1- العم –2- الخال –3- الابن من الرضاعة –4- الأخ من الرضاعة –5- زوج الأم –6- زوج البنت-7- زوج الأخت).

انظر إليه أدخل زوج الأخت مع الذين لا يجوز لهم نكاحها مؤبداً وأما زوج الأخت فيجوز له نكاح أختها – إذا انفصل عنها.

و القراءة المعاصرة تفرق بين نساء النبي صلى الله عليه وسلم وبين نساء المؤمنين فتقول :

(قال هذا لنساء النبي صلى الله عليه وسلم مع أن كل المؤمنين هم من المحارم بالنسبة لنساء النبي صلى الله عليه وسلم {وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} (الآية 6 الأحزاب) {وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا} (الآية 53 الأحزاب).

و التفرقة من هذه الناحية غير صحيحة و ليس المؤمنون كلهم محارم لزوجات النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا قال تعالى {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ} (الآية52 الأحزاب).

و لكن المؤلف لم يورد الآية كلها وأهمل ما هو حجة عليه وهذا من عادته كما قلنا سابقاً بأنه يهمل الآيات التي لا تناصر رأيه وقد يهمل صدر الآية أو عجزها حينما يكون فيه حجة عليه وليس مصيباً في قوله (إن الوضع الخاص لنساء النبي صلى الله عليه وسلم هو

---

[187] القراءة المعاصرة 609.

مخاطبـــتهن المؤمـــنين من وراء حجاب. ويشير المؤلف إلى كلمة (نِسَائِهِنَّ) الواردة في آية الـــنور 31 وفي آية الأحزاب 55 ويحرفها عن معناها على الرغم من أنه يدعي أنه يفهم اللســـان العربي ويتقيد به فها هو يلجأ إلى التحريف في الكلمات فيحول معنى كلمة نساء إلى كـــلمة نســـأ مـــن النسيئة فيحمِّل هذه الكلمة في الآيتين الآية 31 النور والآية 55 الأحـــزاب – مـــا لا تتحمله ويخرجها من معناها الواضح الصريح إلى معنى لا يمت إليها بصلة فيقول : (ثم أضاف إلى هؤلاء ليكون حكمهم حكم الأب والزوج من ناحية إظهار الزيـــنة عبارة أو نسائهن ماذا تعني هنا كلمة أو نسائهن لقد قال بعضهم إنها تعني النساء المؤمـــنات وهـــذا غير صحيح لأنه لو عنى ذلك لقال أو المؤمنات من النساء ولكنه قال (أو نسائهن) ونون النسوة هنا للتابعية لا للجنس. فإذا كانت للجنس فهذا يعني أن هناك نســـاء النساء وهذا غير معقول إذا كانت (نساؤهن) تعني الإناث ولكن إذا قصد بنسائهن زوجـــات الـــرجال المذكورين قبلها وهم أخوها وابن أخيها فلزم أن يضع ميم الجماعة عوضاً عن نون النسوة فيقول أو نساءهم ولكن هنا نون النسوة لا ميم الجماعة ولا يصح أن نقول أنه وضع نون النسوة عوضاً عن ميم الجماعة للتغليب ويصبح وضع نون النسوة لضرورة صوتية. ولا يوجد في الكتاب كله شيء اسمه ضرورة اللحن أو النغم وهناك شيء واحـــد فقـــط، اسمـــه ضرورة المعنى. فنساؤهن هنا يجب أن تكون من الذكور وليس من الإناث ونون النسوة للتابعية فقط كأن تقول كتبهن أو بيوتهن وهذا لا يمكن إلا إذا فهمنا (النســـاء) على أنها جمع (نسيء) لا جمع امرأة أي (المستجد والمتأخر) فالمستجد هنا وغير المذكور في الآية هو ما يلي :

لم يذكـــر في آية الزينة ابن الابن والأحفاد و لم يذكر ابن ابن الأخ وابن ابن الأخت وابن ابن الزوج وهكذا دواليك فابن الابن يأتي متأخراً عن الابن (أو نسائهن) أي ما تأخر من هـــؤلاء المذكورين من المذكورين من الذكور وهم أبناؤهم وأبناء أبنائهم وبنفس الوقت هؤلاء المتأخرين لهم علاقة القرابة مع المرأة لذا وضع نون النسوة للتابعية قال أو (نساءهن)

أتـــرى أيها القارئ الكريم. كيف تُخطّئ القراءة المعاصرة من يقول إن كلمة نسائهن تعني النســـاء المؤمنات وهذا صحيح. ويذهب يفترض أقوالاً وذلك من قوله (لأنه لو عنى ذلك لقـــال أو المؤمنات من النساء إلى قوله وهكذا دواليك) فيقيس نساءهن المؤنثة على كتبهن أو بيوتهن المذكرة ويقول (وهذا لا يمكن إلا إذا فهمنا " النساء على أنها جمع نسيء لا جمع امـــرأة أي المستجد والمتأخر فالمستجد هنا وغير المذكور في الآية هو – ما لم يذكر في آية الزينة – ابن الابن والأحفاد وابن ابن الأخ وابن ابن الأخت وابن الزوج وهكذا دواليك).

ونحن نقول لصاحب القراءة المعاصرة إن فهمك هذا غير سليم لسببين :

1- السبب الأول : أن رسم نسائهن مختلف عن رسم نسأهن فالأول جاءت الهمـــزة بعـــد الألف والثاني جاءت الهمزة فوق الألف فثبت معنى – النساء – كالشمس.

2- إن مـــا ذكـــرت أنه لم يذكر في آية الزينة كابن الابن وابن ابن الأخت وابـــن ابـــن الزوج وغيرهم فمن المعلوم أن الفرع حكمه حكم الأصل فابن ابن الابـــن هو ابن وإن سفل وأنت لم تذكر الجد مع هؤلاء ومعلوم أن الجد أب وإن على وكذلك ابن ابن الزوج وابن ابن الأخ وابن ابن الأخت وابن ابن الابن من الرضاعة.

و المؤلف يرى أن المخاطبة من وراء حجاب مقصورة على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فـــيقول أن الوضع الخاص لنساء النبي صلى الله عليه وسلم هو مخاطبتهن المؤمنين من وراء حجـــاب مـــع أن المؤمـــنين كلهم من المحارم بالنسبة إليهن. وهو غير مطلوب من النساء المؤمـــنات لقـــوله تعالى {**يَانِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ**} (32 الأحزاب) فغير مطلـــوب من المرأة المؤمنة أن تقلد نساء النبي صلى الله عليه وسلم في علاقاتها الاجتماعية

مع الغير وإذا أرادت أن تقلد نساء النبي صلى الله عليه وسلم فعليها أن تخاطب كل الناس بما فيهم المحارم من وراء حجاب عدا السبعة محارم ونسائهن المذكورين في آية الزينة وفي هذه الحال تحمل المرأة المؤمنة نفسها لزوم ما لا يلزم (21 )[188] .

(أما بالنسبة للمؤمنات فالوضع المشترك مع نساء النبي صلى الله عليه وسلم هو الزينة المخفية وليس المخاطبة من وراء حجاب )(22)[189] .

وهو يرى في آية الأحزاب 59 أنها مجرد تعليمات فيقول :

و جاء الخطاب في مقام النبوة الذي ليس هو حلالاً وحراماً وإنما تعليمات لدفع الأذى وذلك في قوله تعالى {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}(59 الأحزاب) هنا بدأت الآية بقوله يا أيها النبي فهي آية تعليم وليست تشريع وهذه الآية تعلم المؤمنات اللباس الخارجي وهو ما سماه بالجلباب فالجلباب جاء من الأصل - جلب – وهذا الفعل في اللسان العربي له أصلان أحدهما الإتيان بالشيء من موضع إلى موضع والآخر الشيء يغشي ويغطي شيئاً آخر فالجلبة هي القشرة التي تغطي الجرح عندما يبرأ ويندمل وقبل أن يبدأ بالاندمال نضع له رباطاً من القماش المعقم لنحميه من الأذى الخارجي ومن هنا جاء الجلباب للحماية وهو اللباس الخارجي فاللباس الخارجي يمكن أن يكون بنطالاً وقميصاً أو تايورا أو روباً أو مانطو. كل هذه الملابس تدخل تحت بند الجلابيب لذا قال {يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ} للتبعيض وبما أن هذه الآية للتعليم لا للتشريع وضع السبب وهو – المعرفة – التي تسبب الأذى).

---

188. القراءة المعاصرة 609 .

189. الصدر نفسه 610 .

ونحن نقول انظر إلى المؤلف كيف أهمل العباءة وانظر إليه قد أخذ المعنى القريب وهو دفع الأذى ليخلص إلى مبتغاه.

ثم يقـــول وقوله تعالى {وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ} (النور 31) (إن الذي يفسر هذه الفقرة على أساس الخلخال في القدم أي على المرأة ألاّ تضع خلخالاً في القـــدم وتضـــرب على الأرض لكي لا يسمع صوت الخلخال أو تلبس حذاءً ليس له صـــوت أثناء السير فهو غير مصيب في تفسيره) ثم يتكلم عن معنى – ضرب – وإن من معانيها السعي بالأرض والعمل وبعد ذلك يقول ومن هنا نفهم {وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ} والسب في ذلك النهي هو لكي لا يعلم ما يخفين من زينتهن. وهذا الكلام عن الزينة وهي الجيوب لأنها لا يمكن أن تعلم إلا إذا أرادت المرأة ذلك فهذا يعني أن الله منع المرأة المؤمنة من العمل والسعي والضرب بشكل يظهر جيوبها أو بعضها كأن تعمل عارضة – ستريتز – أو تقوم برقصات تظهر فيها الجيوب أو بعضها ولكنه لم يحرم الرقص بشكل مطلق. بل حرم عليها إظهار الجيوب أو بعضها بشكل إرادي (23 )[190] .

ثم تكـــلم عـــن أعمال المرأة : ولن يفيدنا نقل ذلك بشيء و لكننا ننتقل إلى الفقرة التالية قـــال:

(حتى نفهم آية النور 31 وآية الأحزاب فهماً صحيحاً علينا أن نفترض وجود امرأة عارية تمامـــاً تريد أن تدخل الإسلام فماذا عليها أن تلبس، علينا أن نفهم أن امرأة مؤمنة في أي بلـــد في العـــالم عليها أن تلبس حسب أعراف بلدها متقيدة بالآيتين 31 من سورة النور كفرض، 59 من سورة الأحزاب كتعليم لا تشريع) (23)[191] .

---

[190] القراءة المعاصرة 613 .

[191] المصدر نفسه 617 .

نقـــول أجل هذا هو ما يجب على المرأة التي تدخل الإسلام من جديد أن تفعله ونقول إن آية الأحزاب هي تشريع لا تعليم.

و يقول المؤلف : أما فيما يتعلق ببعض الآراء الفقهية التي ترى أن صوت المرأة عورة فهذا وهـــم لأن المرأة كانت تحضر صلاة الجمعة في المدينة وكانت تقف مع النبي صلى الله عليه وسلم في طرقات المدينة وتسأله ويجيب على أسئلتها. ثم إن العورة من الحياء لا من الحرام أي أنـــه إذا كـــان مجـــتمع من المجتمعات يحبذ صوت المرأة ولا يعتبره عيباً حتى في الغناء فلا يوجد أي إثم في ذلك (24)[192] .

و ينتهي المؤلف في بحثه عن عورة المرأة وزينتها فيرسم جدولاً خلاصته :

- الحد الأعلى : هو حد رسول الله صلى الله عليه وسلم تغطية كل الجسم ما عدا الوجه والكفين فإن تغطية الوجه والكفين خروج عن حد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- الحد الأدنى : هو ( حـــد الله ) تغطية الجيوب فقط (فتحة الصدر – تحت الإبطين – الفـــرج – الإليـــتين) فالظهور عارية بدون ملابس خروج عن حد الله، وما عدا اللذين ذكروا في الآية 31 النور.

- فطـــرة الناس في اللباس هي الحركة بين الحدين حسب الأعراف وهنا تظهر الحنيفية مع الالـــتزام بحـــدود الله ورســـوله وهذا ما ورد في الآية (59 الأحزاب). والزمان والمكان والظروف الموضوعية (25)[193]

ويكفيه من الخطأ أنه فرق بين حدود الله وحدود رسوله، ورسمه كما يلي :

---

[192] المصدر نفسه 618 .

[193] المصدر نفسه 618 .

الحد الأعلى : حد رسول الله (تغطية الوجه) خروج عن حدود رسول الله.

تغطية كل الجسم ما عدا الوجه والكفين.

الحد الأدنى :حد الله تغطية الجيوب فقط (فتحة الصدر + تحت الإبطين + الفرج + الإليتين).

خروج عن حدود الله الظهور عارية بدون ملابس ما عدا ما ذكر في الآية 31 سورة النور. وهكذا نجد أن المؤلف يفتري على الله بقوله (الحد الأدنى حد الله تغطية الجيوب فقط فتحة الصدر – تحت الإبطين – الفرج – الإليتين) ولو كان الأمر كما ذكر المؤلف لما كان للآية {**وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ**} - (النور الآية60). أيَّ معنى.

فإن هذه الآية ترد عليه من وجهين :

1- الترخيص للنساء اللواتي لا يرجون نكاحاً بوضع ثيابهن. ولو كانت العورة كما زعم فما معنى استثناء البعض من الكل إذ رخص – للقواعد من النساء ومنع غيرهن مما رخص به لهن.

2- إن الزينة قد تكون بالأشياء على خلاف رأي المؤلف بالزينة لأنه يرى أنها بالمواقع أي في جسد المرأة حيث تقول الآية غير متبرجات بزينة والتبرج إما بكشف العورة وإما بلبس الثياب والحلي وغيرها.

ولما رأى المؤلف أن الحجة قائمة عليه وأن الأمر خلاف رأيه ذهب يفسر الآية بغير ما وردت له فابتكر تعريفات ووضع مخالفات فهو يقول (هنا جاءت القواعد وهن النساء اللاتي أقعدن لسبب مرض ما كالشلل مثلاً بغض النظر عن السن بحيث جعلهن لا يرجون النكاح لذا قال ــ اللاتي لا يرجون نكاحاً ــ ولا تعني أبداً اللاتي لا يرغبن بالزواج وهنا القواعد ليس كما قال الفقهاء قعدن عن المحيض وهذه الحالة جاءت في قوله :

(يئســـن من المحيض وليس قعدن عن المحيض وهو ما نسميه سن اليأس للمرأة وليس بسن القعود) [194]

يذهب المؤلف في تأويل قوله (فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ) إلى معنى بعيد غير مقصود في الآية فإن الجناح المقصود فيه هو الحرج ولكنه يقول

(فالجـــناح جاءت من جنح ـــ بمعنى الانحراف كأن نقول جنحت السفينة أو الطائرة عن مســـارها ـــ ومن هنا جاء مفهوم الجنحة وهي مفهوم أقل من الجريمة بكثير حيث جاءت الجريمة بقوله {وَيَا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ} (هود الآية 89) (27)[195] .

ثم يذهب يوضح الوضع فيقول (أما فعل وضع في اللسان العربي فله أصل واحد بدل على الخـــروج للشيء وحطه وإخراجه كقوله {وَأُولاتُ الأحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} (الطلاق 4) وقوله {فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ} (آل عمران36) فعندما تضع المرأة حملها تخـــرجه مـــنها كلية وتحطه عنها فهنا قال {يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ} فالثياب هنا اسم جنس وهو كـــلما يردهُ الإنسان على جسمه من لباس داخلي وخارجي وجاءت من الأصل (ثوب) ومـــنها جاء الثياب والمثابة والثواب هو كل ما يرد للإنسان من عمل صالح إيجابي فتصبح {يَضَـــعْنَ ثِـــيَابَهُنَّ} هو خلع جميع الملابس وقد اشترط بذلك عدم القصد بإظهار الزينة المخفية للآخرين أي ـــ الجيوب ـــ فقط بقوله :

{غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ} والتبرج تعني في اللسان العربي البروز والظهور والملجأ والبُرجْ هو بـــارز ظاهر وبنفس الوقت هو ملجأ للحماية لذا قال {غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ} فوضع هذا الشـــرط أن لا يكـــون القصـــد مـــن وضـــع الثياب هو اللجوء إلى إبراز زينتها المخفية (فرجها وما في الجيوب) وهذا واضح في الحياة فكثير من النساء المقعدات بسبب المرض أو الشـــيخوخة يحـــتجن إلى حمام شمسي وإلى تغسيل ومسّاجات بحيث يحتجن إلى خلع كل

---

[194] المصدر نفسه 616

ملابســـهن أمـــام الآخرين الذين يعتنون بهن لأنّهن يحتجن إلى مساعدتهم ولكنه من باب الترجيح فقط وليس من باب الحلال والحرام (28) .

قال تعالى :

{وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ} أي أنها إذا استطاعت أن لا تظهر زينتها المخفية "عارية تماماً " فهو خير لها) (28)[196] .

---

[196] المصدر نفسه 616

الباب السادس

# الفـــقـــه ورأي الـــمؤلف

**تمهيد:**

نقـــل المؤلف الآيات التالية : {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا} (الآية 30 الروم) وقال تعالى: {فَـــأَقِمْ وَجْهَـــكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ} (الآية 43 الروم) وقال تعالى {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا} (الآية 67 آل عمران) وقال تعالى {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ} (الآية 68 آل عمران) وقال تعالى {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ} (120 الـــنحل) وقال تعالى {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ} (123 النحل) وقال تعالى {إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (الآية 161 الأنعام).

ثم قـــال المؤلف : إن الإسلام دين الفطرة وهو دين الحنيفية المتغيرة حسب الزمان والمكان وحســـب الأحوال الاجتماعية والاقتصادية وهو متطابق تماماً مع فطرة الناس والتي تحمل تشابهاً كبيراً مع قوانين الطبيعة لذا ربط قوله تعالى {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} (الروم 30) أي طبائع الناس بقانون الطبيعة بقوله {لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} ثم علق في نهاية السّـــورة بـــأن هـــذا الدين هو {الدِّينُ الْقَيِّمُ} أي صاحب السيطرة والقوة وبالتالي فله القيومـــية. وقد أكد بأن معظم الناس لا تعرف هذه الحقيقة عن الإسلام بأنه دين منسجم مـــع طبائعها ومع قوانين الطبيعة معاً وهنا تكمن أزمة الفقه الإسلامي (1) [197] ثم ذهب المؤلف بضرب أمثلة تجاوزت العشرة من دوافع الطبيعة و ربطها بأحوال الناس ( 2 ) [198]

---

[197] القراءة المعاصرة (575)

[198] المصدر نفسه من (575إلى 577)

ثم قال : هذه الحقيقة أول من اكتشفها وسلم بها في التاريخ الإنساني هو إبراهيم عليه السلام وبهذا كانت ميزته على الأنبياء والمرسلين أي أنه اكتشف الطبيعة الحنيفية المتغيرة وسلم بها وبذلك اكتشف أن كل شيء ما عدا الله فهو حنيف وأن تثبيت أي ظاهرة في الوجود هو شرك بالله أي أشرك هذه الظاهرة مع الله في بقائها وثباتها لذا فقد تم ربط الحنيفية بالتوحيد حيث أتبع مصطلح (حنيفاً) بقوله {وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (الأنعام 161)

(3)[199] هذا فيما يتعلق بظواهر الطبيعة الحنيفية حيث أن الإيمان بحنيفية الطبيعة وبالحدود الموجودة فيها والحركة في هذه الحدود فيه توحيد الربوبية ومن هنا كان إبراهيم {أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا} (النحل 120) وهو الذي سمانا المسلمين والحنفاء. فإذا أخذنا ظواهر الطبيعة الحنيفية وأسقطناها على سلوك الناس رأينا أن سلوك الناس يتكون ضمن حدود دنيا أو عليا أو الاثنين معاً. (4)[200] وقال : ولكي يبين أن إبراهيم عليه السلام كان أول الحنفاء حيث اكتشف الحنيفية في الوجود قبل أن يأتيه الوحي قال {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ} (الأنبياء 51) ولكي يبين أن الديانتين اليهودية والنصرانية لا تحمل الطابع الحنيف وأن الحنيفية انتقلت من إبراهيم كنظرة إلى الكون إلى محمد صلى الله عليه وسلم كدين عالمي شمولي بقوله تعالى {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (آل عمران 67) (5 )[201]

ونقول إن الحنف هو الميل عن الشرك إلى التوحيد توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وقيل الحنف هو الاستقامة الحنيف هو المستقيم على الإسلام ولهذا فلا صحة لقول المؤلف عن دين الإسلام (هو دين الحنيفية المتغيرة حسب الزمان والمكان وحسب الأحوال الاجتماعية

---

[199] المصدر نفسه 575

[200] المصدر نفسه 578

[201] المصدر نفسه(578).

والاقتصـــادية ويقول انطلاقاً من هذا المفهوم للدين الإسلامي الحنيف نفهم تماماً الأمور التالية:

1 ــ أن رســالة الإســلام رســالة عالمية وليست للعرب فقط أو للقرن السابع المـيلادي قــال تعالى {قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْــكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ} (الأعراف 158) فهو دين واحد من إله واحد مالك للسماوات والأرض.

2 ــ نفهــم لمــاذا كانــت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم هي رحمة للعالمين قال تعالى :{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} (الأنبياء 107)

3ــ نفهــم لمــاذا كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم هي خاتم الرسالات بالإضــافة إلى أن القــرآن كان خاتم النبوءات حيث أن رسالته تعني أن الإنسان ابــتعد عن المملكة الحيوانية وهو مدين لله في هذا البعد وقد وجهه الله في المعرفة بالنــبوات والتشــريع بالرسالات حتى وصل عند محمد صلى الله عليه وسلم إلى درجــة النضوج في المعرفة والتشريع بحيث أصبح قادراً على أن يعتمد على نفسه في معرفة الوجود وفي التشريع "الإنسان المعاصر " ( 6 )[202]

ويقــول : انطلاقــاً من هذا نتوجه بالسؤال التالي ؟ هل الإسلام جاء ليحيى الناس به أم ليحيوا من أجله ؟

فإذا جاء الإسلام ليحيا الناس من أجله فهذا يعني أنه لا يتناسب مع فطرتهم وفرض عليهم فرضــاً وســيأتي يوم يعافونه ويهربون منه وإذا جاء ليحيوا به فهو متناسب معهم في كل زمــان ومكــان فقلنا لك آيها القارئ الكريم من هنا يجب أن ننطلق في فهم أزمة الفقه الإسلامي الموروث والتفسير والذي أصبح يشكل عبئاً علينا حيث أصبح غير متناسب مع

---

المصدر نفسه(579) وهذه مغالطة والإنسان المعاصر وغيره لا يمكن إلا أن يهتدي بالتشريع ويعتمد عليه. [191]

معلوماتـــنا وظروفـــنا في القرن العشرين حيث أن الأزمة تنطلق من خطأ في المنهج لا من ضعف في اللغة العربية أو قلة في التقوى

## نـــقده للمفسرين :

(أمـــا بالنسبة للتفسير فقد ظن المفسرون أن القرآن على غرار التوراة فكلاهما فيه كونيات وقصـــص ففسروا القرآن بالتوراة غير آخذين بعين الاعتبار خاصية التشابه وقد تثبت هذا التفسير إلى يومنا هذا (8) [203]

## نـــقده للفقهاء :

وأمـــا بالنسبة لأم الكتاب الرسالة : فقد ظن الفقهاء أن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم هي شريعة عينية على غرار شريعة موسى لا شريعة حدودية وقد وقعوا في خطأ. إن آيات أم الكـــتاب هـــي نص ولا اجتهاد في النص فوقفوا على الآية أي على الحد. لا عند الحد علماً بأنه إذا أراد فريقا كرة قدم أن يلعبا مباراة بكرة القدم فعليهما أن يلعبا ضمن حدود الملعـــب لا عـــند حدوده مثال على ذلك آية الإرث حيث وقفوا على الآية تماماً أي على الحـــد و لم يـــتحركوا ضـــمن الحدود أبدا وإننا لا نلومهم على ذلك لان مفهوم الحدود "للرياضيات" والتحليل الرياضي وضعه إسحاق نيوتن في القرن السابع عشر وهكذا نفهم تشـــريعات أهل الأرض . لماذا سميت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بأم الكتاب بينما سميت رسالة موسى وعيسى بالكتاب. لأنه يمكن استنباط ملايين الكتب في التشريع من أم التشريع ومعظم التشريعات المعاصرة لأهل الأرض تدخل ضمن أم الكتاب.(9). [204]

---

[202] المصدر نفسه (579).هذه تهمة غير صادقة.

[204] المصدر نفسه (579) وقد أشرنا أكثر من مرة أن مصطلح أم الكتاب من اختراع مؤلف القراءة المعاصرة ، وأنه يعني بذلك الحدود الأخلاق والتعليمات والمعاملات والحلال والحرام يسميها رسالة محمد.

ونقـــول: إن قـــول المؤلـــف (ومعظـــم التشريعات المعاصرة لأهل الأرض تدخل ضمن أم الكـــتاب) فـــيه نظـــر فأم الكتاب كما يسميها المؤلف هي تشريع من الله وإن أكثر تشريعات أهل الأرض خارجة عن تشريع الله سبحانه وتعالى.

ونقـــول: سبحان الله أيتهم مفسري الأمة الأوائل (بأنهم ظنوا أن القرآن على غرار التوراة ففســـروه بها) وأين الدليل على صدق هذا الزعم، كيف يفعلون ذلك وهم يقرؤون قول الله تعـــالى {**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَـــاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِـــرْعَةً وَمِـــنْهَاجًا وَلَـــوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا ءَاتَاكُمْ**} (الآيـــة 48 المـــائدة). وقال تعالى {**وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ**} (الآية 49 المائدة).

وكذلـــك تســـير التهمة إلى الفقهاء (فيصفهم بأنهم يرون أن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم شريعة عينية على غرار شريعة موسى عليه السلام لا شريعة حدودية) فكيف يكون ذلـــك وهم يحكمون بالدية في قتل الخطأ عملاً بقوله تعالى :{**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِـــيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْـــتَدَى بَعْـــدَ ذَلِـــكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ**} (الآية 178 البقرة). ومن المعلوم أن الدية غير مفروضـــة في التوراة. وهم لا يلامون إذا وقفوا عند حدود النص. فالنص له قدسيته. وقد ســـبق أن اعـــترف المؤلف بقدسية النص ولكنه يخرج عن هذا فيقول بنسبية المحتوى وهو يكرر هذه العبارة في مواضيع كثيرة.

ويـــأتي بتهمة أخرى فيصف الفقهاء بأنهم ذووا فهم خاطئ للسنة (فيرون بأنها عين الحديث) ويؤكـــد عـــلى أن السنة النبوية الشريفة (هي منهج في التعامل مع الكتاب طبقاً للظروف

الموضـــوعية التي عاشها النبي محمد صلى الله عليه وسلم وهو بهذا كان الأسوة الحسنة لنا وكذلك سنة الحدود والأخلاق التي تشكل الطاعة المتصلة "وأطيعوا الله والرسول"(10).[205] وهو كما قلنا سابقاً يرى بأن التأسي بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم هو تطبيق آيات الكـــتاب (أم الكتاب كما فهم) على ما يناسب الظروف الزمانية والمكانية وطبقاً للمعرفة النوعية لكل أهل زمان ومكان ويزعم أن الإسلام لن يكون صالحاً لكل زمان ومكان إلا إذا طبق هذا المفهوم لإن القرن السابع الميلادي وظروف شبه الجزيرة آنذاك لا تنطبق علينا وعلى زماننا القرن العشرين الميلادي.

## المذاهب عند المؤلف خمسة :

قـــال (إن المذاهـــب الفقهية الخمسة : الحنفي- الشافعي- الحنبلي- المالكي- الجعفري. (11)[206] . هـــي مـــن أطر تفاعل الإسلام مع مرحلة تاريخية معينة عاشها هؤلاء الفقهاء بكـــل أبعادها السياسية والاقتصادية و الاجتماعية. وقد كان عملهم تقويماً للسنة النبوية والخلفـــاء الراشـــدين حيث بدأ النبي صلى الله عليه وسلم هذا التفاعل ومن بعده الخلفاء الراشدون وجاء الفقهاء وأطّروه ونهجوه ووضعوا له أسساً تنسجم مع الشروط الموضوعية التاريخـــية الـــتي عاشوها هم لا نحن. وقد كان تفهمهم قوياً في حينه وتكمن قوته في أنه أجاب على كل المسائل المطروحة عليه في مجتمعهم في سياقه التاريخي. وقد كان تفاعلهم في مجـــتمعهم تفـــاعـــلاً إيجابياً ووطنياً في نفس الوقت حتى إن الشافعي له مذهبان القديم والجديـــد. فعندما سافر إلى مصر واستقر فيها كتب مذهبه الجديد لأنه غير المكان ضمن نفـــس المرحلة التاريخية(12)[207] . (وبعد هذا التفاعل ضعفت الدولة الإسلامية ووهنت ولم يســـتمر هذا التفاعل الإيجابي الوطني) (13).[208] إلى أن قال : (وقد انعكس الوضع

---

[205] المصدر نفسه(58).

[206] المصدر نفسه( 585) وقد قلنا سابقا أن المؤلف قد تأثر بمدرسة معتزلية وأشعرية

[207] المصدر نفسه( 585) ويقول أن الشافعي لم يغير مذهبه من أجل المكان ولكن لعثوره على أحاديث جديدة .

[208] المصدر نفسه (585) .

السياســـي والاقتصادي المشرذم في الأمراء والمماليك المختلفين في تشرذم الفقهاء أنفسهم فأصـــبح لكـــل أمير رعيته وفقهائه حتى أصبح في الجامع الأموي أربع محارب للصلاة من أجـــل اتباع الفقهاء الأربعة وأصبح الالتزام الفقهي موازيا للالتزام والولاء السياسي فكما أن الأمير لا يسامح الناس بالولاء لغيره أصبح الفقيه أيضا لا يقبل من أتباعه السماع لغيره حتى أصبحت المقولة "المريد بين شيخين كالمرأة بين رجلين هي السائدة" وقد استمر هذا الأمـــر مئات السنين وهنا نحن المسلمين في عصرنا الحاضر وما نحمله من فقه نظن أنه فقه إســـلامي إلا نتاج لهذه العملية التاريخية الطويلة (14).[209] (وما نحن في عصرنا إلا أمة مهـــزومة ورثنا فكرا نظن أنه فكر إسلامي أصيل وما هو إلا تفاعل تاريخي بحت. ونعيش حياة مادية معاصرة ونعرف ماذا يوجد في هذا العالم. فأصبحنا نعيش في شخصية مزدوجة مهـــزومة نبحـــث عن ذاتنا في الفكر الفلسفي الموروث وفيما يسمى بالحجاب الشرعي ونعيش حياتنا في الوقت الحاضر) (15).[210]

ثم يـــأتي بهذا الوصف الطويل لأحوال المسلمين وما مر به الفقه الإسلامي من مراحل وما آل إليه الآن فيشرع للمسلمين نهجا لا يرى غيره فيقول:

(وهـــذه المشـــكلة غير قابلة للحل إلا إذا أعدنا النظر في الفكر الفلسفي الموروث كاملا وأجريـــنا تفـــاعلا جديدا للكتاب والقرآن مع معطياتنا الحالية وهذه هي السنة في تفاعل الكـــتاب من جديد وإعادة تأويل القرآن وعلينا أن نكون على ثقة بأننا قادرون على أن نفقه لأنفسنا) (16).[211]

ونحـــن نقول : إن الإسلام لا يقيم من خلال أقوال وأفعال المنتمين إليه ولو كانوا علماء وفقهاء وحكاما وإنما تعرض آراؤهم على الكتاب والسنة وليس على الكتاب وحده كما يـــزعم المؤلـــف ذلـــك في عـــدة مواضع فالسنة أوضحت الصلاة بأوقاتها وكيفية أدائها

---

209 المصدر نفسه (586).

210 المصدر نفسه( 588).

211 المصدر نفسه(588).

والسنة جاءت بتقرير أركان الإسلام وأركان الإيمان وتعريف الإحسان وجاءت بوجوب عقد النية قبل أي عمل والسنة الفعلية أوضحت بالتطبيق الحج بأركانه وواجباته والأماكن التي يلزم الوقوف فيها وما يتخذ فيها من أعمال بما في ذلك الطواف والسعي ورمي الجمار والسنة بينت وفصلت ما أجمله القرآن من الزكاة وغير ذلك مما توافرت به الأحاديث التي خدمها علماء الأمة وفحصوها وأيضاً ما رواه الأفراد الثقات مثل حديث ((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)) وأما ما جد علينا بسبب التقدم الطبي بتوفر الوسائل والأجهزة التي تعين على تأدية ما لم يكن في اقتدار السابقين كنقل الدم وزرع الأعضاء وغير ذلك فإن الدول الإسلامية توالي عقد المؤتمرات وتنتدب لها العلماء من العارفين والورعين ومن يوثق بقدرهم وإخلاصهم فيتدارسها العلماء ويقررون ما يطابق قواعد الشرع الحنيف. فالشريعة الإسلامية فيها قواعد شرعية ثابتة كاختيار أخف الضررين ودرء المفاسد ووجود الاضطرار وأما التأويل فإن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم أعلم بالقرآن- لوجود النبي صلى الله عليه وسلم بينهم ولبلوغهم الذروة في معرفتهم اللغة العربية التي كانت تنطق بها العامة والخاصة قال ابن عباس (ما علمت معنى فطر إلا من أعرابي جرت بينه وبين آخر خصومة في بئر فقال الأعرابي (أنا فطرتها) وما ورد أن قريشاً لم تعرف "قسورة" حتى قدم أعرابي من بيئة أخرى فذكر أنها من أسماء الذئب وأما أهل هذا الزمان القرن العشرين فحتى الأدباء منهم لا يعلمون أسرار اللغة العربية بل وبعض ألفاظها. فالشعر الجاهلي لديهم كأنه طلاسم.

أما أن نقول نحن أهل هذا الزمن (إنه لا يسعنا ما وسع الصحابة رضوان الله عليهم في فهم القرآن لأن أرضيتنا العلمية غير أرضيتهم ومناهج البحث عندنا تختلف عنهم ونعيش في عصر يختلف عن عصرهم والتحديات التي نواجهها تختلف عن تحدياتهم فنحن نواجه فلسفات قوية ومنيعة دخلت عقر دارنا ونواجه تقدماً علمياً يؤثر على كل حركة وكل قرار نتخذه في حياتنا فنكون متوهمين إذا قلنا أو قبلنا بأنه يسعنا ما وسعهم) فهذا لعمري

هـــو الخطأ وهو الضلال أما أن نأخذ برأي المؤلف أو نقول : كما قال المؤلف (نحن على يقـــين بأنـــنا في أواخر القرن العشرين في مشاكلنا المعاصرة والتي لا يعرف الصحابة عنها شـــيئا وبوجود الكتاب الذي بين أيدينا – لا ريب فيه- قادرون على نقله من عالم مطلق إلى عـــالم النسبية الذي نعيشه نحن وقادرون أن نتحرك ضمن الحدود بشكل يتناسب مع عصرنا).

إن مـــن يقول (أن النبي صلى الله عليه وسلم حول المطلق إلى نسبي المحتوى فأخذ – الحل الأول – الـــذي يناسب عصره وبيئته ويحل مشاكله) مخطئ في رأيه هذا و لم يقدم دليلا يســـتند علـــيه وأكبر من هذا زعمه (أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما عمل هذا ليكون الأسوة الحسنة لمن يأتي بعده فيحول المطلق إلى النسبي ليأخذ منه ما يناسب عصره على مر العصـــور وتغـــير الإمكانات وأن هذا هو الذي يجعل الإسلام صالحا لكل زمان ومكان) ومـــن المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في الحادثات حتى يبيـــن ما يترتب علـــيها من الحكم وقد يعاتبه الله على ذلك قال تعالى : {**يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم(1) قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم(2)**} (التحريم). كان القرآن ينـــزل عليه فإما أن يقره القرآن بما ينـــزل بعد الحادثة فيبينها وإما أن لا يقره القرآن عليها كقوله تعالى : {**ما كان لنـــبي أن يكـــون له أسرى حتى يثخن في الأرض**} (67 الأنفال) ومثل قوله تعالى :

**فا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الـ اذبين** 4 التوبة

ولـــذا فإن تأويل النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن ليس وقتيا بل يجب أن يكون دستورا ومـــنهجا ثابتا ولو تغير الزمان والمكان وليس لمجتهد أن يتخطى ما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو حتى ما ثبت عن صحابته رضوان الله عليهم وإنما الاجتهاد فيما لم يتوفر لـــه دليل من القرآن أو السنة أو من أقوال الصحابة أئمتهم وعلمائهم ولذا فإن ما وسعهم يسعنا الآن ولا حق لنا في الخروج عنه.

هـذا المؤلـف الـذي لا يسعه ما وسـع الصحابة رضوان الله عليهم نجـده يتطلع إلى (نظـريات فلسـفية وحقائق علمية موضوعية تفيد الناس جميعهم – كل الناس – وليس المؤمـنين فقـط هذه الاستنتاجات يتحقق منها فوائد علمية وعملية للناس وهذا التأويل يحصل من بعد نزول القرآن لا حين نزوله أي أن هذا التأويل سيحصل بعد النبي صلى الله علـيه وسلم لا في عهده فقد حذرنا الله تحذيرا شديدا من كتمان هذه الحقائق والنظريات وما ينتج عنها من فوائد علمية وعملية) (180).

و لقد أشرنا أكثر من مرة بأن الإسلام لا يستنكر المخترعات ولا تتعارض معه وأن القرآن الكريم أعطى إشارات لما سيحدث مثل قوله تعالى {**ويخلق ما لا تعلمون**} والسنة أفادت كذلـك مـثل قول النبي صلى الله عليه وسلم ((يخرج الدجال في المشرق فيعلم به من في المغرب ساعة خروجه)) إلا أن القرآن والسنة لم توضحا ما سيحدث لأن الناس لا تصدق لكن هناك فرق بين الحقائق العلمية والنظريات الفلسفية التي تقوم على الوهم والتخمين .

## تحويل المطلق إلى نسبي :

قال : (إن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم التي هي السبع المثاني والقرآن الكريم سبق فيها الطـرح المعقـول عـن المـدرك من المحسوس بصياغة متشابهة فكلما تقدم الزمن تدخل طـروحات القـرآن ضـمن المحسوسات المتداولة وهذا بالتأويل أي مطابقة المدرك من المحسوس مع النص قال تعالى : {**سنريهم ءاياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنـه الحـق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد**}(الآية 53فصلت) وقال تعالى {**لكـل نبإ مستقر وسوف تعلمون**} (الآية 67 الأنفال) وقال تعالى {**بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله**} (الآية 39 يونس) هذا السبب في أنه يسمى قرآنا من الاستقراء (1)[212] .

---

[212] القراءة المعاصرة (186).

(قـــد يقول قائل إن السادة المفسرين وعلماء المسلمين لم يشرحوه هكذا وأقول هنا يظهر الوجه الثاني من إعجاز القرآن) هو:

(لقد حوى القرآن الحقيقة المطلقة للوجود بحيث نفهم فهما نسبيا حسب الأرضية المعرفية للعصـــر الـــذي يحاول فهم القرآن فيه فهو قد حوى الحقيقة المطلقة والفهم النسبي لهذه الحقـــيقة بـــآن واحد. وهذا لا يمكن لإنسان أيا كان أن يفعله فالمطلق عبر عنه ماديا في الصـــيغة اللغوية المحدثة الذكر والنسبي جاء في المحتوى المتحرك في التأويل وهذا ما نسميه بخاصـــية التشابه فإذا أردنا أن نعرف الأرضية المعرفية للعصر الذي عاش فيه ابن كثير فما علينا إلا أن نقرأ تفسيره وإذا أردنا أن نعرف الأرضية المعرفية لعصر الصحابة فما علينا إلا أن نتتـــبع تفسيراتهم وعلى رأسهم ابن عباس فتفسير ابن كثير وغيره يحمل المعرفة النسبية لفهـــم القـــرآن لا المعـــرفة المطلقة وهذا هو الإعجاز الأكبر في القرآن وهو التأويل وهو التشابه) (2).[213]

(ولهذا فالقرآن لا بد أن يكون قابلا للتأويل وتأويله يجب أن يكون متحركا وفق الأرضية العلمية لأمة ما في عصر ما على الرغم من ثبات صيغته).

(من هنا نفهم الحقيقة الكبيرة وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قادرا على أن يؤول القـــرآن وأنه كان أمانة تلقاها وأداها للناس دون تأويل وإنما أعطاهم مفاتيح عامة للفهم (3).[214] وأما أن نقول إن النبي صلى الله عليه وسلم كان قادرا أن يؤول القرآن فنقول :

1- إمـــا أن يكـــون صحيحا بالنسبة لمعاصريه فقط أي التأويل الأول فيكون بذلك قد تسبب في تجميد التأويل وتجميد حركة العلم والمعرفة وإلزام الناس بكلامه ثم تتقدم المعرفة الإنســـانية مـــع الـــزمن وتظهر العلوم فتبدو تأويلاته قاصرة ويكون بذلك قد قصم ظهر الإسلام بنفسه.

---

[213] المصدر نفسه(187).

[214] القراءة المعاصرة (ص16).

2- (وإمـــا أن يكـــون تأويله صحيحا بالنسبة لجميع العصور أي أن النبي صلى الله عليه وســـلم كان يستطيع أن يؤول كل آيات القرآن التأويل الصحيح في جميع الأزمان فيكون بهذا قد تسبب فيما يلي :

1- لا يوجـــد أحد من العرب الذين عاصروه قادر على فهم التأويل لو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قادرا على التأويل الكامل لكل القرآن لكان ذلك يعني أن النبي صلى الله علـــيه وســـلم كـــامل المعرفة ومعرفته بالحقيقة معرفة مطلقة فيصبح شريكا لله في علمه المطلق)(4).[215]

ونحـــن نقول : لا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم قادر على تأويل آيات القرآن كلها وأن هذه القدرة أعطاها الله إياه إذ يمكن أن يقال بأن الله سبحانه وتعالى عرف نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بتأويل القرآن كله قال تعالى : {**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نـــزل إلـــيهم ولعلهم يتفكرون**} (الآية 44النحل). وقال تعالى {**لا تحرك به لسانك لتعجل به(16) إن علينا جمعه وقرءانه(17) فإذا قرأناه فاتبع قرءانه(18) ثم إن علينا بيانه(19)**} (القيامة). وقد علمه ربه أن يتجنب التأويل الحقيقي لبعض الآيات كما قال تعـــالى: {**يســـألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج**}. لأن سؤالهم إياه عن ظاهـــرة الهلال وكيف يبدو من الغرب صغيرا ثم يكبر ثم يظهر من الشرق كبيرا ثم يصغر فأجـــابهم بمـــا لم يطلبوه وهي فائدة الأهلة. فلو أجابهم بما يعرف الناس اليوم من ظواهر الطبـــيعة لكذبوه واتهموه بالسحر لأن عقولهم لم تدرك ذلك وينسب عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قوله: (لو حدثنا الناس بما نعرف لكذبونا) كما أمر الله نبيه أن يكل علم مـــا لا يعـــلمه إلى الله تعالى. قال تعالى : {**يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمهـــا عند ربي**}. إذا فمقولة المؤلف (لو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قادرا على

---

[215] المصدر نفسه(16).

التأويل الكامل لكل القرآن لكان ذلك يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم كامل المعرفة ومعرفته الحقيقية معرفة مطلقة فيصبح شريكا لله في علمه المطلق)

وليس من الضروري أن تكون معرفته معرفة مطلقة بل محصورة فيما أنزل الله عليه ونصوص القرآن أنزلت عليه في لغة عربية ذات معان محدودة ثم جاءت السنة لتفسر وتوضح تلك المعاني وترسخها. قال تعالى : {**ثم إن علينا بيانه**}.

وقال المؤلف : أما قوله تعالى: {**وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم**}. فهو : بما أن القرآن حقيقة مطلقة فتأويله الكامل لا يكون إلا من قبل واحد فقط وهذا الواحد هو الله المطلق ولهذا قلت أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم التأويل الكامل للقرآن بكل تفاصيله لأنه يصبح شريكا لله في مطلق المعرفة أما معرفة التأويل المتدرج المرحلي فهو من قبل الراسخين في العلم كلهم مجتمعين لا فرادى)

## من هم الراسخون في العلم ؟

قال : (وهنا يجب أن نعلم أن الراسخين في العلم هم مجموعة كبار الفلاسفة وعلماء الطبيعة وأصل الإنسان وأصل الكون وعلماء الفضاء وكبار علماء التاريخ مجتمعين و لم نشترط لهذا الاجتماع حضور الفقهاء لأنهم ليسوا معنيين – في رأينا- بهذه الآية لأنهم أهل أم الكتاب(5).[216] والراسخون في العلم مجتمعين يؤولونه حسب أرضيتهم المعرفية ويستنتجون النظريات الفلسفية والعلمية وبتقدم التأويل والعلم في كل عصر حتى قيام الساعة فعند ذلك يتم تأويل كل الآيات التي تتعلق بهذا الكون وبهذه الحياة بحيث تصبح هذه الآيات بصائر . لذا فالراسخون في العلم مجتمعين لا فرادى وكل حسب اختصاصه يؤولون القرآن بالشكل التالي :

---

216 المصدر ص192 هو يعني بأهل أم الكتاب الذين يفهمون الرسالة كما يزعم وأهل الرسالة عنده هم أهل المعرفة بالعبادات و المعاملات والحلال والحرام .

الحالـــة الأولى : (تحويـــل بعـــض الآيات إلى بصائر حية، أي مطابقة مباشرة مع الحقيقة الموضوعية وهذا أقوى أنواع التأويل أي التأويل الحسي).

الحالـــة الثانـــية : (اســـتنتاج واستقراء لنظريات فلسفية وعلمية بالتأويل وذلك حسب أرضيتهم المعرفية المتوفرة من هذا المنطلق نفهم أن الحالة الأولى التي جاءت في قوله تعالى: {**لكـــل نبإ مستقر وسوف تعلمون**} (الأنعام 67). والحالة الثانية {**سنريهم ءاياتنا في الآفـــاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**} (فصلت53). فكل نبأ جاء في القرآن. ومـــن هنا جاءت كلمة النبوة لـــه زمن يستقر فيه أي يصبح تأويله نهائيا مبصرا. أما قوله {**ســـنريهم**} فالـــرؤيا من اختصاص الفؤاد وهو الإدراك المشخص بالحواس. إن هؤلاء الراســـخين في العلم هم بالضرورة من المؤمنين لأنهم يقولون {**آمنا به كل من عند ربنا**} أم الكتاب والقرآن وتفصيل الكتاب).

(فمـــنهم الراسخون في العلم لقد وضع الكتاب تعريفا لهم بقوله (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم فالصدر هنا لا جوف الصدر ولا جوف الرأس (الجمجمة) وإنما هو كما يقول الشاعر :

**ونحن أنـــاس لا توســـط بينـــنا لنا الصدر دون العالمين أو القبر**

(الصدر) يعني الصدارة (6).[217]

ونقـــول أما قوله (الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) هم مجموعة كبار الفلاسفة وعلماء الطبيعة وأصل الإنســـان وأصل الكون وعلماء الفضاء وكبار علماء التاريخ مجتمعين وليس الفقهاء لأنهم ليســـوا معنيين بهذه الآية لأنهم أهل أم الكتاب) لقد سبق أن قلنا أن استدلال المؤلف بهذه الآية على أن الراسخين في العلم يعلمون التأويل غير صحيح. لأن القراءة الأصح للوقوف عـــلى لفظ الجلالة {**وما يعلم تأويله إلا الله**} وأن الواو استئنافية وليست عاطفة وأنه لا

---

[217] المصدر نفسه193.

وقف على الراسخين في العلم بل يوصل معها بقوله

**يقولون ءامنا به كل من عند ربنا** وحتى لو تليت هذه الآية بعطف الراسخين على الله.

فإن الراسخين ليسوا ما ذكره المؤلف فالفلاسفة يأتون بنظريات ثم يأتي من يناقضها منهم ونظرية الارتقاء والنشوء للإنسان لم تستند إلى دليل وعلماء التاريخ يختلفون فيما بينهم أما علماء الطبيعة وعلماء الفضاء فما حدث لهم فإن الله قد يسر لهم الأسباب فتقدمت التكنولوجيا فأصبحت أشياء كثيرة من المغيبات تحت يد الإنسان وأمام بصره عيانا وليس هذا تأويلا بل حقيقة مشاهدة ومثل هذه الأشياء التي لم يكن الإنسان يدركها لو شرحها النبي صلى الله عليه وسلم للناس لكذبه الكثيرون منهم فالإنسان عدو ما يجهل وقد قلنا أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بأمور ستحدث في المستقبل وذكر فوائد ظواهر أخرى ولم يشرح طبيعتها وتوقف عن الإفادة لأمور أخرى هذا فيما يتعلق بالغيبيات أما ما عداها فإن الذين هم أهل للتأويل إنما هم أهل العلم والإيمان قال تعالى:

**{وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم}** (النساء الآية 83).

ولذا فإن الأولين من علماء المسلمين أقدر على الاستقراء والاستنتاج من المتأخرين حيث نزل القرآن في عصرهم وكان الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم وتلت عصرهم العصور التي اقتدت بهم وهم أعلم باللغة العربية من المتأخرين.

ولا يحق للمسلم أن ينصرف عن ذلك متأثرا بالمؤلف وأمثاله، إذ يقول المؤلف :

(إن النتيجة المباشرة لما قلنا هي أن التفاسير الموجودة بين أيدينا ليست أكثر من تفاسير تاريخية مرحلية للقرآن أي ينتبه إلى ضرورة توفر الأبحاث في أهل التأويل لها قيمة تاريخية لأنها نتاج أشخاص عاشوا منذ قرون.

ولكنه يعود فيقول :

(إن هؤلاء الراسخين في العلم بالضرورة من المؤمنين لأنهم يقولون :

(آمـــنا بـــه كـــل من عند ربنا) (أم الكتاب والقرآن تفصيل الكتاب)(7).[218] أي أنهم يؤمنون بأم الكتاب وبالقرآن وبتفصيل الكتاب لأنها كلها من عند الله حيث قسم الكتاب كما مر علينا إلى أقسام وها هو يذكرنا ببعض ذلك فيقول:

(إن أم الكـــتاب هـــي الكتاب المحكم وهي رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وإن القرآن والسبع المثاني هما المتشابه وهو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مع تفصيل الكتاب(8).[219]

---

[218] المصدر نفسه ص191.

[219] المصدر نفسه ص191.

الباب السابع

# جـــدل الكـــون والإنســـان

## تمهيد

قلـــنا فـــيما سبق أن مؤلف القراءة المعاصرة تتبع للماركسيين في جدل الكون وفي جدل الإنسان ولكننا نورد هنا ما يدل على أن المؤلف يسعى لإخضاع القرآن للنظريات المادية وجعلـــه ينطبق عليها ولا يتورع أبدا في أن يفسر الألفاظ والمعاني القرآنية تفسيرا يرى أنه ملائـــم لما ذهب إليه وبترك الآيات التي هي حجة عليه والتي لا يستطيع أن يؤول معناها بغير ما تدل عليه دلالة واضحة لا تحمل معنى آخر.

أولا بداية الخلق يقول : (فالخلق الأول بدأ بانفجار كوني هائل حيث قال :

**{والفجـــر ولـــيال عشر والشفع والوتر}** حيث أن الفجر هو الانفجار الكوني الأول **{وليال عشر}** معناه أن المادة مرت بعشر مراحل من التطور حتى أصبحت شفافة للضوء (2)[220]

لـــذا أتـــبعها بقوـــله **{والشـــفع والوتر}** حيث أن أول عنصر تكون بهذا الوجود وهو الهيدروجين وفيه الشفع النواة والوتر في المدار وقد أكد هذا في قوله تعالى :

**{وهـــو الـــذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء}** هود.

والهيدروجين هو مولد الماء).(3).[221]

---

[220] القراءة المعاصرة 235 .

[221] القراءة المعاصرة 235 .

ونقـــول لننظر هل في هذه الآية دليل لـــه أم دليل عليه وهو لا يكتفي بهذا الخطأ بل يتبعه بخطـــأ أفـــدح فـــيزعم أن العـــرش ليس شيئاً موجوداً وإنما هو مجرد الأمر من الله فيقول بعد إيراده الآية أنفة الذكر (أي كان أمره على العنصر المكون للوجود وهو الهيدروجين).

(ونقول لقد ذكر الله العرش بأن له وجوداً 1 - قال تعالى: {**وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَـــئِذٍ ثَمَانِـــيَةٌ**} (الحاقة). ويقول: (هذا الوجود منذ الانفجار الكوني الأول ينطبق عليه قانون التسبيح -صراع المتناقضات الداخلي(3)[222] في الشيء نفسه أي أن الذي لا يسبح من الأشياء لا وجود له)(4).[223] وصارت الأشياء تتغير من كينونة إلى صيرورة. كان – فصـــار- وســـتبقى كذلك إلى أن يحدث تغير مفاجئ في صيرورة المادة الكونية. وهكذا نفهـــم الآيـــة {**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ**}. (الأنبياء 104). فبداية هذا الكون كانت طفرة.

(فـــالخلق الأول بـــدأ بانفجـــار كوني هائل حيث قال : {**والفجر وليال عشر والشفع والوتـــر**} فـــنقول: ليس في هذا القسم ما يدل على معنى- الفجر- هو الانفجار إذ يدل عـــلى طلـــوع الفجر المعروف والله قد أقسم بالليل وبالضحى وبالشمس وبغير ذلك من مخلوقاته سبحانه وتعالى وأما الليالي العشر فالعبارة صريحة أنها عشر ليال والشفع ضد الوتر والوتـــر ضد الشفع كذلك و لم يذهب أحد إلى ما ذهبت القراءة المعاصرة إليه من تأويل للآيـــة بغير ما تتحمل وليس لدى القراءة المعاصرة دليل مادي يثبت صدق ما ذهبت إليه وليس لديها نص قرآني يوضح ذلك ويثبته ولست أدري هل أراد بقوله هذا أن الكون نشأ بغـــير خـــالق أم أنه كان هناك كون موجود فتغير في هذا الانفجار وهل كان هذا من تدبيـــر الخالق ام بسبب التغير في طبيعته كما يوضحه بقوله (بحيث نعتبر التغير الأول في الصيرورة المادية)

---

[222] يرى المؤلف أن التسبيح لله هو صراع التناقض داخل الأشياء.

[223] للمؤلف كلام طويل عن العرش.لا يحسن إيراده.

وتفسـير الليالي العشر (أن المادة مرت بعشر مراحل للتطور حتى أصبحت شفافة للضوء) يحتاج إلى دليل واف (2).

لقد رأينا فيما سبق أن المؤلف أخفق في تأويله الفجر وليال عشر والشفع والوتر وقال بما لم يقلـه أحد ممن يحتج بهم وإذا كان هذا الأمر فيما هو محسوس بل ومشاهد فكيف يقبل حديـثه عن الآخرة التي لم يشاهدها و لم يستند فيه إلى كتاب أو سنة. بل قال الله تعالى : **{قـل لا يعـلم من في السماوات و الأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون} {بـل ادّارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون}** (65 –66 النمل).

ويقول : (الانفجار الأول حيث يعتبر التغير الأول في الصيرورة المادية. أي من مادة ذات طبيعة غير معروفة هذه التغيرات سارية المفعول حتى تحدث طفرة مفاجئة (تغير مفاجئ في الصيرورة الكونية) طفرة ثانية (5)[224] .

## البعث والساعة :

**أولاً البعـث** : ويقول :(لقد أورد القرآن القانون الأول للجدل المادي للبرهان على البعث. لقد عبر القرآن عن الطفرة المفاجئة بعبارة **{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ}** (الزمر68). ونفخ في اللسان العربي أصل صحيح يدل على الانتفاخ والعلو...الخ. ولفظة الصور جاءت من-صـير-وهو أصل صحيح وتعني المآل والمرجع(5)[225] فالنفخ في الصور يعني التسارع في تغيير الصورة والمآل وهذا ما يسمى بالطفرة).

وقـال : (يوجد نوعان من التغير في الصيرورة وعبر عنهما بالنفخة الأولى للصور والنفخة الثانيـة).

---

[224] المصدر نفسه 236 ونقول: كيف تزعمون بأنكم أحطتم علماً ببداية الكون ولكنكم إذا لم تحيطوا علماً بما بين أيديكم فكيف تزعمون أنكم أحطتم علماً ببداية الكون. أليس هذا من الدجل والخرافة ؟.

[225] المصدر نفسه 236الصور ليس معنى دائماً هو جسم وآلة لا يعلمها إلا الله وقيل هو القرن المجوف .

**ثانـــيا : (الساعة والنفخة الأولى** لها مصطلح خاص هو الساعة لأن هلاك هذا الكون قـــائم فيها وهي حتمية تقتضيها بنية هذا الكون المادي الثنائي. وقد جاء من (سوع)(6).[226] وهـــو استمرار الشيء "1" ومضيه "2"- 1،2 – هما العنصران المتناقضان داخليا في الوجود المادي الحالي للكون أي أن يستمر على ما هو عليه أو ينتهي وانتهاؤه يكون عند الـــنفخة الأولى في الصـــور. فنقول جاءنا بعد سوع من الليل أو سواع أي بعد هدء منه وذلـــك أنـــه يمضي ويستمر فالساعة تدل على مضي واستمرار معا فالمستمر هو الوجود المادي والمضي هو انتهاء عمل قوانين المادة في هذا الكون ليحل محلها عمل قوانين جديدة في كون مادي آخر ومعنى الهدوء والمضي جاء في قوله تعالى: **{ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون}** (الروم55).

(ومـــنه نســـتنتج أن عذاب القبر في المفهوم السائد لا وجود له ففي المعنى الأول للساعة يقـــول: **{ويـــوم تقـــوم الساعة}**. وهو الانفجار المضي بعد الهدوء والمعنى التالي الهدوء والاستمرار لفترة زمنية في قوله: **{يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة}**.

وهكـــذا نفهم من الآيات **{ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا مـــن شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون}** (الزمر68). **{يأيها الناس اتقـــوا ربكـــم إن زلزلة الساعة شيء عظيم}** (الحج). **{إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكـــن أكـــثر الناس لا يؤمنون)** (غافر59). **{ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد)**. (الشورى18). **{ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون}** (الجاثية). **{يســـألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلـــت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمهـــا عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون}** (الأعراف187) جاءت الساعة بمعنى

---

[226] المصدر نفسه236.

المضـــي بقول {**أيان مرساها**} وجاءت بمعنى أن الساعة موجودة في طبيعة المادة الكونية (العنصـــران المتناقضان والمتصارعان المضي والاستمرار {**ثقلت في السموات والأرض**} ولبـــيان أنهـــا في تســـارع مفاجـــئ في تغـــيير الصيرورة جاء قوله {**لا تأتيكم إلا بغتة يســـألونك**}. ولبيان أن توقيتها لا يعلمه إلا الله جاء قوله {**قل إنما علمها عند الله**}. وقولـــه : {**إن اللـــه عنده علم الساعة**} وبقوله : {**لا يجليها لوقتها إلا هو**} وقوله : {**إليه يرد علم الساعة**}.

وقولـــه {**إن الساعة ءاتية أكاد أخفيها**} هنا أخفيها جاءت بمعنى أظهرها لأن فعل خفي في اللسان العربي من أفعال الأضداد) (6)[227] .

ونقول يا عجبا كيف يأتي معنى الإخفاء بمعنى الإلغاء

ونقول أن القارئ يكاد يحار هل المؤلف يقر بأن الساعة من أمر الله بسوقها أنى يشاء ولا يعلم بل لا يحدد نوعها إلا هو أم أنها تخضع لعنصري التناقض الداخليين – كما يقول : (في الوجود المادي الحالي للكون الذي إما أن يستمر على ما هو عليه أو ينتهي) ولا يشفع لـــه قوله (إنها حتمية تقتضيها بنية هذا الكون المادي الثنائي). أو قوله وإنهاؤه أي إنهاء هذا الكون لأن هذا الكون مخلوق بإرادة الله الذي يخلق ما يشاء قال تعالى:

{**لخلـــق الســـماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون**}.

يكـــون عـــند النفخة) وأما قوله أن الساعة من سوع في اللسان العربي...الخ. (كما تقدم فهـــذا خطأ فاحش) فالساعة ليست ساعة زمنية ولكنها أعظم من ذلك لما في كنهها من لشـــدة وما يترتب عليها من الذهول ومن الأهوال يقع في الخطأ مرة أخرى حينما يقول (ويجب أن نلاحظ أمرا هاما جدا وهو أن قيام الساعة لا يعني انتهاء حياة الشمس بشكل طبيعي أي انطفاءها حيث أن انطفاءها عبارة عن ظاهرة فلكية طبيعية ولا تحصل بغتة فإذا كان الحال كذلك فهذا يعني أن الحياة ستنتهي على الأرض قبل انطفاء الشمس بمدة طويلة

---

[227] المصدر نفسه237.

ولكـــن وصـــف القـــرآن للساعة يدل على أنه ستكون هناك حياة على الأرض كقوله : {لا تَأْتِـــيكُمْ إِلا بَغْتَةً} وقوله {يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ}والإنسان عند قيام الساعة يكون قد وصل إلى وضع من التطور والتقدم العلمي بحيث يظن نفسه أنه أصبح رباً متصرفاً في ظواهر الوجود وذلك في قوله تعالى: {إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْـــنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ} (الآية 24يونس) هنا نلاحظ مرة أخرى كيف ربط قانون التطور وتغير الصيرورة بقيام الساعة وأن علامة الساعة المباشرة هي وصول الإنسان إلى درجة من التطور يظن نفسه أصبح رباً(7)[228]

ونقول : رداً على زعمه أن قيام الساعة لا يعني انتهاء حياة الشمس بشكل طبيعي ...الخ. بأنه هو نفسه قال فيما سبق قريباً.

(1)- (والـــنفخة الأولى لهـــا مصطلح خاص هو الساعة وسميت الساعة لأن هلاك هذا الكون قائم فيها وهي حتمية ...الخ.

(2)- قولـــــه فيما يلي : (وصف القرآن الساعة وخراب الكون الحالي في أماكن كثيرة كقولـــه تعـــالى: {إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا(1) وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا(2) وَقَالَ الإِنسَـــانُ مَـــا لَهَـــا(3)} (الزلـــزلة 1-3 ). وقوله تعالى : {يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ(6) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَـــةُ(7)} النازعات.

وقولـــه تعالى: {فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ(8) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (9) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (10) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ(11)لأيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ(12) لِيَوْمِ الْفَصْلِ(13)}

(المرسلات8-13).

(والفصـــل هـــو فصل قانون صراع المتناقضات عن الوجود المادي). وتعريفه للفصل بأنه فصـــل صـــراع المتناقضات من الوجود المادي غير صحيح فالله تعالى قال بعد الآيات التي أوردها المؤلف مباشرة وما أدراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين فهو يوم يقضى فيه

---

[228]المصدر نفسه 238.

بين العباد ويحاسبون وقال تعالى {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا(17) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا(18) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا(19) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا(20) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا} (الآيات من 17-21 سورة النبأ) ثم أتبعها بقوله تعالى {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا} والآيات بعدها من (13-39).

فيوم الفصل ليس فصل قوانين وإنما هو الفصل للخلائق كلها. وهنا يأتي الاستدلال بقوله تعالى {يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} (إبراهيم 48).

{وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ(49) سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ(50) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ(51)} (إبراهيم 49-50-51).

## آراؤه في الجنة والنار:

يقول (الجنة والنار لم يوجدا بعد وستظهران على أنقاض هذا الكون) ويقول: (هناك قول شائع جداً وبنفس الوقت خاطئ جداً بأن الجنة والنار (أي جنة المتقين، ونار الكافرين) موجودتان الآن. وأنهما تنتظران يوم البعث وهذا غير صحيح طبعا للنص القرآني(8). حيث أن الجنة والنار تتشكلان على أنقاض هذا الكون بعد النفخة الأولى وحتى يحين وقت النفخة الثانية التي سيحصل فيها البعث تكون الجنة والنار جاهزتين ولكن يجب علينا أن نعلم أن الوجود في الكون الجديد هو وجود مادي سيتشكل على أنقاض هذا الوجود بقوانين جديدة للمادة يختفي فيها القانون الأول صراع التناقضات الداخلي في الشيء الواحد – التسبيح – فينتهي التطور لذا سمي الآخرة دار القرار {يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ} (غافر 39).

وذلك بانتهاء قانون كل شيء هالك ليحل محله قانون –كل شيء خالد– الذي عبر عنه بمصطلح الخلود ويبقى قانون الأزواج التأثير والتأثر المتبادل بين الأشياء ولكنه نمط آخر

ففي الجنة أزواج {هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ} وفي النار أزواج (وآخر من شكله أزواج )(ص58). وفي الجنة طعام وجماع وأنهار وهكذا دواليك – ولكنها ذات كيفية أخرى).

وذهب يعرف الجنة جنة الدنيا وجنة الآخرة {وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ}. أي أن السماوات والأرض الجديدة هي المكان الذي ستعرض فيه الجنة أو هي عين عرض الجنة وكذلك النار بقوله: {وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا} وهنا يجب ألا نفهم بأن (عرض السموات والأرض) على أساس أن العرض هو البعد الأصغر والطول هو البعد الأكبر فتصبح الآية لا معنى لها وغير مترابطة حيث أن أبعاد الوجود ليست الطول والعرض فلا نقول طول الكون وعرض الكون)(9)[229] .

ونحن نقول : ثم ذهب يؤول الآيات التي سبق ذكرها بما يحلو له وغير متتبع بذلك أحداً وغير ناظر إلى ما يخالف تأويله من الآيات إذ توجد آيات تدل على أن الجنة والنار موجودتان منذ خلق الله السماوات والأرض قال تعالى : عن سدرة المنتهى {عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى} (النجم15). فهذه الآية تقرر أن الجنة موجودة في أعلى الكون وقوله تعالى: {وَيَا ءَادَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ} (الأعراف19). {فَقُلْنَا يَاآدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى} (طه117).

فالجنة هنا معرفة فلم يقل جنتك – كما قال لأحد المتحاورين {وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ} (الكهف 35). ودليل آخر على علو الجنة وأنها موجودة قوله تعالى:

{قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ} (طه الآية 123).

والآيات والأحاديث على وجود النار والجنة في كوننا الحالي كثيرة ولا داعي لإبرازها كلها.

ونجد أن المؤلف الذي يزعم أن عرض الجنة إنما يراد به استعراضها يوم القيامة وليس العرض الذي هو أحد البعدين لما ساق الآية التي تخالف رأيه هذا وهي قوله تعالى:

---

[229] المصدر نفسه243.

{سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ} (الآية 21الحديد).

قال (وهنا استعمل كاف التشبيه والسماء بشكل فرد للدلالة على الجنس لا على العدد أي أننا حين ننظر فنرى السماء والأرض كجنس فهنا يشرح طريقة العرض (جنس العرض) أي أن العرض هو عرض مادي عرض السماء والأرض الحاليتين)(10).[230]

فانظر كيف اعترف هنا بأن العرض مادي كعرض السماء والأرض وهذه الآية لا تتعارض مع الآية {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} (آل عمران 133) والتي قال عنها (وهنا يجب أن نفهم قوله عرضها السماوات والأرض. فلفظة عرضها جاءت من – عرض – ومنها جاء العرض والمعرض الأعراض فنقول هنا عرض عسكري فعرض الشيء هو إظهاره بشكل جلي، وهكذا نفهم {جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ} أي أن السماوات والأرض الجديدة هي المكان الذي ستعرض فيه الجنة أو هي عين عرض الجنة وكذلك النار بقوله {وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا} (وهنا يجب ألا نفهم بأن (عرض السماوات والأرض) على أساس أن العرض هو البعد الأصغر والطول هو البعد الأكبر فتصبح الآية لا معنى لها وغير مترابطة حيث أن أبعاد الوجود ليست الطول والعرض فلا نقول طول الكون وعرضه(11).[231]

ولكن المؤلف مخطئ باستدلاله على أن هناك فرقاً بين {جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ} و (وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ) فإن الاستعارة في الآية {عرضها السماوات والأرض} لا تخالف التشبيه في الآية (كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ) كذلك فإن السماء إذا جاءت في المصحف غير موصوفة مثال الوصف قول (السماء الدنيا- أو السماء السابعة فإذا لم توصف أو تضاف فإنها تعني بالتأكيد السماوات وقد وردت في القرآن بهذا المعنى

---

230. المصدر نفسه243.

231. انظر 243المصدر نفسه.

في عـــدة مواضع قال تعالى {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} (الذاريات الآية 47) وقـــال تعـــالى{فَـــوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ} (الذاريات الآية 23) وقال تعالى {وَفِـــي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} (الذاريات الآية22) وهذه الآية فيها دليل أيضا عـــلى أن الجنة موجودة الآن في السماء ولهذا قوله (السماء للجنس) لا دليل عليه وإنما هو تعسف اضطر إليه المؤلف وهو حجة عليه لا له. والسماوات السبع لا تتفاوت في العرض بـــل هي متطابقة قال تعالى {الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ} (الملك الآية 3).

و لكن المؤلف يرى أن جنة آدم غير جنة المتقين التي وعد المتقون بها في الآخرة فيقول :

(و قد شرحت في مكان آخر جنة آدم وهي عبارة عن غابات استوائية فيها أشجار مثمرة و متوفر فيها الطعام و الماء و الظل) (=)[232]

## التسبيح في القرآن ورأي المؤلف فيه :

### التمهيد :

يورد المؤلف الآيات التالية :

{وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} (الآية 44 الإسراء {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِـــي الأَرْضِ} (الحشر 1، الصف 1) وقوله تعالى {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} (الجمعة 1، التغابن1) ثم يعرف التسبيح فيقول ( والتسبيح جاءت من "سبح" )

### تعريفه للتسبيح:

(وهـــو الحـــركة المســـتمرة كالعوم في الماء كقوله عن حركة كل شيء {كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْـــبَحُونَ} (الأنبياء 33) هذا الصراع يؤدي إلى التغير في الأشياء و ينتج عنه مقولة إن

---

[232] المصدر نفسه 306 .

الموت حق والله حي باق وهكذا نفهم معنى الآية {وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ لا إِلَهَ إِلا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ} (الآية 88 القصص) وسيبقى هذا القانون سائداً حتى يهلك هذا الكون المادي " عند النفخة الأولى في الصور " الساعة " لينشأ على أنقاضه كون آخر جديد مؤلف من مادة ذات خصائص جديدة عند النفخة الثانية في الصور التي تؤدي إلى البعث وفي ضوء ذلك تتضح مقولة البعث حق وقولنا في الصلاة (سبحان الله) إقرار العاقل بهذا القانون حيث ورد التسبيح في القرآن في حالتين حالة تسبيح الوجود وحالة تسبيح العاقل أي حالة إقرار العاقل بقانون التطور وقد وردت الحالتان في القصص عن يونس {وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ(139) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ(140) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ(141) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ(142) فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ(143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(144)}(الصافات 139- 144) هنا وضح بأن قانون تسبيح الوجود عام ينطبق على يونس والحوت كانطباقه على بقية الأشياء (-)[233] ولو لم ينطبق عليه هذا القانون لانتفت ظاهرة الموت بالنسبة له وبقي إلى يوم يبعثون وفي تسبيح العاقل عن يونس قال {وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} (الأنبياء 87 ).

ونحن نقول إن قول المؤلف والتسبيح جاءت من "سَبَحَ" بالتخفيف لا ينطبق على ما أورده من الآيات السابقة إلا على آية واحدة هي قوله تعالى {كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} (الآية 33 الأنبياء) فهذه الآية السابقة تدل على الحركة باستمرار كأنها تعوم وأما التسبيح في الآيات الأخر فإنه يدل على تنزيه الله عن النقائض والعيوب وعن ما ينسب إليه في الآيات من اتخاذ الولد وكل وصف لا يليق به سبحانه. ولا يدل على غير ذلك وهو إنما

[233] . 223

جـــاء من " سَبَّحَ " بتشديد الباء لا بتخفيفها ونحن بهذا التعقيب لا نظلم المؤلف أو نعتدي عليه ها هو ذا يقول :

(وفي كـــل آيات الكتاب وردت " سبحانك " بهذا المفهوم أي عندما يقارن الله مع غيره مـــن الأشياء كقوله {قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ} (يونس 68) وقوله {وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَـــنَاتِ سُبْحَانَهُ} (النحل 57) وقوله {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ} (الأنعام 100) وقوله {مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ} (مريم 35) وقوله {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُـــونَ عُلُـــوًّا كَبِيرًا} (الإسراء43) وقوله {لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} (الزمر4) .

ونحـــن نقول: ليس في هذه الآيات دليل على الإقرار بقانون التطور بتغير الأشياء وفي كل هذه الآيات يلزم الوقوف على ما قبل "سبحانه" لأن "سبحانه" إنما هي كلام الله لا كلام غيره فالله هنا ينـــزه نفسه عن جميع ما نسب إليه في هذه الآيات إنما يدل على أن التسبيح لـــيس حـــركة كقول الله عن زكريا {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا} (مريم 11).

ثم يقـــول المؤلف : أما القول بأن (سبحان الله) هو تنـــزيه الله عن النقائص والعيوب فهو قـــول قد مضى زمانه إذ أن النقائض والعيوب تحمل معنىً معرفياً ومعنىً اجتماعياً إنسانياً فهـــي تحمـــل مفهـــوم النسبية حيث تتغير هذه المفاهيم من مكان لآخر ومن زمن لآخر) ونقـــول أن المؤلـــف قد أخطأ في هذا القول وليس الأمر ما ذكر سابقاً وأنه رأي جمهور العلماء.

## إخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي :

قال المؤلف في حديثه عن صراع المتناقضات (إننا نناقش هذا القانون من دون تدخل الإنسان وقد استثنت الآية الكريمة {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ} قضاء الإنسان أي تدخله حين وضع إخراج الحي من الميت في صيغة فعل مضارع {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ} ووضع إخراج الميت من الحي في صيغة اسم فاعل حيث قال {وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ} وهنا استثنى قضاء الإنسان حيث أن إخراج الحي من الميت هو قانون موضوعي "من الله" أما إخراج الميت من الحي فالله أخرج الموت إخراجاً وهنا أعطى مجالاً لتدخل الإنسان فالإنسان يتدخل بأن يهلك حبة القمح بالطحن أو لا يهلكها ولولا أن الله أخرج الموت إخراجاً لما كان هناك قضاء "تدخل" إنساني في القتل ولو أنه قال (وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ) وقتل إنسان إنساناً آخر لقلنا أن الله قتله ولسقطت نظرية العقوبات كاملة. فنقول الله يحيي ويميت ولا نقول الله يحيي ويقتل والإنسان يقضي ويتدخل بالقتل أولا يقضي (=)[234] .

ونحن نقول : لقد رد الله بالقرآن على هذا الزعم من المؤلف فاستعمل يحيي مكان محيي أي استعمل القرآن الفعل المضارع يحيي بدلاً من اسم الفاعل محيي في عدة آيات لأن اسم الفاعل يفيد الاستمرار قال تعالى {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ} (الآية 19 الروم) وإذا كان هذا المؤلف قد تجرّأ وأوّل هذه الآية فجعلها في الآخرة حيث يقول أما البعث فقال {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ}وذلك لتبيان أن قضاء الإنسان (أي تدخله) سقط نهائياً في البعث واليوم الآخر).

---

[234] المصدر نفسه 225.

ونقول : إن استعمال الآية الكريمة على إحياء الأرض بعد موتها دليل قاطع على أن كامل ما اشتملت عليه يحدث في الحياة الدنيا ولما وجد المؤلف أن الآية، قال تعالى :

{يُخْـرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ} وبعض الآية قال تعالى {يُخْرِجُ الْحَـيَّ مِـنَ الْمَيِّـتِ وَيُخْـرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ} التي وردتا في سورة يونس وسورة آل عمران لا تسعفانه في تثبيت ما زعم (عمد إلى جعلهما مخالفتين لآية الروم 19) وقال أن هـاتين الآيتين من جدل الأضداد في الظواهر وهي ظواهر متكافئة أي لا تعمل (باتجاه واحد) وقانونهما واحد وجدل الأضداد إنما يختص في صدر آية آل عمران.

و نحن نقول أن كلاً من الحالتين لا تناقض بينهما وكلاهما من اختصاص الله سبحانه وهو الذي يقدّر القتل وهو الذي علم الإنسان وهيّأ له أسباب إخراج الحي من الميت بالحرث والسقيا وغير ذلـك قال تعالى {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ(63)ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ(64)} (الواقعة) وكذلـك تجميع البيض وتربية الدواجن والطيور وتأليف العناصر وتناسبها ولو شاء الله لم يكن شيء من ذلك قال تعالى {لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا} (الواقعة).

## الكائنات الحية البشرية وآدم :

قـال : (ومـن هنا نفهم أن الكائنات الحية قد ظهر بعضها من بعض وخضعت لقانون التطور والارتقاء) وقال (وإن من الخطأ الفادح أن نظن أن الله خلق الأفاعي وحدها ونفخ فـيها الـروح وخلق القطط وحدها ونفخ فيها الروح وخلق الأسماك وحدها ونفخ فيها الـروح ونؤكد هنا أننا نفهم الروح على أنها ليست سر الحياة وإنما هي سر الأنسنة التي نقصـد بهـا تحول البشر الذي هو من الفصيلة الحيوانية إلى إنسان)(0)[235] وقال (عندما

[235] المصدر نفسه 227 .

أصبح البشر جاهزاً من الناحية الفيزيولوجية لعملية نفخة الروح – الأنسنة – وذلك بانتصابه على قدميه وتحرير اليدين وبوجود جهاز صوتي قادر على إصدار النغمات المختلفة وللدلالة على أنه أصبح جاهزاً قال تعالى {**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ**} (البقرة 30) نلاحظ في هذا الآية قوله {**إِنِّي جَاعِلٌ**} والجعل هو عملية التغيير في الصيرورة كقوله لإبراهيم {**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**} إذ لم يكن إبراهيم إماماً للناس فأصبح إماماً لهم واستعمال اسم الفاعل في قوله (إِنِّي جَاعِلٌ) فيه دلالة على استمرار العملية كقوله {**إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ**} (ص71) ففي مراحل الخلق المختلفة استعمل (إني خالق) فعندما قال إني جاعل للدلالة على وجود البشر الذي تمت تسويته وأصبح جاهزاً لتغير في الصيرورة ليصبح خليفة الله في الأرض أي لم يكن خليفة فأصبح خليفة ولكنه موجود مادياً (11).

ونحن نقول إن المؤلف يحاول أن يثبت ما يدعيه من أن آدم كان بشراً يعيش مع البهائم وكان البشر يمشي على أربع كسائر الحيوانات ولكنه ارتقى إلى أن حرر يديه فأصبح يمشي على رجلين فقط ولما أصبح على هذه الحالة صار جاهزاً لأن تنفخ فيه الروح وهذا يخالف قول الله {**إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ(71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ(72)**} (الأية71،72) فقوله تعالى {**إِنِّي خَالِقٌ**} أي لم أخلقه بعد وقوله {**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ**} أي جعلته بشراً : فهو لم يسوَّ بعد {**وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي**} أي بعد التسوية، {**فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**} فامتثل الملائكة أمر ربهم وانتظروا حتى سوي هذا البشر ونفخت فيه الروح فتحرك بعد السكون فسجدوا {**فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ(30) إِلا إِبْلِيسَ**} فهذه الآية تدل على أن آدم لم يكن

مخلوقـــاً جاهـــزاً كما أشار المؤلف إلى ذلك. فعملية الخلق ليست التعديل وإنما هي إيجاد الشيء من العدم.

وأمـــا قـــول المؤلف (فعندما قال الله {إِنِّي جَاعِلٌ} للدلالة على وجود البشر الذي تمت تســـويته وأصـــبح جاهـــزاً لتغير في الصيرورة ليصبح خليفة الله في الأرض أي لم يكن خليفة فأصبح ولكنه موجود مادياً لذا سألته الملائكة {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ}

وقـــال المؤلـــف (لـــنقارن هـــذا القول مع قوله {إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ} فعندما قال {إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا} لم يذكر احتجاج الملائكة لأنه لم يستو بعد و لم يكن الإنسان موجوداً في شـــكله الجاهـــز لـــنفخة الـــروح (+)[236] فإن هذا التعليل غير صحيح لأن قول الله {خَـــالِقٌ بَشَـــرًا} تدل على الإبتداع و الإيجاد والتسوية مصاحبة لذلك ثم جاءت نفخة الـــروح ثم قال المؤلف (وهنا نلاحظ الخطأ في القول بأنه {يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ} تعني أنه كان هناك مخلوقات عاقلة قبل آدم فسدت وسفكت الدماء فأهلكها الله أو علمت الملائكة أن هذا المخلوق سيفسد في الأرض ويسفك الدماء فالقولان فيهما نظر والصحيح عندنا أن الملائكة قالت ما شهدت فعلاً عند قوله {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً}.

ونحن نقول لا علم لنا فيما إذا كان قبل آدم مخلوقات عاقلة أو غير عاقلة حيث لم يرد في القـــرآن ما يفيد الظن أو اليقين ونحن لا يهمنا تعلق الكاتب بآراء (آرثر كيت) عن تعمير الإنسان الحديث للأرض منذ أزمان قديمة جداً وأنه أي الإنسان تدرج في التطور والتحول إلى الصورة البشرية وأنه أي الإنسان منحدر من أسلافه من الكائنات الحية المشابهة للقرود ولا نظـــرية داروي ـــن في النشوء والارتقاء ووصفه لداروين بأنه وأنه ولكن الشيء المهم والخطير أيضاً (أن يدعي المؤلف أن داروين خير من أول آيات الخلق وفق مراد الله.

---

[236] المصدر نفسه 287.

وآدم عـــند المؤلف اسم جنس قال (وهنا أيضاً يجب أن نفهم أن آدم ليس شخصاً واحداً وإنمـــا هـــو جنس نقول عنه الجنس الآدمي) ويقال له آدم أما قوله آدم فقد جاء هنا اسم جـــنس للدلالـــة على أن البشر أصبح متكيفاً متلائماً بوجود جهاز صوتي وبانتصابه على قدمـــيه ومـــتلائماً لعملـــية (الأنسنة)[237] وقال (هذه المرحلة هي مرحلة ما قبل التقليد والمحاكـــاة أي في مـــرحلة آدم الأول وفيها ظهر وعي الشخص الثالث هذه المرحلة هي مـــرحلة مـــا قبل الكلام الإنساني وهي التمهيد الضروري للمرحلة التي تليها وهي مرحلة بداية الكلام الإنساني القائم على التقطيع بفعل الأمر أي مرحلة آدم الثاني.

المرحلة الثانية مرحلة آدم الثاني. مرحلة فعل الأمر وقد جاءت في قوله تعالى :

{قَالَ يَاآدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا} والنبأ جاء من النبأة وهي الصوت ومنه سمي النبأ لأنه ينتقل من شخص لآخر كما أن الصوت ينتقل من مكان إلى آخر وقوله {بِأَسْمَائِهِمْ} أي أن واسطة النبأ هو التميز الصوتي لذا استعمل حرف الجر الياء والباء فيها الواسطة أي أن - النـــبأ – الصوت – هو الدلالة على الاسم فربط بين الصوت والاسم وبالتالي الشيء والســـمة الصوتية للشيء وهذه المرحلة ظهر فيها التقطيع الصوتي بواسطة فعل الأمر فمثلاً لفظة الطلب للشخص الثاني بواسطة التقطيع الإداري.

تكرار جرجر – فعل الأمر – جرجر .

تكرار – رف رف فعل الأمر رف رف.

(في هاتين المرحلتين ترى الإدراك وهي مرحلة الشيء المشخص وصورة الشيء عن طريق حاستي السمع والبصر واسم الشيء.

---

[237] المصدر نفسه 304 .

ونحن نقول :

فهل يكون هذا الملحد داروين أعلم من كافة علماء المسلمين ومفسريهم بمراد الله في كتابه علاوة على أنه لا يفهم لغة القرآن.

ثم يقـــرر المؤلف حقيقة هي حجة عليه لا له إذ يقول (وقد قلنا إن الخلق هو التقدير قبل التنفـــيذ) — وهـــنا نعترض نحن فنقول أن الخلق هو الإيجاد الكامل بهيئته — والحجة عليه قوله لذا فعندما قال للملائكة {إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا} فهذا يعني أن البشر لم يظهر بعد (وهذا مـــا ذهـــب إلـــيه آنفـــاً مـــن أن البشر موجودون قبل خلق آدم) قال (لذا اتبعها بقوله {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ} ثم أتبعها بقوله {وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي}.

وعـــلى الـــرغم من اعتراف المؤلف هنا بالحقيقة الكاملة فإنه يعتمد الخروج عنها كعادته فيقول (وبين الخلق والتسوية توجد الأداة "إذا" وهي ظرف لما يستقبل من الزمان لذا قال:

{هُـــوَ الَّـــذِي خَلَقَكُـــمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ} (الأنعام الآية 2).

ونقول إنه لا يشترط لوقوع الفعل بعد إذا زمن طويل فقد يكون طويلاً وقد يكون قصيراً ومـــا ساقه المؤلف بعد ذلك (ثم استعمل أداتين معاً وهما ( ثم و إذا ) في سياقه (آية الروم 20) إلى قوله غير متوحش (-) "اجتماعي" ليس فيه دليل على قوله (وقد بين أن الإنتشار في الأرض حصـــل في مـــرحلة البشر قبل نفخة الروح وأن البشر كان منتشراً قبل مرحلة الأنسنة ...الخ (~)[238] .

[238] انظر المصدر نفسه 281 .

ويقول :

(وقـــد أجمـــل خلـــق الإنســـان في بداية التنـــزيل في قوله {خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ} (العلـــق 2) ثم يفســـر العلق لغوياً على أنه (علق به وعلقه تشبه به وهو أن يناط الشيء بالشيء . وأحد معانيه – الدم الجامد)

ثم يقول :

(لقـــد فهـــم المفســـرون العلق على أنه الدم الجامد وهو تأويل لا ينطبق تمام التطابق مع الحقيقة) إلى أن قال (ثم لنلاحظ أن قولـــه) :

{خَلَـــقَ الإِنْسَـــانَ مِـــنْ عَلَقٍ}قد جاءت في بداية الوحي للتنويه بأن الوجود المادي هو مجموعة كبيرة من العلاقات المتداخلة بعضها ببعض ومن هذه العلاقات لا من خارجها تم خلق الإنسان وذلك للدلالة على أن الوجود المادي خارج الوعي الإنساني هو مجموعة من العلاقات(=)[239] .

---

[239] انظر المصدر نفسه 282 .

## خـــاتمة

**أولاً** : إنـــي بعـــد مـــا انهمكـــت في قـــراءة كتاب ( الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ) للدكـــتور المهندس محمد شحرور طبعة دار الأهالي بدمشق بل عندما شرعت بالرد عليه وجـــدت من أكثر الأخوة الذين أخبرتهم بذلك معارضة بحجة أن الرد على أي مؤلف أو منشـــور سيكون بمثابة إشهار له ودعوة النـــاس إلى قراءته ومن ثم تنتشر أفكاره وتكون النتـــيجة عكســـية وكـــدت أن أتوقف لولا أنني سمعت بنشر مقالتين في مجلة المعرفة التي تصـــدرها وزارة الـــثقافة في دمشق ضمنتها الرد على الكتاب وأن هناك ردوداً أعدت. بعضـــها نـــزل إلى الأسواق وبعضها في الطريق وبحثت عن هذه الردود فوجدت كتابين لباحثين في اللغة العربية وقد تضمن ردهما في أغلبه (النواحي اللغوية التي وردت في الكتاب أحدهما كتاب " بيضة الديك " ليوسف الصيداوي والثاني للدكتورة نشأت ظبيان وعنوانه ذاك رد وخروجهما عن مواضيع اللغة قليل.

ومـــا دام الأمر قد أخذ بالانتشار فلماذا لا أسير في إعداد ردي على الرغم من أنني أعرف أن دلوي ستجيء بحمأة وقليل ماء.

**ثانياً** : يجب على الأمة الإسلامية وخاصة علماءها وقادتها أن يتنبهوا زيادة عما كانوا عليه فيهـــتموا اهتماماً شديداً بأن أعداءهم قد فتحوا عليهم باباً كبيراً يضاف إلى الأبواب التي كانـــت مشرعة من الأعداء ومنهم بعض أبناء المسلمين فبعد أن جربوا المجازفة بالسيوف والعـــتاد وصـــرف المسلمين عن لغتهم لغة القرآن ودس الأفكار من الخارج ومن الداخل وإعلان الحرب الاقتصادية لجأوا الآن إلى تأويل القرآن تأويلاً سموه معاصراً فهم لم يكتفوا بـــتأويل الرسول صلى الله عليه وسلم بل زعموا أنه لا يعرف التأويل كله وأنه قد اجتهد فـــيما يناسب عصره القرن السابع للميلاد وبيئته وظروفه في شبه الجزيرة العربية وكذلك

الصحابة الذين مدحهم المؤلف (بأنهم قاموا بما بحل مشاكلهم في زمانهم ومكانهم وأما نحن فـــلا يسعنا اتباعهم، وأما السنة وأما أقوال المفسرين والفقهاء فلا تلزم لأنهم رجال ونحن رجال).

**ثالـــثاً** : إن على علماء الأمة وفقهائها أن يقابلوا هذا الطرح وتلك الدعوى التي تدعو إلى إيجاد نظرية معاصرة إسلامية.

وإني أخشـــى إذا تقاعس علماء المسلمين عن إيجاد صياغة جديدة بأسلوب مبسط جذاب يجعـــل ناشـــئة اليوم ومن يأتي بعدهم يقبلون عليها وينهلون منها بيسر وسهولة ينجذبون إلـــيها ويهجرون ما سيحدثه أعداء الإسلام فإن كتاب ( الكتاب والقرآن ) الذي يُشك بـــأن محمـــد شـــحرور وزميله جعفر دك الباب هما المؤلفان له ويؤكد البعض أنهما مجرد صائغين له، حيث أن التعابيـــر فيه ترتفع وتهبط لغوياً.

إن هـــذا المؤلـــف إن أحـــرز رواجاً فستأتي مؤلفات أقوى منه في هذا الشأن فعلى الأمة الإســـلامية بعـــلمائها ومفكريها والمخلصين لها أن يبادروا باقتحام الساحة وينشروا النور والهـــدى عـــلى ضوء ما وصلهم عن صدر هذه الأمة والعصور التي تلته والتي من خلالها حفـــظ الإســـلام من كل دخيل وأتى بكل خير جزيل من خلال المناهج التي اتبعها أهل الحديـــث وأهـــل السير وجمعها الفقهاء وبوبوها ومن خلال التفاسير التي لم تشبها شائبة وكمـــا هو معلوم فإن ما حدث بعد ذلك وما يحدث الآن من مستجدات فإن لها أصولاً يرجع إليها وإذا لم يجتهد أولوا العلم والمعرفة بالإسلام فسيلج الباب غيرهم.

**رابعاً** : هاهما الشحرور، ودك الباب قد دكا الباب ففي كتاب – الكتاب والقرآن قراءة معاصرة – الشيء الكبير مما يدعو إلى العولمة مثل ما يلي :

أ- إن القـــرآن يحـــدد عـــورة المرأة بالثديين – وما تحتهما – الإبطين – السوءة – الإليتين – وهذا ما يفعله نساء الغرب اليوم أما إذا غطت المرأة وجهها فإنها بهذا تكون قد عصـــت الرسول صلى الله عليه وسلم وإذا خرجت المرأة عارية لا يقال لها حرام بل يقال لها هذا عيب.

وأن السبعة رجال الذين ذكرهم الله في الآية (31 النور) يحل لهم أن يروا من النساء اللاتي يحرمن عليهن جميع أجسادهن مثل ما يراه الزوج تماماً.

ب- يجب اجتناب الرجس من الأوثان وليس الأوثان كلها (وهو ما تدعوا إليه العولمة فمنذ شهور قامت الدنيا وقعدت وتعالت أصوات الدول بالاحتجاج والاستنكار لما قامت أفغانستان بإزالة جميع التماثيل من بلادها).

ت- ألـــف شـــهر في آيـــة – لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ – تقول القراءة المعاصرة (ولك أن تقول أن الشهر يعني الإشهار فهذه الليلة خير من إشهار ألف عقار).

ث- أن الـــنبي محمـــداً صلى الله عليه وسلم اجتهد في تحويل النص القرآني المطلق إلى محتوى نسبي فاجتهد في تقرير ما يصلح لزمانه ومكانه ففتح لنا باب الاجتهاد وليكون لنا أســـوة حســـنة إذا اجـــتهدنا فأخذنا بتحويل النص إلى ما يناسب عصرنا القرن الحادي والعشرين.

ج- إن قريشاً لما قالت {**لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**} أنهم يقصـــدون بالقريتين فارس والروم لأنهما متقدمتان على العرب بالحضارة وإنني – والقول لصاحب القراءة المعاصرة – أميل إلى هذا.

ح- وغـــير ذلك من النظريات القديمة والحديثة في الفلسفة والمعرفة والكون والإنسان الـــتي ينتمي أهلها إلى الماركسية وغيرها والتي سبق إلى طرحها غير المؤلف على الرغم من أنـــه يدعـــي أنـــه مؤمـــن مسلم عربي ويزعم أنه معاصر وينبذ كل قديم وخاصة التراث الإســـلامي – من حديث وتفسير وفقه وتاريخ بل ويقترح ألاّ تدرس هذه المؤلفات لعدم صلاحيتها لجيل القرن الحادي والعشرين الميلادي.

# فهرس


المقدمـــة ..... 7

**الباب الأول** التراث الإسلامي وموقف المؤلف منه ..... 13

دعوته لإيجاد نظرية إسلامية معاصرة ..... 16

دعوته لنبذ المؤلفات الإسلامية ..... 18

دعوته للتزود من العلوم الأخرى والفلسفة ..... 22

موقف المؤلف من القرآن وإثباته أن التفسيرات من التراث ..... 23

انتقاص المؤلف لعلماء المسلمين ..... 27

**الباب الثاني** آراؤه في السنة وزعمه أن النبي ﷺ قام بتحويل المطلق إلى نسبي .... 31

يتساءل المؤلف هل السنة وحي أم اجتهاد ..... 32

زعم المؤلف بأن الحديث ليس من أسس التشريع ..... 37

تعريفه للسنة ..... 37

تقسيمه للسنة إلى قسمين ..... 38

زعم المؤلف أن هناك أحاديث مرحلية ..... 42

جمع الحديث وتدوينه وفهمه ..... 45
زعم المؤلف أن الاقتداء بالرسول هو تحويل المطلق إلى نسبي ..... 48
**الباب الثالث** تقسيمه المصحف إلى كتاب – قرآن – ذكر – فرقان ..... 51
مخالفة المؤلف للجمهور في معنى التصديق بين يديه ..... 58
تعريف المؤلف للقرآن لغوياً ..... 62
اعتماد المؤلف أنّ الكتاب غير القرآن ..... 63
الذكر عند المؤلف مجرد أصوات ..... 69
الفرقان عند المؤلف غير القرآن ..... 71
**الباب الرابع** الإنزال والتنـــزيل والفرق بينهما ..... 79
موافقة المؤلف للجمهور في تعريف الإنزال والتنـــزيل ..... 81
إنكار المؤلف أسباب النـــزول للقراء ..... 83
أم الكتاب ..... 91
تفصيل الكتاب ..... 97
الفرقان ..... 107
ميله إلى القول بخلق القرآن ..... 110

**الباب الخامس** آراؤه في عورة المرأة وزينتها ..... 115

تحديده عورة المرأة ..... 118

آراؤه في المحارم ..... 129

**الباب السادس** الفقه ورأي المؤلف ..... 139

نقده للمفسرين والفقهاء ..... 142

المذاهب عند المؤلف خمسة ..... 144

تحويل المطلق إلى نسبي ..... 148

من هم الراسخون في العلم ..... 151

**الباب السابع** جدل الكون والإنسان ..... 155

آراؤه في الجنة والنار ..... 161

التسبيح في القرآن ورأي المؤلف فيه ..... 164

إخراج الحي من الميت ..... 167

الكائنات الحية البشرية وآدم ..... 168

خاتمة ..... 174

فهرس ..... 178

# تصحيـــح الأخطـاء في الهامش

١- في ص١٥: الهامش لم يذكر رقم الصفحة وهي (٣٠).

٢- في ص١٧: في الهامش الرابع( ٥٨٠) والصح (٥٨٦).

٣- في ص١٩: الهامش الثاني (٣٢) والصح (٣٤).

٤- في ص٢٠: في الهامش الثاني(٣٢) والصح (٣٤) وصحة الهامش ٣ هي (٣٤).

٥- في ص٢٥: في الهامش أهمل رقم الصفحة وهي (٣٦).

٦- في ص٣٥: في الهامش الأول صفحة ٥٤٨ والصح (٥٤٧)

٧- في ص٣٩: في الهامش ٥٤٩ والصح (٥٥٠)

٨- في ص٤٩: في الهامش ٥٧٢ والصح (٥٦٧)

٩- في ص٥٠: في الهامش ٥٧٢ والصح (٥٦٧)

١٠- في ص٥٦: في الهامش ٦٨ والصح (٨٦)

١١- في ص٦٧: في الهامش الأول يجب أن يكون في الصفحة ٦٦ وتثبت (-) في هـــامش الصفحة ٦٦.

١٢- في ص٧٤: في الهامش ص٦٥ والصح ص ٦٧.

١٣- في ص٧٥: الهامش ص٤٩ والصح ص٤٩٢ وبعدها هامش (-) بيضة الديك ٣٦.

١٤- في ص٨٢: الهامش الأول الذي رقمه ١٢٣ لم يثبت به رقم الصفحـــة وهـــي (١٥٣) المصدر نفسه.

١٥- في ص٩٤: الهامش الأول المصدر نفسه( ٤٢) والصح ١٥٩.

١٦- في ص١٠٥: الهامش الثاني أهمل رقمه وهو ٢١٥

١٧- في ص١٠٦: بالهامش انظر ص٣٣ من كتابنا والصح انظر ص٥٦ من كتابنا.

١٨- في ص١٠٧: الهامش الأول ٥٥، ٦٥ والصح ٥٥، ٥٦.

١٩- في ص١٤٠: الهامش الأول ص٥٧٥ والصح (٥٧٧)

٢٠- في ص١٤٤: الهامش الأول ص٥٨ والصح (٥٨٠)

٢١- في ص١٥٠: الهامش المصدر ١٦ والصح ١٩٢.

٢٢- في ص١٦٢: الهامش ٢٤٣ والصح ٢٤٤.

٢٣-في ص١٦٣: الهامش الأول ٢٤٣ والصح ٢٤٤ والهامش الثاني ٢٤٣ والصح ٢٤٤.

٢٤- في ص١٦٤: المصدر نفسه ٣٠٤ والصح ٢٤٢.

# تصحيح الأخطاء في المتن

١- في الصفحة ١٦ يوجد حرف (ث) في الجانب وكذلك حرف (ج) ويجب حذفهما.

٢- في الصفحة ١٧ نكتب كلمة ( بل) في أسفل السطر ٦ بحيث تكون ( بل تثبت).

٣- في الصفحة ٢٦ ( تثبت الواو) قبل لفظة الشراب فتصبح ( والشراب) وتحذف.
من السطر ٧ أسفل: كلمة ( وصحابته) ويكتب محلها ( رضوان الله عليهم).

٤- ص٤٨ في السطر ٥ أعلى: ( فرضوا) والصح ( فرفضوا).

٥- ص٥٥ في السطر ٧ أعلى: ( ثلاث) والصح ( ثلاثة).

٦- ص٨٨ في السطر ٨ أعلى: ( إن الكتاب) والصح ( الكتاب) فتحذف إن.

٧- ص٩٠ في السطر ١١ أعلى ( مشمل) والصح( مشتمل).

٨- ص١٣١ السطر ٢ قبل الأخير: ( نحذف من المذكورين) لأنها تكررت.

٩- ص١٣٢ السطر ٦ أعلى: سقطت ( ابن ابن الزوج).

١٠- ص١٤٧ أول السطر ٦ أسفل: سقطت العين من ( عفا) فنكتب ( عفا الله عنك).

١١- ص١٤٩ السطر ٥ أعلى: (بأن واحد) والصح ( بآن واحد).

١٢- ص١٧١ السطر ٥ أسفل : ( الإداري) و الصح ( الإرادي).

دار الإيمان